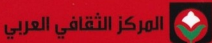
كيفو هيغاشينو

جلسة قهوة



اهداء

لمن لا يؤنس وحدتهم و وحشتهم
في الصباح سوى فنجاة قهوة

فلتكن الآن .. جلسة قهوة

كيفو هيغاشينو

جلسة قهوة

الكتاب

جلسة قهوة

تأليف

كيغو هيغاشينو

ترجمة

محمد بنعبود

الطبعة

الأولى، 2021

الترقيم الدولي:

ISBN: 978-9953-68-977-7

الناشر

المركز الثقافي العربي

الدار البيضاء ـ المغرب

ص.ب: 4006 (سيدنا)

42 الشارع الملكي (الأحباس)

هاتف: 0522 303339 ـ 0522 307651

فاكس: 305726 522 212+

Email: markaz.casablanca@gmail.com

بيروت ـ لبنان

ص.ب: 5158 ـ 113 الحمراء

شارع جاندارك ـ بناية المقدسي

هاتف: 750507 01 ـ 352826 01

فاكس: 343701 1 961+

Email: cca_casa_bey@yahoo.com



العنوان الأصلي للرواية:

Seijo no kyûsai

by HIGASHINO Keigo

نُشرت الطبعة اليابانية الأصلية

عام 2008 من قِبل

Bungeishunju Ltd., Japan.

3 10 2021

كيفو هيغاشينو

مكتبة | 741
سُر مَن قرأ

جلسة قهوة

رواية

ترجمة: محمد بنعبود



1

كانت أياني تنظر إلى أغراس الشّرفة من داخل المنزل، فخاطبَت نفسها قائلة: «بدأت ورود الثّالوث[1] تُزهر. هي في حاجة إلى رَوَاء، لكن ذلك لا يحُوْل في شيء بينها وبين أن تَنضُرَ ألوانُها. هذه الورود ليست متبهرجة، لكنّها ذات صرامة منقطعة النّظير. وعليّ أيضاً ألّا أنسى سقي باقي النباتات».

- أتستمعين إلى ما أقول أم لا؟ سأل صوت من خلفها.

التفتت وتبسّمت.

- بالطّبع أستمع إليك. كيف أمكنك أن تشكّ في ذلك؟

- لكنّكِ لا تُبدين أيّ ردّ فعل، قال يوشيتاكا مُعقّباً وهو يجلس على الأريكة ساقاه الطّويلتان مُربّعتان أمامه.

هي تعلم أنه عندما يُجري تمارينه في قاعة الرّياضة يَحذَر الإكثارَ من تشغيل ساقيه ووركيه مخافة ألّا يعود بإمكانه ارتداء سراويل ضيقة.

- أنا شاردة بعض الشّرود، هذا كلّ ما في الأمر.

- شاردة؟ ليس الشّرود من عاداتكِ، قال مُلاحِظاً وهو يرفع أحد حاجبيه المعتنى بهما.

---

(1) فصيلة من البنفسج، يُطلق عليها أيضاً اسم الفيولا.

- ذلك أنّني مُستغربة قليلاً ممّا سمعت!

- حقّاً؟ لكن، ليس بإمكانك أن تدّعي عدم علمك بخطّتي للتّنمية الذّاتية!

- لا ، أنا لم أقُل ذلك أيضاً.

- ألديكِ شيء تُضيفينه؟ سأل وهو يُميل رأسه قليلاً جانباً.

كان يوشيتاكا يبدو في كامل استرخائه كما لو كانت غايته هي إفهامَها أنّه لا يُعير هذه المناقشة أهمية تُذكر. ولم تكن أياني على بيِّنة ممّا إذا كان يُمثِّل عليها.

تنهدت ونظرت في وجهه ذي القسمات المتناسقة.

- أيأخُذُ الأمر عندكَ هذه الأهمية كلّها؟

- عمّ تتحدّثين؟

- طبعاً. . . عن الإنجاب.

أبدى بسمة شكّاكة وحادَ ببصرِه عنها قبل أن يوجّهه من جديد نحوها.

- هل استمعتِ حقّاً إلى ما قلت؟

- أجل، ومن أجل ذلك أطرح عليكَ هذا السّؤال.

لاحظ الالتماعة المعتمة لنظرة أياني وبسمتها المختفية، فآتى حركة إيجاب من رأسه.

- نعم، للأمر أهميةٌ عندي ولا يُمكنني تصوّر حياتي من دون أطفال. ليس للزّواج الذي لا ينتج عنه أطفالٌ أيُّ معنى. الحبّ بين الزّوجين يتضاءل بالضّرورة مع كرّ الزّمن، وإذا استمرّ شخصان في العيش سوية فمن أجل بناء أسرة. الزواج يُحوّل الأنثى والذكر اللذين يعيشان معاً إلى زوجين ويغدوان أبوين عندما يُنجبان أطفالاً. انطلاقاً من تلك اللحظة يصيران مُرتبطين إلى الأبد، ألا ترين رأيي؟

- لماذا تقول هذا؟ إنجاب الأطفال ليس هو الهدف الوحيد من الزواج.

- لكنه كذلك بالنسبة إليّ.

آتى حركة نفي من رأسه وواصل قائلاً:

- أنا مُقتنع بهذا وأعتقد ألّا نية لي في تغيير رأيي، وبالنتيجة فإنني لستُ مستعدّاً لمواصلة العيش معكِ في غياب الإنجاب.

دلّكت أياني صُدغيها بأصابعها. آلمها رأسها لأنّها لم تتخيّل لحظة واحدة أنّها ستسمَع منه هذا الكلام.

- هذا قراركَ النّهائي؟ بمعنى آخر، أنت ليس لكَ ما تصنعه بامرأة لا تُنجب لك أطفالاً، ولهذا السّبب ستهجرني لتعوّضني بامرأة أخرى تستطيع فعل ذلك، هذا هو قصدك؟

- طريقة تعبيرك تصدمني.

- لكن، أليس هذا هو قصدك؟

وربما لأن أياني كانت قد تحدّثت بحماس، اعتدلَ يوشيتاكا في مجلسه رافعاً حاجبيه وتردّد لحظات قبل أن يردّ بالإيجاب بحركة من رأسه تفتقر إلى الثقة، وقال:

- أتفهّم أن تكون رؤيتكِ للأمور بهذه الشّاكلة، لكنّني أُولي أهمية خاصّة لخطتي في التّنمية الذّاتية، ويُمكنني حتى أن أقول إنني أعتبرها أولويتي.

كفّت أياني فجأة عن زمّ شفتيها، لكن ليس لتبتسم له على أيّ حال.

- أنت تُحبّ هذه الجملة، أليس كذلك؟ «أنا أولي أهمية خاصة لخطّتي في التّنمية الذاتية...» هي أحد الأمور التي كنت قد حدّثتني عنها لمّا التقينا.

- أياني، أنا لا أدري ما الذي يُزعجكِ. ألم تنالي كلّ ما ابتغيت؟ وإن أخطأتُ فلا تتردّدي في إخباري بما يعوزك، وسأقوم بأقصى ما أستطيع. لكن بدل أن تشغلي بالك بالماضي بإمكانك أن تتصرّفي بطريقة أحسن وتفكّري فيما ستصنعينه بحياتك الجديدة. أنت في جميع الأحوال لا خيارَ لكِ.

حادت عنه ببصرها ناظرة إلى الجدار الذي عُلّقت عليه لوحة نسيجية مُزخرفة عرضُها متر تقريباً. كانت قد قضت ما يقرب من ثلاثة أشهر في صُنعها من أنسجة استُقدَمت خصّيصاً لهذا الغرض من بريطانيا العظمى.

أحسَّت أنّ يوشيتاكا قسا عليها بما تلفّظ به. هي أيضاً كانت تحلم بالإنجاب، وودّت لو جلست على كرسي هزّاز، متأرجحةً بهدوء وهي تجسّ بطنها المُدوّر تحت قطعة الفسيفساء النّسيجية التي تصنعها.

لكن نزوة سماوية حرمتها هذه القدرة، فأبَت أن تستسلم، وعاشت حياتها حتّى الآن بتصميم، مُقتنعة أنّ زوجها راضٍ مثلها بحياته الجارية.

- أبإمكاني أن أطرح عليكَ سؤالاً؟ قد يبدو لك غبياً، لكن. . .

- ما هو؟

مالت نحوه ونفثت بعمق:

- وما مصير المشاعر التي كنت تُكنّها لي؟

رفع ذقنه وكأنّه قد وُخز في لحمه الحيّ، ثمّ طفت بسمة جديدة على شفتيه.

- لم تتغير، أنا على يقين من ذلك. مشاعري نحوكِ هي نفسها.

بدت كلماته جوفاء في مسمع أياني، لكنّها بادلته مع ذلك بسمة ببسمة لأنّه لم يكن لها خيار.

- ها أنذا اطمأنَنتُ بقولكَ! قالت.

- هيّا، قال وهو ينتصب واقفاً ويتوجّه نحو باب غرفتهما.

مشت في أعقابه وألقَت نظرة على خزانة زينتِها مُفكّرة في المسحوق الأبيض المخبّأ في عمق الدّرج الأخير منه، يميناً، في كيس بلاستيكي صغير مُحكم الإغلاق.

أزِفَت لحظةُ استعماله، وليس لها شيء آخر غيره تلتجئ إليه.

نظرت إلى ظهر زوجها وهي تُخاطبه في سرّها.

أحبّك من أعمق أعماقي. ما قلته لي لتوّك اخترق قلبي، وأُريد الآن أن تموت أنت أيضاً.





نظرت هيرومي واكاياما إلى الزّوجين ماشيبا وقد نزلا لتوّهما من الطابق العلوي ففهمَت على الفور أنّ أمراً ما طرأ بينهما. كان وجهاهما باسمَين، لكن تعبيريهما زائفان. كان المجهود الذي تبذله أياني لتبدو على غير حقيقتها بادياً للعيان، فقرّرت هيرومي أن تتظاهرَ بأنّها لم تنتبه لشيء. أحسَّت أنّ التطرّق لهذا الموضوع سيكون من قبيل المجازفة بكسر شيء ما.

- تأخرنا عليك في المجيء. هل اتّصل بكِ إيكاي؟ سأل يوشيتاكا بصوت خفيف متوتّر.

- أجل، هاتفني قبل قليل على محمولي ليُخبرني أنهما سيكونان بيننا بعد خمس دقائق.

- أأفتح قنينة الشمبانيا؟

- سأهتم بالأمر، قالت أياني لزوجها. هلّا تكرّمتِ يا هيرومي بإخراج الكؤوس؟

- أجل، فوراً.

- سأساعدك.

ذهبت أياني إلى المطبخ وفتحت هيرومي الصِوانَ، قطعة الأثاث

العتيقة. هي على علم أنّهما اقتنياه بما يُقارب ثلاثة آلاف ين وخصّصاه لحفظ الأواني الثّمينة.

أخرجت منه ثلاث كؤوس بلّورية خاصة بالشمبانيا وأخريين من الكريستال الفينيسي. ذلك أنّ الزّوجين ماشيبا كانا يحتفظان بالكريستال الفينيسي لضيوفهما.

رتّب يوشيتاكا على مائدة قاعة الطعام عُدّة أكل خمسة أشخاص، وهي تتّسع لثمانية، فقد اعتاد الزوجان ماشيبا استقبال الضيوف ببيتهما. كانت هيرومي على بيّنة ممّا عليها القيام به.

وضعت كأساً مع كلّ عدّة، وكان يُسمع صوت ماء يجري في المطبخ.

- فيمَ كنتما تتحادثان؟ سألت هيرومي بصوت خفيض.

- لا شيء ذا بال، أجابَ مُتحاشياً نظرها.

- أخبرتَها؟

في هذه اللّحظة حطّ ببصره عليها.

- بماذا؟

ولمّا همّت بإجابته رنّ جرس الهاتف الداخلي.

- لقد وصلا! قال يوشيتاكي مُنبّهاً زوجته، وهو يلتفت نحو المطبخ.

- أعذرني، هل يُمكنكَ فتح الباب لهما؟ لا يُمكنني ترك ما بيدي الآن، أجابَت أياني.

- حاضر، قال وهو يقترب من سماعة الهاتف الداخلي.

عشر دقائق بعد ذلك كانوا جالسين إلى المائدة برفقة ضيفَيهما، باسمِين جميعاً. لم تستطِعْ هيرومي التخلص من انطباعها بأنّ الأشخاص الخمسة الحاضرين يقومون بجهود جبارة كي يبدوا

منشرحين حتى لا يتمّ تعكير الأجواء التي لم يكن لها إلّا أن تكون سعيدة، وتساءلت في سرّها بحمية عن الكيفية التي يتمّ بها إدراكُ هذا التوازن بين التوتر والاسترخاء. هي لا تعتقد أنّه فطري وتعلم أنّ أياني قد احتاجت ما يقرب من سنة للعثور عليه.

- أنتِ تُجيدين الطّبخ يا أياني! لا أحد يستطيع إعداد هذه الصّلصات المملّحة الفاخرة كما تُعدّينها أنت، قالت يوكيكو إيكاي مُلاحظة وهي تلتقم قطعة سمك.

كانت هي التي تقوم كالعادة بدور الإطراء على المضيفة عند تقديم كلّ أكلة.

- واجبٌ أن أقول إنّ صلصاتك أنتِ إنّما تشترينها جاهزة، أضافَ تاتسوهيكو، زوجُها الجالس إلى جانبها.

- أنتَ لست لطيفاً معي! يحصل أيضاً أن أُعدّها بنفسي.

- أجل، صلصة الحبق! كثيراً ما تُبالغين في تقديمها حتّى ما عدت أستطعمها، على أيّ حال.

- هكذا! لكنّها جيدة، أليس كذلك؟

- أنا أعشق صلصة الحبق، قالت أياني مُنحشرة في المحادثة.

- أليست لذيذة؟ ثمّ إن الحبق مُفيد جدّاً للصّحة.

- لا تُشجّعيها من فضلك يا أياني، وإلّا فإنّها ستُقدّمها لي حتى مع شرائح اللّحم.

- يا لها من فكرة ممتازة! سأنفّذها.

ضحك كلّ الجالسين إلى المائدة عدا تاتسوهيكو إيكاي الذي قطّب وجهه.

تاتسوهيكو الذي اتّخذ المحاماة مهنة له يقوم بدور المستشار القانونيّ للعديد من الشّركات، من بينها التي يُدبّر شؤونها يوشيتاكا

ماشيبا، وقد اشتهر بالتدخل الحثيث في تدبير شؤون المؤسّسات التي هو مُستشارها القانونيّ. قامت علاقة ودّ بين الرّجلين عندما كانا ينتميان معاً إلى فصيل الطّلبة نفسه في الكلّية.

أخرجت إيكاي قنّينة الخمر الأبيض من آنية الثّلج وهمّت بملء كأس هيرومي.

- شكراً لكِ، لكنّني شربت اليوم ما فيه الكفاية، قالت وهي تضع كفّها على الكأس.

- حقّاً؟ وأنا التي كنت أعتقد أنّك تُحبّين الخمرة!

- أنت لم تُخطئي، لكنّني الآن لا رغبة لي فيها، شكراً لك.

فملأت كأس زوجها وقد بدت الخيبة على ملامحها.

- هل أنتِ مُتعبة؟ سألتها أياني مُستقصية.

- لا، أنا فقط بالغتُ في الشّرب مُؤخّراً برفقة بعض الأصدقاء، و...

- جميل أن يكون المرء شابّاً، قال إيكاي مُعلّقاً وهو يستعدّ لملء كأسه بعد أن ألقى نظرة على كأس زوجته. أنا سعيد ألّا تكون يوكيكو التي لا تشرب خمراً الآن الوحيدةَ في ذلك هذا المساء.

- ولماذا يكون عليها ألّا تشرب الآن؟ سأل يوشيتاكا وهو يضع شوكته.

- لأنّها مُرضِع، بطبيعة الحال، والخمرة سيئة للرضع، فسّر إيكاي وهو يرفع كأسه.

- وإلى متى ستستمرّين في امتناعكِ عن تناول الخمر؟ سأل يوشيتاكا وهو يلتفت نحو يوكيكو.

- ما يقرب من سنة، بحسب ما يراه الطبيب.

- وأنا أقول سنة ونصفاً، قال الزوج، أو حتى سنتين. ويمكنكِ على أيّ حال اهتبال الفرصة والتّخلي عن شربها بصفةٍ نهائية.

- ألا تدري أنّني سأكون ملزَمَة بقضاء سنوات أُمّاً، وهي مُهمة في غاية الصعوبة! أنا لست متأكّدة من أنّني سأستطيع أن أضطلع بهذه المهمّة إن منعتني من شرب الخمرة بصفة نهائية. أَمْ عليّ أن أفهم أنّك ستقوم بهذا الدّور بدلاً منّي؟ إن كان الأمر كذلك فإن التخلي عنها لا يُزعجني أبداً!

- حسناً، حسناً. في غضون سنة سيكون بإمكانكِ من جديد تناول الجعة أو الخمرة. أقصد باعتدال طبعاً.

قطّبت يوكيكو ملامحها قبل أن تعود للتبسّم، بادية عليها السّعادة. فحتى هذا الحوار المتوتّر قليلاً مع زوجها كان يبدو كأنّه طقس مُبهج.

كانت قد أضحت أمّاً قبل شهرين، وقد أسعدَتها هذه الولادة، هي وزوجها الذي يبلغ من العمر اثنتين وأربعين سنة، وتصغره هي بسبع سنين. هما معاً سعيدان بتسجيل هذا الهدف «تماماً قبل صافرة النّهاية» كما يُحبّان أن يقولا.

وقد استدعاهما الزّوجان ماشيبا للاحتفال بهذا الحدث، وهي مُبادرة اتّخذها يوشيتاكا ونفّذتها أياني.

- الجدّان هما من أخذا على عاتقهما العناية بالصبي هذا المساء؟ سأل يوشيتاكا وهو ينظر إليهما تباعاً.

حرّك إيكاي رأسه.

- قالا لنا ألّا نكون في عجلة من أمرنا لأنّهما سيكونان سعيدين أن يحظيا به لوحدهما. إنّه لأمرٌ عمليّ حقّاً أن يكون لنا آباء لا يقطنون بعيداً عنّا.

- هذا لا يحُول بيني وبين أن أكون قلقة بعض القلق. حماتي تُدلّله كثيراً، في حين يقول أصدقائي إنّ من الجيد للصبي أن يبكي دون أن يقترب منه أحد، لكنّها هي لا تسمح له بذلك أبداً، قالت يوكيكو وهي ترفع حاجبيها.

- سآتيكِ بالماء، قالت هيرومي التي نهضت إذْ رأَت كأس الضّيفة فارغة.

- يوجد ماء في الثّلاجة، هلّا أتيتِ بقنّينة؟ قالت أياني.

ذهبت هيرومي إلى المطبخ وفتحت باب ثلّاجة من النّوع الكبير ذات بابين. قناني بلاستيكية عديدة من الماء المعدني مُرتّبة في الجهة اليُمنى، فحملت واحدة وأعادت إغلاق الثّلاجة.

ولمّا كانت تعود للجلوس تقاطع نظرها مع نظر أياني وقرأت على شفتيها كلمة شكراً.

- أتصور أنّ مَقدَم صبيّ يُغيّر الحياة، قال يوشيتاكا.

- أجل، ففي الوقت الراهن صبيي هو محور كلّ شيء، حتّى عملي نفسه، أجاب إيكاي.

- أمر مفروغ منه، أليس كذلك؟ يبدو لي أنّه لا يُمكن نفي العلاقة القائمة بين إنجاب طفل والعمل الذي نقوم به. وأتصوّر أن الإنجاب يُعلي من معنى المسؤولية ويضخّ فينا رغبة في أن نشتغل بهمّة أكبر.

- أنتَ لم تُجانب الصّواب.

أمسكت أياني بالقنّينة التي مدّتها لها هيرومي وملأت كلّ الكؤوس دون أن تُفارقها بسمتُها.

- وأنتما، فيمَ انتظاركُما إذاً؟ عليكما التّفكير في الإنجاب، قال إيكاي وهو يتفرّس ملامح صديقه وزوجته. أنتما مُقترنان منذ سنة،

ومن المرجّح أن تكونا قد شرعتما في استنفاد جاذبية أن تعيشا وحيدين، على ما أعتقد.

- لكن ماذا تقول! صاحَت زوجته وهي تضرب على ذراعه كما لو لتوبّخه. يا لك من متطفّل!

- أجل، إنّ كل شخص يتصرّف في هذه الحياة كما يحلو له، قال إيكاي مع بسمة مُتكلّفة.

أفرَغَ كأسه ثمّ واصل وهو ينظر إلى هيرومي:

- وأنتِ يا هيرومي، كيف هي أمورك؟ أقصد دروسَ فسيفساء الأنسجة التي تُقدّمينها الآن لتلامذتك.

- كلّ شيء على خير وجه الآن، حتّى وإن كنت لا أزال أجد صعوبة في أخذ قرارات.

- أتعتمدين الآن كلّياً على هيرومي؟ سألت يوكيكو أياني التي أجابتها بهزّ رأسها قبل أن تُضيف:

- ما عاد لي شيء أُعلّمها إيّاه.

- أنت قوية للغاية، قالت يوكيكو بافتتان وهي تُدير بصرها في اتّجاه هيرومي.

أطرقت هيرومي برأسها مُبدية بسمة تواضع. هي لم تستطِع منعَ نفسها من أن تجد غريباً اهتمامَ الزّوجين إيكاي بها. أيكون اهتمامهما راجعاً إلى كون مُشاركتها في هذا العشاء تبدو لهما غير مناسبة، ما يجعلهما يجدان نفسيهما مُضطرّين لمُحادثتها؟

- كدتُ أنسى... قالت ربّة البيت وهي تنتصب واقفة لتذهب وتأتي بكيس ورقيّ كبير كان موضوعاً قرب الأريكة. هذا لكما!

أطلقت يوكيكو صرخة من مفاجأتها مُخفِيَة فمها براحتيها.

كانت الهدية غطاء سرير مصنوعاً من فسيفساء نسيجية بحجمٍ أقلّ قليلاً من العادي.

- آمل أن تستعملاه غطاء لسرير الصبي. بعد ذلك استعملاه إن شئتما تزييناً لأحد جدران بيتكما.

- إنّه رائع. شكراً لك يا أياني، قالت يوكيكو وهي تُمسك به بتحوّط، مخطوفة القسمات. تيقّني أنّني سأعتني به. شكراً لكِ من أعماق القلب.

- هذا نتاج عمل دؤوب، أليس الأمر كذلك؟ كم يحتاج عمل إبداعيّ مثل هذا من الوقت؟ أضاف إيكاي باحثاً عن نظر هيرومي.

- حوالي ستّة أشهر، على ما أعتقد، أجابت مُديرة بصرها في اتّجاه أياني.

كَفَتْه نظرة واحدة ليفهم الطّريقة التي صُنعت بها هذه القطعة الفنية.

نظرت أياني، رأسها مائل جانباً، إلى قطعتها المبتدعة بإهاب ارتيابيّ.

- كلّ ما يهمّني من الأمر هو أنه قد أعجبَكم.

- لا يمكنكِ تصوّر مقدار اغتباطي! أنا لست متأكّدة يا تاتسوهيكو من أنّك تعرف قيمة هذه الهدية، هذا العملِ الإبداعيّ لأياني ميتا. أتدري أنّها في معرضها الأخير في رواق غينزا، كانت أغشية الأسرّة الخاصّة بشخص واحد تُساوي مليون ين؟

جحظت عينا زوجها، وقد ارتسمت علامات الاندهاش على مُحيّاه من أن تكون قطع نسيج مَخِيطَة بعضها إلى بعض تُساوي مبلغاً مثل هذا.

- كان عليكِ أن تري حماستها في إعداده، أضاف يوشيتاكا.

فحتّى خلال الأيام التي كنت أقضيها في البيت كانت تُجزي وقتها كلّه وهي تخيط جالسة على أريكة غرفة الاستقبال، من الصّباح حتّى المساء. وكانت قد أخذتني الدّهشة من ذلك.

- ومن حسن حظّي أن أنهيته في الوقت المناسب، تمتمت أياني مُسبلة جفنيها.

انتقلوا بعد العشاء إلى الصّالون فقرّر الرّجلان تناول الويسكي. ولمّا أعربت يوكيكو عن رغبتها في شرب فنجان قهوة آخر نهضت هيرومي ذاهبة لإعداده في المطبخ، لكن أياني خاطبتها قائلة وهي تملأ الغلّاية من الصنبور:

- سأقوم بذلك. هلّا أخرجتِ كؤوس الويسكي وأحضرتِ ثلجاً؟

عندما عادت هيرومي إلى الصّالون بصينية فيها كؤوس وآنية ثلج، كان مدار الحديث هو الحديقة. كان النّور يغمر حديقة المنزل بطريقة تسمح بالاستمتاع بالنّظر إليها حتى في الليل.

- تحتاج هذه الورود كلّها إلى عملٍ جدّي، أعتقد؟

- لا علم لي، لكنّها تُعنى كلّ يوم بالورود الموجودة في الحديقة كعنايتها بالموجودة في شرفة الطّابق العلويّ. يبدو لي جهدُها جبّاراً لكنّها تُؤكّد أنّها تجد فيه متعتها البالغة، فهي شغوفة بالفعل بالورود، أجاب يوشيتاكا الذي بدا كأنّه قليل الاهتمام بهذا الموضوع.

هيرومي كانت تعرف عدم اهتمامه بالنّباتات وبالطّبيعة، فلم تُفاجأ.

التحقت أياني بهم حاملة القهوة، وتكفّلت هيرومي بصبّ الويسكي للرّجلين.

كانت السّاعة تُقارب الحادية عشرة ليلاً عندما أبدى الزّوجان إيكاي نيتهما في الانصراف.

- شكراً على هذا العشاء اللذيذ وعلى الهدية الرائعة، قال إيكاي وهو ينحني بخشوع. آمل أن تأتوا لزيارتنا قريباً، لكن عليكم ألّا تندهشوا من حال منزلنا، مع الصبي. . .

- لا تحمل همّ ذلك، فأنت سرعان ما ستستعيد منزلك مُرتباً كما ينبغي، قالت زوجته على الفور بنبرة هازئة وهي تلكزه برفقٍ بكوعها على جانبه. لدينا رغبة كبيرة في أن تتعرّفوا على أميرنا الصغير ذي الوجنتين المورّدتين.

- سنسعَد بذلك، أجابت أياني.

عندما انتبهت هيرومي أنّ الوقت متأخّر قرّرت أن تنصرف هي أيضاً، فعرضا عليها أن ترافقهما في سيارة الأجرة نفسها. وفي أثناء انتعالها حذاءها في المدخل ذكّرتها أياني بأنّها ستتغيب انطلاقاً من صباح الغد.

- لقد نسيت نهايةَ الأسبوع الطّويلة التي تبدأ غداً. ستُسافرين؟ سألت يوكيكو.

- أنا مُلزَمَة بالذهاب لزيارة أبويّ.

- أبواك؟ في سابورو؟

هزّت أياني رأسها باسمة.

- حال أبي ليست على ما يُرام وسأذهب لتقديم بعض العون لوالدتي. لا أعتقد أنّ الأمر خطير، لكن. . .

- أتمنّى أن يكون في أحسن حال. لو كنتما أخبرتمانا لأجّلنا هذا العشاء. أنا لستُ راضٍ عن مجيئنا، قال إيكاي وهو يضع كفّه على جبهته.

- لم يكن لذلك داعٍ. حال أبي لا تدعو للقلق إلى تلك الدّرجة، وإنّه للطف من جانبكما أن تنشغلا به. حسناً، أنا أُعوّل عليك يا هيرومي ولا تتردّدي في الاتّصال بي على محمولي حالما تحتاجينني.

- متى ستعودين؟

- لا أعرف بعد... أجابت أياني وهي تُطرق برأسها. سأتّصل بك فور أخذي القرار.

- حسناً.

ألقت هيرومي نظرة في اتّجاه يوشيتاكا الذي كان ينظر في الفراغ.

ما أن أدرك إيكاي والسّيدتان الشّارع حتّى حظوا بسيارة أجرة. وبما أنّ هيرومي ستكون أول النّازلين صعدت الأخيرة.

- أخشى أن نكون قد أفرطنا في الحديث عن الصّبي، صرّحت يوكيكو فور انطلاق سيارة الأجرة.

- لماذا تقولين هذا؟ ألم يدعونا للاحتفال بميلاده؟ أجاب إيكاي الجالس إلى جوار السّائق.

- أجل، لكن لدي الانطباع بأنّه كان علينا أن نُقلّل حديثنا في ذلك. أعتقد أنّهما هما أيضاً يحبان أن يكون لهما طفل.

- أنتِ على حقّ. كان ماشيبا قد حدّثني عن ذلك مرّة.

- ربّما كانا يجدان عنتاً في الإنجاب. ألا تعرفين شيئاً عن هذا الموضوع يا هيرومي؟

- لا، لا علمَ لي بشيء البتّة.

- هكذا إذاً! قالت يوكيكو دون أن تعمل على إخفاء خيبتها.

عبرت ذهن هيرومي فكرةُ أن يكون الزّوجان إيكاي ربّما قد

عرضا عليها مُشاركتهما سيارة الأجرة نفسها بأمل أن يعلما شيئاً عن قضية الإنجاب تلك.

خرجَت من بيتها صباح اليوم التّالي في التّاسعة كعادتها للالتحاق بأستوديو **آنز هاوس**. هيرومي تُدرّس في شقّة من عمارة بحي دايكانيما كانت أياني قد اتّخذتها مَشغَلاً لتعليم فسيفساء النّسيج، يرتاده حوالي ثلاثين تلميذاً جُلبوا إليه بالشهرة التي كانت تتمتّع بها أياني ميتا لدى هواة فسيفساء النّسيج.

لمّا خرجت هيرومي من المصعد فوجئت برؤية أياني وهي تبتسم لها واقفة أمام باب المشغل وقد وُضعت إلى جانبها حقيبة.

- ماذا حصلَ لكِ؟

- لا شيء خطير! أردتُ فقط أن أعهَد لكِ بهذا، قالت وهي تُخرج مفتاحاً من جيبها.

- لكن...

- هذا مفتاح البيت. أنا لا أدري بالضّبط كم سيستغرق غيابي وأنا منشغلة قليلاً بالمنزل. لكن إن كان في حوزتكِ مفتاح البيت...

- حقّاً تُريدين تسليمي المفتاح؟ أنت متأكّدة؟

- لماذا؟ هل هذا يُزعجك؟

- لا، أبداً، لكن هل لكِ نسخة أخرى منه؟

- لا تحملي همّ ذلك، سأتّصل بكِ لأخبرك بموعد عودتي، وإن حصلَ ولم تستطيعي الحضور سأنتظر عودة يوشيتاكا مساء.

- إن كانت هذه رغبتكِ فأنا أقبل طبعاً.

- شكراً، قالت أياني.

دسّت المفتاح في كفّ هيرومي وودّعتها متوجّهة نحو المصعد جارّة حقيبتها.

- اسمعي، أنا... تمتمت هيرومي وهي تراها تبتعد.
توقّفت أياني والتفتت نحوها.
- ماذا تُريدين؟
- لا شيء. فقط نسيت أن أتمنّى لك سفراً سعيداً.
- شكراً، أجابت أياني التي انطلقت من جديد وهي تُلوّح لها بحركة من كفّها.

قضت هيرومي نهارها في المشغل. تَعاقَب عليها التّلاميذ دون أن يتركوا لها وقتاً للرّاحة. ولمّا غادرت آخر تلميذة شعرَت بألم في كتفيها وعنقها.

رنّ محمولها لحظة استعدادها لمغادرة المشغل بعد أن أعادَت ترتيبه. نظرت في الشّاشة فرأت أنّ المُتّصل هو يوشيتاكا.
- فرغتِ من عملكِ؟ سأل من دون مقدّمات.
- نعم، فرغت الآن.
- حسناً، أنا لا أزال مُلتزماً بالموعد وسأعود فور فراغي. التحقي بي في المنزل.

أخذها هذا الطّلب الواضح الجلي على حين غفلة فلم تعرف كيف تردّ.
- ما بكِ؟ ألا يُلائمكِ ما قلتُ لكِ؟
- بلى، لكن... هل أنت متأكّد؟
- أنت تعرفين جيداً أنّها لن تعود على الفور.

أنصتَت إليه هيرومي وهي تنظر إلى حقيبة يدها حيث يوجد المفتاح الذي عهدت لها به أياني.
- لديّ أمور أُريد إخباركِ بها.
- ما هي؟

- سأحدّثكِ عنها مباشرة. سأعود إلى البيت في التّاسعة. اتّصلي بي لتُخبريني متى ستأتين، قال قبل أن يُقفل الخطّ.

اتّصل بها بعد تناولها عشاءها في مطعم تابع لسلسلة معروفةٍ بأطباق عجائنها الإيطالية. كان هو قد عاد إلى البيت فطلب منها بحماسة أن تُسرِعَ بالقدوم.

اجتاحَتها وهي في سيارة الأجرة موجة من التقزّز من نفسها. موقف يوشيتاكا الذي لا يبدو أنّ ضميره يُؤنّبه على الإطلاق يصدمها، لكن عليها أن تعترف أنّها هي أيضاً سعيدة بذلك.

استقبلها بحفاوة، ولم تلمح عليه أدنى علامة انزعاج، بل كان على العكس من ذلك مُرتاحاً تماماً.

كانت رائحة القهوة تطفو في قاعة الاستقبال.

- لم أُعدّ القهوة منذ مدّة طويلة. لست متأكّداً من النّتيجة، قال معلّقاً وهو يعود من المطبخ حاملاً فنجانين من دون صحنيهما الصّغيرين.

- هذه أول مرّة أراكَ فيها تذهب إلى المطبخ.

- حقّاً؟ أنتِ على صواب بالتأكيد، فأنا مُذ تزوّجت ما عدت أقوم بأيّ شيء من أشغال البيت.

- لكَ زوجة ممتازة، علّقت هيرومي وهي تحتسي رشفة من القهوة المرّة.

قطّب يوشيتاكا وجهه.

- إنّها قوية جدّاً.

- يُمكنني أن أُعدّ أخرى إن شئت.

- لا داعيَ لذلك، ستُعدّين أخرى لاحقاً، قال وهو يضع

الفنجان على مائدة قاعة الاستقبال الرّخامية الواطئة. أمس قلتُ لها كلّ شيء.

- لقد ساورني شكّ في ذلك.

- لم أُدقّق فلم أُخبِرْها أنّكِ أنتِ المعنيّة. قلت لها إنّها لا تعرف المرأة الأخرى، ولا أدري ما إن كانت قد صدّقتني.

تذكّرت هيرومي بسمة أياني وهي تسلّمها مفتاح المنزل صباح هذا اليوم. بدا لها جادّاً فيما يقول.

- وما كان ردّ فعلها؟

- قَبِلَت اقتراحي.

- حقّاً؟

- أجل. وقد سبَقَ لي أن قلت لكِ إنّها لن تُعارض.

حرّكت هيرومي رأسها.

- أنا أعلم أنّ الأمر قد يبدو غريباً وأنا أتلفّظ به، لكنّني أعترف بأنّني لا أفهم.

- هي قاعدة نتصرّف على ضوئها فيما بيننا، وضعناها معاً وقبلنا بها. كلّ هذا كي أقول لكِ إنّ عليك ألّا تشغلي بالك، فقد رُتّبت الأمور كلّها.

- أمتأكّد أنت ممّا تقول؟

- بالطّبع، قال وهو يضع ذراعه على كتفيها كي يُقرّبها منه.

التصقت به وأحسّت بفمه قريباً من أذنها.

- ستنامين هذه الليلة هنا، أليس كذلك؟

- في غرفتكما؟

ابتسَمَ ماشيبا.

- في غرفة الأصدقاء. فيها سرير مزدوج.

أبدت هيرومي موافقتها دون أن تُفلح في التخلص من تردّدها ومخاوفها ومن الشعور بأنها تُسيء التصرف.

صباح اليوم التالي التحق بها يوشيتاكا في المطبخ وقد شَرَعَت في إعداد القهوة.

- أريني كيف تُعدّينها.

- أتدري أنّ أياني هي مَن علّمتني؟

- ذاك لا يُزعجني، هيا، قال وهو يُشبّك ذراعيه على صدره.

وضعت هيرومي بعناية مصفاة ورقية في حامل المصافي ثمّ قاست مقدار مسحوق القهوة الذي ستستعمله، فحرّك رأسه وهو يُتابع ما تفعل.

- يجب في البداية ترطيب مسحوق القهوة بقليل من الماء المغلّي، ثم انتظار أن تنتفخ، فسّرت وهي تقرن القول بالفعل.

انتظرت حوالي عشرين ثانية قبل أن تُعيد الكرّة من جديد.

- أترى. لا بدّ من القيام بهذه الحركة، بطريقة دائرية، كي يُسمَح للقهوة أن تبقى مُنتفخة أيضاً في كلّ جانب، ثمّ التّوقف ما أن تُدرك القهوة في إبريقها المستوى الذي يُشير إلى المقدار الخاصّ بشخصين. في هذه اللحظة يجب إزالة حامل المصفاة فوراً وإلّا فإنّ القهوة ستغدو خفيفة.

- الأمر أعقد ممّا كنت أتصور.

- ألم تكُن من قبل تُعدّها؟

- كان لي إبريق كهربائي، لكنّها تخلّصت منه لمّا تزوجنا. هي ترى أنّ القهوة تكون أجود عندما نُعدّها يدوياً.

- لما علِمَت أنّه لا يمكنك العيش من دون قهوة أرادَت أنّ يكون ما تشربه منها هو الأجود ما أمكن.

حرّك يوشيتاكا رأسه قليلاً من اليمين إلى اليسار، مع إظهار التّكشيرة الصغيرة التي كان يُبديها كلّ مرّة تُطري فيها هيرومي على محاسن زوجته.

شربا القهوة المصفّاة لتوّها فصرّح أنّها أحسن من قهوة الأمس.

كان أستوديو **آنز هاوس** مُغلَقاً لأنّ اليوم الأحد، لكنّ هيرومي كانت تُقدّم يومئذٍ دروساً في فسيفساء النّسيج في مركز ثقافيّ بحي إيكيبوكورو، وهو عمل كلّفتها به أياني.

كان يوشيتاكا قد طلب منها أن تتّصل به عندما تُنهي عملها، راغباً في أن يتناولا عشاءهما معاً، ولم يكن لهيرومي أيّ سبب لرفض دعوته.

أنهَت آخر دروسها في التّاسعة مساء فاتّصلت به هاتفياً وهي تستعدّ للمغادرة، فظلّ هاتفه يرنّ من دون أن يرد. وعندما نادته على الهاتف الثّابت لم تتلقّ أيضاً أيّ ردّ.

أيكون قد خرج؟ لكن ليس من عادته نسيان هاتفه المحمول في البيت.

قرّرت أنّ تمرّ إلى منزله، وفي طريقها إليه حاولت الاتّصال به مرّات عديدة.

لمّا أدركت المنزل رأت أنّ مصباح قاعة الاستقبال مُنار، لكنّه لم يُجِب على الهاتف لمّا قامت بمحاولة جديدة.

قرّرت أن تُخرج من حقيبة يدها المفتاح الذي سلّمته لها أياني.

كان الباب مُقفلاً فأدارت المفتاح في القفل وانفتح. وجدت مصباح المدخل مُناراً.

خلعت نعليها وتقدّمت في الممرّ فاشتمّت رائحة قهوة خفيفة تُحلّق في الجو. لا بدّ أن يكون قد أعدّها نهاراً.

دفعت باب غرفة الاستقبال فوقفت في مكانها مُتجمّدة.

يوشيتاكا ممدّد على الأرض وإلى جانبه فنجان قهوة منقلب وقد انتشر السّائل الأسود على الأرضية.

أخرجت من حقيبتها بكفّ مُرتعشة محمولها لتُنادي سيارة إسعاف، لكنّها لم تستطِعْ تذكّر الرّقم الذي عليها طلبه.

3

منازل جميلة تحفّ بالطّريق المتحدّر قليلاً، وتكفي الإنارة العمومية لإبراز ما هي مشمولة به من عناية كاملة. إنّ سكّان هذا الحي لا يجدون على ما يبدو أيّ عائق ماديّ، وتكفيهم رواتبهم الشّهرية.

كانت بضع سيارات للشّرطة مركونة على حافة الرصيف، فقال كوساناغي لسائق سيارة الأجرة إنّ هذا هو المكان.

ترجّل من السيارة ونظر في ساعته. كان الفيلم الذي يُريد مُشاهدته قد بدأ سلفاً. فاتته مُشاهدته لمّا عُرض في القاعات السينمائية فكان أسرّ لنفسه أنّه ليس بحاجة إلى الحصول على نسخة منه لأن التلفزيون لن يلبث أن يعرضه. ولمّا اتصل به رئيسه كان آخذاً في مُشاهدته، فغادر منزله دون أن يُفكّر في تسجيله.

وربما بسبب الوقت المتأخّر لم يرَ أيَّ فضوليّ في المكان، كما أن مُراسلي التلفزيون لم يكونوا قد سمعوا بعد على الأرجح بالحدث لذلك خلا المكان منهم. إنّ لغز هذه الوفاة سُرعان ما سَيُحلّ إن حالفهم قليل من الحظّ، قال في سرّه مُؤمّلاً.

كان شرطي بزيه الرسمي، عابس الوجه، يحرس مدخل المنزل مصدر المكالمة. أراه كوساناغي بطاقة الشرطة فقدّم له التحية.

ألقى نظرة على المسكن، وتناهى إلى سمعه صوتان من الدّاخل. كانت كلّ المصابيح تقريباً مُنارة.

رأى شخصاً واقفاً قرب الحاجز، وبالرّغم من العتمة خمّن كوساناغي مَن يكون، اعتماداً على قامته القصيرة وشكل تصفيف شعره، فاقترب منه.

- ماذا تفعلين هنا؟

التفتت إليه كاورو أوتسومي ببطء من دون أن تبدو مُتفاجئة.

- طاب مساؤك، قالت بصوتٍ هادئ.

- هل يُمكنك أن تُجيبيني عن سؤالي وتُخبريني بما تفعلينه ههنا في الخارج؟

- لا شيء ذا طبيعة خاصة، أجابت زميلته. أتملّى ورود الحديقة ونباتاتها، وتلك التي تُزين الشرفة أيضاً.

- الشرفة؟

- نعم، هناك فوق، قالت وهي تُشير إلى الطّابق العلويّ بإصبعها.

رفع كوساناغي رأسه فرأى الورود التي تُزين الشرفة. بدا له المنظر عادياً جدّاً.

- لا تُسيئي فهمي، لكن هل بإمكانكِ إخباري لمَ تبقين خارج المنزل؟

- الداخل غاصّ بالبشر. البيت عامر.

- ألا تروق لكِ الجموع؟

- لا يُفيد في شيء، من وجهة نظري، أن ينظر كلّ هؤلاء الأشخاص إلى الشيء نفسه، عدا أن يُزعجوا التقنيين وهم يقومون بعملهم، فقلت إنّني سأكون مفيدة أكثر في مراقبة المحيط.

- لكنكِ لم تتحرّكي من مكانكِ منذ لحظات، أكُلُّ ما تفعلينه هو مُشاهدة الورود؟

- كلا، لقد فتّشتُ المكان قبل ذلك.

- حسناً، وهل رأيتِ ما بداخل المنزل؟

- لا، ذهبت إلى حدود المدخل وعدتُ أدراجي.

تملّى كوساناغي زميلته مُحيَّراً. كان يبدو له من باب تحصيل الحاصل أن تكون رغبة كلّ محقّق هي أن يصل قبل الآخرين إلى مكان الجريمة، لكنّ هذا لا ينطبق على ما يبدو على كاورو.

- أفهم ما تقولين، لكن مع ذلك تعالي معي، فنحن لا نخسر شيئاً من أن نرى بأمّ أعيننا.

دار على عقبيه ومشَت هي في أعقابه صامتة.

كان ما قالته حقّاً: يعجّ المنزل برجال الشّرطة القادمين من مفوضية الحيّ والمنتمين إلى شعبتهما نفسها. ابتسم له كيشيتاني، زميلُه الشّاب.

- تبدأ عملك باكراً اليوم!

- أتعتقد أنّك خفيف الظّل؟ ماذا تحصّل لديك؟ هل هي جريمة؟

- لا شيء مُؤكّد حتى الآن، رغم أن ذلك يبدو مُحتملاً.

- كيف؟ فسّر لي بسرعة.

- فارق صاحبُ هذا المنزل الحياة بغتة في قاعة الاستقبال، وكان وحيداً.

- وحيد؟

- تعالَ معي.

قاد كيشيتاني زميليه إلى قاعة الاستقبال التي تبلغ مساحتها

حوالي خمسين متراً مربّعاً، وقد وُضعت في مركزها مائدة مستديرة واطئة من الرّخام مُحاطة بأرائك.

وكان شكل رجل مُمدّدٍ قد عُلّم بشريط بلاستيكي أبيض على الأرض. عندما رأوا ذلك التفت كيشيتاني نحو كوساناغي.

- الرّجل المتوفّى هو صاحب هذا المنزل، اسمه يوشيتاكا ماشيبا.

- أنت لا تُضيف إلى معلوماتي شيئاً. كنت على علم بما تقول قبل مَقدَمي. ألم يكن يشغل منصب الرّئيس المدير العام؟

- بلى، لشركة معلوميات. كان اليوم في عطلة لأنّ اليومَ الأحد، ونحن لا ندري بعد إن كان قد خرَجَ من بيته نهاراً.

- أليست تلك لطخة على الأرضية؟

كان أثر سائلٍ بادياً على الأرض كما لو أنّ شيئاً قد أُريق.

- إنّها قهوة، أجاب كيشيتاني. كانت بجانب الجثّة وقد أخذ منها زملاؤنا في الشّرطة العلمية عينة، وكان ثمة فنجانُ قهوة أيضاً.

- مَن عثر على الجثّة؟

- أوه. . . صوّت كيشيتاني وهو يفتح كراسته. امرأة تُدعى هيورمي واكاياما، وهي تلميذة للسّيدة ماشيبا.

- تلميذة؟

- السّيدة ماشيبا مُبدعة شهيرة في الفسيفساء النّسيجية.

- الفسيفساء النّسيجية؟ أيُمكن للمرء أن يصير شهيراً بفضل هذا؟

- على ما يبدو. أنا أيضاً كنت أجهل ذلك، أجاب كيشيتاني وهو ينظر إلى كاورو أوتسومي. أنتِ بوصفك امرأة قد تكونين سمعت بأياني ميتا؟ يُكتب الاسم هكذا.

وأراها كرّاسته.

- لا عِلمَ لي بمَن تكون، أجابت بجدّية. ولماذا تعتقد أنّ على المرأة أن تكون على علم بهذا؟

- أوه... على أيّ حال... أجاب كيشيتاني وهو يهرش رأسه.

قمع كوساناغي بسمة، فلربّما كانت لزميله الشّاب رغبة في أن يُعلي من قيمته، لذلك لم يكُن يتساهل مع زميلته المفتّشة الشّابة التي عُيِّنت حديثاً في مصلحتهم.

- في أيّ ظروف عثرَت على الجثة؟ سأل كوساناغي.

- سافرت زوجة السّيد ماشيبا لزيارة أبويها أمس، تاركةً لتلميذتها مفتاح المنزل. هي لا تدري متى ستعود بالضّبط فرأت أنّ من دواعي اطمئنانها على بيتها أن يكون مفتاحه لدى شخص آخر. اتّصلت هيرومي واكاياما بالسّيد ماشيبا هذا المساء لتطمئنّ أنّ كلّ شيء على ما يُرام، لكنها لم تتلقّ ردّاً على المحمول ولا على الثّابت، فتولّاها القلق وقرّرت زيارة البيت. وقد فسّرت أنّها بدأت محاولة الاتّصال به في التّاسعة ووصلت هنا حوالي ساعة بعد ذلك.

- وكان قد فارق الحياة، أليس كذلك؟

- تماماً، وقد اتّصلت بالنّجدة من هاتفها المحمول، فأتت سيارة إسعاف على الفور تقريباً ولاحظ المسعفون أنّه قد فارق الحياة فاتّصلوا بطبيب الحي. وبما أنّ الطّبيب شكّ في طبيعة الوفاة اتّصل بالشرطة.

- امممم... دمدم كوساناغي وهو ينظر إلى زميلته التي ابتعدت عنه وراحت تتأمّل صِواناً بأبواب زجاجية صغيرة.

- وأين هي هيرومي واكاياما الآن؟

- ترتاح في إحدى سيارات الشرطة برفقة الرئيس.

- أيوجد الرئيس هنا؟ لماذا إذاً لم أره في الخارج؟ قال كوساناغي مُلاحظاً وهو يُميز ملامحه. وهل عُرفت سبب الوفاة؟

- كلا، لكن ربّما كان السمّ سبَبَها. لا يُمكننا إقصاء احتمال الانتحار، لكن فرضية القتل تبدو محتمَلَة أكثر، وهو سبب وجودنا هنا.

- هكذا إذاً، قال كوساناغي مُعلّقاً وهو يُتابع ببصره زميلته المتوجّهة إلى المطبخ. وعندما كانت هذه الهيرومي واكاياما قد وصلت، هل وجدَت الباب مُغلقاً بالمفتاح؟

- أجل.

- وكانت النّوافذ مُقفلة أيضاً؟ هل كان بالإمكان ولوج المنزل من غير الباب؟

- لقد وجد رجال شرطة مفوضية الحي كلّ النّوافذ مُغلقة ما عدا نافذة الحمّام في الطابق السفليّ.

- أفي الطابق السفلي حمّام؟ وهل النافذة واسعة حتى يستطيع أحد الدخول منها؟

- لم أُجرّب، لكن ذلك يبدو صعباً.

- قد يكون مات انتحاراً، في هذه الحال، قال كوساناغي وهو يتهاوى في أريكة. وإلّا فمَن كان بإمكانه وضع السّم في قهوته؟ وكيف استطاع مَن وَضَع السم مغادرة المنزل؟ إنّها حكاية غريبة! أنا لا أفهم كيف ترى مفوضية الحي أنّ في الأمر جريمة قتل.

- لو كان الأمر حُدّ في هذا لكانت فرضية الانتحار قوية.

- لماذا؟ هل هناك أمر آخر؟

- في أثناء تفتيش شرطة الحي للمكان رنّ هاتف الضحية

فأجاب زميل. كان مصدر المكالمة هو مطعم في إبيسو حيث كان السّيد ماشيبا قد حجز مائدة للساعة الثامنة، لشخصين. وقد اتّصل المطعم لأن الوقت كان يمرّ وهو لم يحضر. كان قد حجز المائدة حوالي الساعة السادسة مساء وثلاثين دقيقة. أتتذكّر أنّه لم يردّ عندما اتصلت به الآنسة واكاياما حوالي التّاسعة مساء؟ إنه ليبدو لي غريباً أن يكون شخص قد حجز مائدة في مطعم في الساعة السادسة وانتحر نصف ساعة بعد ذلك. إنّ ردّ فعل مفوضية الحيّ يبدو لي مُبرّراً.

ارتسم تعبير خيبة على ملامح كوساناغي وراح يفرك حاجبه.

- كان عليك أن تُخبرني بذلك قبل الآن.

- لم تترك لي الوقت بأسئلتكَ الكثيرة هذه.

- أنت تُثير أعصابي! قال كوساناغي وهو يعود للوقوف مُوجّهاً ضربة إلى فخذه.

خرجت كاورو أوتسومي من المطبخ وعادت للوقوف أمام الصوان وجعلت تتفحّصه بانتباه.

- بدل أن تتجوّلي على هذا النّحو كان يحسن بكِ أن تُنصتي لكيشيتاني!

- سبقَ له أن حكى لي كلّ شيء. شكراً كيشيتاني.

نكّس زميلُها رأسه.

- ما له هذا الصّوان؟

- انظرا، قالت وهي تُشير بإصبعها نحو الدّاخل. ألا ترون أنّ شيئاً ما قد يكون ناقصاً هنا؟

هي على حقّ. يوحي فراغ بأنّ أمراً ما يوضع ثمّة في العادة وهو الآن غير موجود.

- أجل، من المحتمل أن يكون الأمر كما تقولين.

- لقد رأيت في المطبخ خمس كؤوسٍ للشمبانيا موضوعة في مُجفّف الأواني.

- وهي تُرتَّب في العادة هنا.

- هذا ما أراه.

- ماذا إذاً؟ هل يُغيِّر ذلك من الأمر شيئاً؟

رفعت أوتسومي رأسها في اتّجاه كوساناغي وحرّكت شفتيها. لكنّها آتت حركة من رأسها كما لو كانت قد غيَّرت رأيها.

- لا شيء ذا أهمية. لا بدّ أن يكون الزّوجان ماشيبا قد استقبلا ضيوفاً لتوّهما. أعتقد أنّهما لا يستعملان هذه الكؤوس إلّا عندما يستقبلون ضيوفاً.

- أرى ما تريدين قوله. ربّما كانوا في محيطهم هذا يُكثرون من الاستقبال في بيوتهم، لكن حتّى لو كانا قد استقبلا حديثاً أصدقاء لهما فإنّ ذلك لا يُقصي إمكانية الانتحار، قال كوساناغي وهو يلتفت نحو كيشيتاني. الكائنات البشرية معقّدة ومتناقضة أحياناً. البشر إن رغبوا في الموت ماتوا.

هزّ زميله رأسه نصف مُقتنع بما سمع.

- والزّوجة؟ سأل كوساناغي.

- ماذا؟

- نعم، زوجة الضّحية، أريد أن أقول زوجة المتوفّى، هل أُخطرت؟

- لا، ليس بعد. فهي بحسب الآنسة واكاياما توجد في بيت أبويها بسابورو. هما لا يقطنان بالمدينة، وحتّى لو استطعنا الاتّصال بها فإنّه لن يكون بمقدورها العودة هذه الليلة.

- مستحيل أن تستطيع العودة هذه الليلة من هوكايدو.

ارتاح كوساناغي لِما سمع. بمعنى آخر، لو كان بإمكانها المجيء هذه الليلة لَكَانَ مفروضاً بقاءُ أحدٍ هنا لانتظارها، وهو بعامة مَن كان يعهد له رئيسه ماميا بهذا الضّرب من المهامّ.

الوقت متأخّر، والتحقيق في الجوار سيُجرى لا شكّ يوم غد. وفي اللحظة التي قال فيها كوساناغي في سرّه إنّه سيكون بمُستطاعه بالتأكيد العودة إلى حال سبيله، انفتح الباب وظهر الوجه المربّع لماميا في الانفراجة.

- أنت هنا يا كوساناغي، لقد تأخّرت في الحضور!

- لا تعتقد أنّني إنّما أتيت الآن! لقد فسّر لي كوشاتاني كلّ شيء.

حرّك رئيسه رأسه والتفت وراءه.

- ادخلي من فضلك.

كانت الشّابة التي قصدها بكلامه في العشرين من عمرها تقريباً. طويلة ورقيقة المظهر. لم يكن شعرها الطويلُ قليلاً مصبوغاً، على عكس أغلبية النّساء اللّواتي هنّ من سنّها، وكان سواده الفاحم يُبرز بقوة بياض بشرتها. بَيْدَ أنّ الدّقة تقتضي أن نقول أيضاً إنّ وجهها كان في تلك اللحظة شاحباً، لكنّ ذلك لم يُقلّل في شيء من جمالها. وزيادة على ذلك، فإنّها كانت تُجيد وضع أصباغها.

خمّن كوساناغي أنّها هيرومي واكاياما.

- قلتِ لي قبل قليل إنّك اكتشفتِ الجثّة لدى ولوجكِ القاعة، هل الأمر هكذا؟ أكنتِ توجدين تقريباً في المكان الذي أنت فيه الآن؟

التفتَت لإلقاء نظرة في اتّجاه الأريكة، مفكّرة على الأرجح في اللحظة المأتمية التي اكتشفت فيها الجثّة.

- أجل، على ما أعتقد، أجابت بنبرة ضعيفة.

وربّما لأنها كانت تبدو في حالة يُرثى لها حصل الانطباع لدى كوساناغي أنّها تجد صعوبة في البقاء ثابتة على ساقيها. لا بدّ أن تكون الصّدمة قد زلزلتها.

- أنتِ لم تأتِ هنا منذ أمس الأول، هل الأمر هكذا؟ سأل ماميا باحثاً عن تأكيدها لما يقول.

ردّت بحركة من رأسها إيجاباً.

- أتُلاحظين أنّ شيئاً قد تغيّر خلال هذه المدّة الزمنية الفاصلة بين زيارتَيْكِ؟ كل شيء مهم حتى ولو كان تفصيلاً في غاية الصّغر.

أجالت بصرها في القاعة مرتسماً على محياها ما يُشبه الذّعر، ثم حرَّكت رأسها.

- لا أدري. لم أكُن بمفردي خلال الأمسية الأولى، وكنّا قد تعشينا و... قالت مُفسّرة مُرتعشة الصّوت.

أوحى لها ماميا أنّه متفهّم وقطّب حاجبيه كما لو ليُظهر تسليمه بما تقول.

- قد تكونين مُرهَقَة. عودي إلى بيتكِ واستريحي. وإن لم يكن في ذلك إزعاج أُريد أن أطرح عليك غداً بضعة أسئلة.

- لا يُزعجني ذلك، لكنّني لن أُفيدكم بالتأكيد بشيء ذي بال.

- ربّما، لكنّنا في بحثٍ دائم لمعرفة أكبر قدر ممكِن من المعلومات. وأرجو أن تقبلي مدّ يد العون لنا.

- أجل، تمتمت هيرومي واكاياما من دون أن ترفع رأسها.

- سأطلب من أحدهم مُصاحبتكِ، أضاف ماميا وهو ينظر إلى كوساناغي. هل أتيتَ بسيارتك؟

- كلّا، أتيت في سيارة أجرة، أنا آسف.

- لماذا أنتِ اليوم بلا سيارة؟

- أنا لا أستعملها عادة في مثل هذا الوقت.

فرقع ماميا لسانه خيبةً.

- أنا أتيت اليوم بسيارتي، قالت كاورو أوتسومي.

فالتفتَ رئيسها نحوها مُفاجأً ممّا سمع.

- يبدو أنّنا لا نحرم أنفسنا من شيء، على ما أرى!

- كنت أتعشّى في مطعم عندما رنّ هاتفي. معذرة.

- لا داعي للتّبرير، أتقبلين إعادة الآنسة واكاياما إلى بيتها؟

- بالطّبع. لكن قبل ذلك أبإمكاني طرح سؤال أخير عليها؟

بدا تعبير مُحيَّر على ملامح ماميا، وانقبضت ملامح هيرومي واكاياما.

- وما هو سؤالك؟ قال ماميا.

خطت أوتسومي خطوة نحوها دون أن تُغادرها ببصرها.

- يبدو أنّ السّيد ماشيبا قد انهار وهو يشرب قهوته، لكنّني أُريد سؤالك عمّا إذا كانت عادته ألّا يستعمل الصّحن الصّغير للفنجان.

جحظت عينا هيرومي واكاياما وتحيَّرت نظرتها.

- حسناً... أوه... ربّما لم يكن يستعمله عندما يكون وحيداً.

- ما يعني أنّ أحداً كان قد زاره اليوم أو أمس. هل لكِ فكرة عن هُوية هذا الزّائر؟

نظر كوساناغي إلى زميلته من الجانب وهي تتحدّث بنبرة واثقة.

- كيف عرفتِ أنّه استقبل أحداً؟

- يوجد في مغسَل المطبخ فنجان قهوة مستعمل وصحنان صغيران. ولو كان السّيد ماشيبا قد استعمل صحن الفنجان لما كان ثمّة صحنان.

ذهب كيشيتاني إلى المطبخ ليتأكّد ممّا سمع وعاد على الفور.

- أوتسومي على حقّ. في المغسل فنجان وصحنان.

تبادل كوساناغي نظرة مع رئيسه ووجّه نظرته من جديد إلى هيرومي واكاياما.

- ألكِ فكرة عن هذا الموضوع؟

نفَت برأسها وقد ارتَسَم القلق على محياها.

- كلّا... ليست لي أدنى فكرة عن ذلك. أنا لم أعُد إلى هنا منذ أمس الأول. كان الزّوجان ماشيبا قد استقبلا ضيوفاً، لكنّني لا علم لي بشيء آخر غير هذا.

أدار كوساناغي نظرته من جديد نحو رئيسه الذي جعل يقول ثانية مُتفكّراً.

- حسناً. شكراً لكِ على قبولك البقاء معنا إلى هذه السّاعة المتأخّرة. أنا أُعوّل عليك يا أوتسومي. كوساناغي، رافقهما.

- أجل سيدي، قال هذا الأخير الذي فهم ما يرمي إليه ماميا.

هيرومي واكاياما تُخفي أمراً ما وهو يُعوّل عليه ليعرف ما هو.

عندما غادر المنزل برفقة السّيدتين، خاطبته زميلته:

- سآتي بسيارتي. لقد ركنتها في مرأب ما دامت ليست سيارة خدمة. لن أتأخّر.

في أثناء انتظارهما جعل كوساناغي يتملّى المرأة الشّابة التي بدت له متأثّرة جدّاً، كما بدا له أنّ هذا الإنهاك لا يمكن أن يكون ناتجاً عن صدمتها من رؤية جثة فحسب.

- ألا تشعرين بالبرد؟ سألها.

- لا، لا.

- أكنتِ ستخرجين هذا المساء؟

- لا، بالطّبع لا.
- آه! اعتقدتُ أنّك ربّما كنتِ مرتبطة بموعدٍ مع شخص ما.
لاحظ أنّ المرأة حرّكت شفتيها كما لو كانت تتردّد في الحديث.
- أخشى أن نكون قد طرحنا عليك هذا السّؤال من قبل، لكنّني أُريدك لو تكرّمت أن تُجيبيني...
- في شأن أيّ موضوع؟
- لماذا راودتكِ فكرة الاتّصال بالسّيد ماشيبا؟
- عندما عهدت إليّ السّيدة ماشيبا بمفتاح المنزل قلت لنفسي يحسن بي أن أتّصل به من حين لآخر لأكون في خدمته إن احتاجني في شيء...
- وأتيتِ إلى غاية هنا لأنّه لم يُجِبْك على الهاتف، هل الأمر هكذا؟
- أجل، قالت بهدوء مع حركة من رأسها.
وأمال كوساناغي رأسه إلى الجانب.
- يحصل للنّاس أحياناً ألّا يُجيبوا على هاتفهم المحمول، أليس كذلك؟ ولا على الثّابت أيضاً. ألم تقولي مع نفسك إنّه قد يكون ربّما خرج أو أنّه ليس بإمكانه أن يردّ على محموله؟
أجابت بالنّفي بحركة من رأسها، بعد برهة.
- لا، أبداً...
- لماذا؟ هل كنتِ قلقة عليه؟
- لا، ليس الأمر كذلك. فقط انشغلتُ قليلاً.
- انشغلتِ...
- أمَا كان يجب عليّ؟ أو ما كان عليّ أن آتي إلى البيت؟
- بلى، ليس هذا ما أردتُ قوله. أنتِ اعتبرتِ نفسك مسؤولة

فقط لأنّ السّيدة ماشيبا عهدت لك بالمفتاح، هل الأمر هكذا؟ أنا أعتبركِ رائعة، وقد أثبتَت الأحداث اللّاحقة أنّك كنت مُحقّة إذ انشغلتِ. لقد أحسنتِ صنعاً.

بدا أنّها لم تُعِر ما قاله اهتماماً وأدارت رأسها.

توقّفت سيارة من نوع باجيرو ذات لون أحمر فاقع أمامهما ونزلت منها كاورو أوتسومي.

- أنت تملكين سيارة دفع رباعيّ؟ سأل كوساناغي جاحظَ العينين.

- إنّها مُريحة، أجابت وهي تدعو الآنسة واكاياما للصّعود.

جلست في المقاعد الخلفية وفعل كوساناغي مثلها.

أخذت أوتسومي مكانها بدورها وشغّلت مُحدّد المواقع. كانت قد سجّلت سلفاً عنوان زبونتها التي تقطن مقاطعة ميغورو.

- أعذرني. . . قالت هيرومي واكاياما ما أن انطلقت السّيارة. بالنّسبة إلى السّيد ماشيبا. . . ألا تعتقد أنّ للأمر علاقة بحادث أو بانتحار؟

نظر كوساناغي إلى السّائقة فالتقَت نظرتاهما في المرآة العاكسة.

- من السّابق لأوانه معرفة ذلك. لا مناص من انتظار نتائج التّشريح.

- لكن ألستم تنتمون إلى فرقة مكافحة الجريمة؟

- بلى، لكنّنا حتّى الآن لسنا متأكّدين من أنّ للموت علاقة بالقتل. لا يُمكننا أن نقول أكثر من هذا، أو بالأحرى لا علمَ لنا بأكثر من ذلك.

- آه، فهمت، قالت المرأة بصوت خفيض.

- لو تكرّمتِ، أُريد أن أسألك ما إن كانت لك فكرة عن هُوية القاتل، في حال ما إذا كان للأمر علاقة بالقتل.

حصل لكوساناغي انطباع بأنّها تحبس أنفاسها فركّز انتباهه على شفتيها.

- لا أدري... السّيد ماشيبا هو زوج أستاذتي، ولا أكاد أعرفُ عنه أي شيء، أجابت بصوت يفتقِد للقوة.

- حسناً... لا عليك إن لم يكُن بإمكانك الجواب. وإن راودكِ أمر آخر لا تتردّدي في إطلاعنا عليه.

اكتفت بالتزام الصّمت ثابتة.

لمّا وقفت السيارة قبالة مسكنها نزلت وأتى كوساناغي ليجلس إلى جانب زميلته.

- ما رأيكِ؟ سأل من دون أن ينظر نحوها.

- ألا ترى أنّها ذاتُ شخصية؟ عقّبت وهي تُدير المحرّك من جديد.

- شخصية؟ أترين ذلك؟

- نعم، ألم تكن كلَّ الوقت على حافة البكاء، بيد أنّها نجحَت في عدم سفح دمعة واحدة أمامنا؟

- ربّما استطاعت حبس دموعها لأنّها ليست حزينة إلى تلك الدّرجة.

- لا، أنا متأكّدة أنّها قد بكت، وأنّها لم تكفّ عن البكاء وهي تنتظر وصول سيارة الإسعاف.

- كيف أمكنكِ أن تعرفي؟

- من الطّريقة التي عدّلت بها زينةَ عينيها. لقد لاحظتُ أنّها أضفَت عليهما لمسات.

تفرّس كوساناغي وجه زميلته من الجانب.

- أتعتقدين حقّاً...

- أنا متأكّدة من ذلك.

- النّساء لا يرين الأمور مثلنا. وأُدقّق أنّ ما قلته يدخل في باب المديح.

- فهمت قصدكَ، قالت مع ومضة ابتسامة. لكن ما هي استنتاجاتكَ؟

- كي أكون موجِزاً، تبدو لي مشبوهة. أنا أقبَل أن تشعر بالمسؤولية بسبب المفتاح، لكن أن تذهب امرأة شابة مثلها لترى ما يحدث في منزل رجلٍ يوجد فيه وحيداً...

- أتّفق معك. لو كنت مكانها لما فعلتُ ذلك بأيّ حال من الأحوال.

- أيكون من المبالغة القولُ إنّهما هي والضّحية كانا عشيقين؟

تنهّدَت من طرف خفي.

- بالعكس، ليس هذا البتّة من باب المبالغة، بل أنا لا أرى تفسيراً آخر. ومن المرجّح أنّهما كانا مُقبلين على العشاء سوية هذا المساء.

- في هذا المطعم المسمّى إيبيسو! قال كوساناغي مُتعجّباً وهو يضرب على ركبته.

- ألم يتّصل المطعم لأنّ الزّبون لم يأتِ؟ وكان الحجز لشخصين؟ وإذاً فلا السّيد ماشيبا ولا مدعوّته كانا قد حضرا.

- ويُفسّر كلَّ شيء أن تكون هيرومي واكاياما هي هذه المدعوة.

اقتنع كوساناغي على الفور بأنّ الأمور جرت بهذه الشّاكلة.

- إن كان ما نقوله صحيحاً، أعتقد أنّ بإمكاننا أن نضع كلّ شيء في نصابه بسهولة.

- كيف؟

- فنجانا القهوة. فلا بدّ أن يكونا هما مَن استعملا اللّذين يوجدان في مغسل المطبخ، وإن كان الأمر كذلك ستكون بصماتها على أحدهما.

- أفهم ما ترمين إليه، لكنّ هذا لا يعني أنّ علينا أن نُعاملها كأنّها واحدة من المشتبه بهم.

- أنا واعية بما تقول، قالت قبل أن تركن السيارة إلى جانب الرّصيف. أيمكنني إجراء مكالمة؟ أُريد التّأكّد من أمر.

- بالطّبع، لكن بمن تُريدين الاتّصال؟

- بهيرومي واكاياما، طبعاً!

ركّبت الرّقم أمام العينين المدهوشتين لكوساناغي، فاستوَت المكالمة.

- الآنسة واكاياما؟ أنا كاورو أوتسومي، مفتّشة الشّرطة التي أقلّتك إلى منزلك قبل قليل... لا، لا، لا شيء ذا خطر. نسيت أن أسألك عمّا تعتزمين القيام به غداً... آه، فهمت. حسناً. معذرة على الإزعاج. خذي قسطك من الرّاحة، قالت قبل أن تُنهي المكالمة.

- وماذا ستفعل غداً؟ سأل كوساناغي.

- لم تُرتّب لشيء بعد، وستكون بالتّأكيد في بيتها ما دام مَشغَل الفسيفساء النّسيجية سيكون مُقفلاً على الأرجح.

- آه!

- إن كنت قد اتّصلت بها فليس فقط كي أعرف ما ستصنعه غداً.

- ماذا تقصدين؟

- سمعتُها تبكي. أرادت إخفاء نبرة البكاء لكنّها لم تُفلح. لا بدّ أن تكون قد انفجرت باكية ما أن التحقت ببيتها.

تجمّد كوساناغي في مقعده.

- أمن أجل هذا اتّصلتِ بها؟

- يُسبّب اكتشاف ميت صدمة ويُمكنه أن يُؤدّي إلى أزمة بُكاء. لكن أن تكون قد عاودت البكاء بعد ساعات من...

- وهذا يعني، من وجهة نظرك أنّهما كانا يُقيمان علاقة بينهما، قال كوساناغي مع بسمة. أنتِ تُبهرينني.

- هذا لطف منك، قالت زميلته وهي تُرخي الكابح اليدوي باسمة بدورها.

انتزعت رنّة الهاتف كوساناغي من نومه صباح اليوم التّالي، وكان مصدر المكالمة هو ماميا. كانت السّاعة السّابعةَ تماماً.

- تبدو مُبكّراً اليوم، قال مُتجرّئاً.

- اعتبر نفسك سعيداً أن استطعتَ النّوم في بيتك. سينعقد اجتماع هذا الصّباح في مفوضية ميغورو. ستكون هي مقرّ فرقة التّحقيق، وابتداء من هذا المساء، لن تستطيع بالتأكيد النّوم من جديد في بيتك.

- وهل اتّصلت لتقول لي هذا؟

- بالطّبع لا. أُريدك أن تذهب على الفور إلى هانيدا.

- هانيدا؟ ولماذا؟

- من يقول هانيدا يقول المطار، أليس الأمر هكذا؟ توجد السّيدة ماشيبا في الطائرة التي تُعيدها من سابورو. اذهب لاستقبالها وأحضِرْها إلى مفوضية ميغورو.

- هي على علمٍ بما وقع؟

- مبدئياً نعم. اذهَبْ برفقة أوتسومي في سيارتها. ستنزل الطائرة في الثامنة.

- الثامنة! ردّد كوساناغي وهو يقفز من سريره.

رنّ هاتفه من جديد بينما كان يستعدّ للمغادرة مُسرعاً. كان المتّصل هو أوتسومي لتخبره أنّها تنتظره أمام العمارة.

انتهجا طريق المطار على متن سيارتها الباجيرو الحمراء.

- ليست مهمةً جيدة هذه التي كُلّفنا بها. أنا لن آلَفَ أبداً لقاء عائلات الضّحايا.

- قال الرئيس إنّكَ أنت من بيننا الذي تُجيد إنجاز هذه المهمة.

- العجوز قال هذا؟

- لأنّ لك وجهاً مُطَمْئِناً.

- ما معنى هذا؟ أنّني أبدو في هيئة غبيّ؟ قال كوساناغي خائباً.

عندما وصلا إلى المطار كانت السّاعة الثّامنةَ إلّا خمس دقائق، وكان بهو الوصول غاصّاً بالمسافرين. بحث المفتّشان بعيونهما عن أياني ماشيبا، في علمهما أنّها ترتدي معطفاً فاتحاً وأنّ حقيبتها زرقاء.

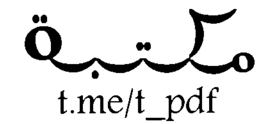
- ألا ترى أنّها هي؟ سألت أوتسومي بغتة.

نظر في الاتّجاه الذي أشارت إليه. كانت المرأة تُوافق الوصف

الذي أُعطي لهما، يرتسم في عينيها تعبير حزين، وتبدو من هيأتها متوتّرة.

- أعتقد أنّك على صواب، قال كوساناغي.

كان متأثّراً وهو يُثبّت بصره على المرأة من دون أن يفهم لماذا يشعر بنفسه مُبلبلاً إلى هذا الحدّ.



4

ما أن تمّ التّعارف بينهم حتّى سألت أياني ماشيبا المفتّشين، أوّل ما سألت، عن مكان وجود جثة زوجها.

- سيُجرى تشريح لكن لا تفاصيل لي عن ذلك حتّى الآن. سأسأل وأُخبركِ، أجابها كوساناغي.

- هكذا... لا يمكنني إذاً أن أراه الآن، وشوشت أياني وعلى محيّاها تعبير خيبة أمل.

حصل لدى كوساناغي انطباع بأنّها تتحكّم بصعوبة في دموعها، وكانت تبدو على وجهها لطخات حمراء، ما قد لا يكون معتاداً لديها.

- ستُسلّم لك الجثّة بمجرّد فراغ الطبيب الشرعيّ من عمله، أضاف واعياً بصرامة نبرته.

ليس سهلاً دائماً اللقاءُ بعائلة المتوفّى، لكن المشاعر التي تسيطر عليه اليوم هي من طبيعة أخرى.

- أنا أشكركَ.

بدا صوت أياني ذو النّبرة الفخمة جذّاباً في مسمع كوساناغي.

- نُريد أن نطرح عليكِ بضعة أسئلة في مفوضية ميغورو، إن لم يكُن في ذلك إزعاج لك.

- حسناً، أنا على علمٍ بذلك.

- شكراً على موافقتكِ. تُرافقيننا لو تكرّمت! لدينا سيارة.

أركبها في المقاعد الخلفية للباجيرو، وذهب للجلوس إلى جانب زميلته.

- أين كنتِ عندما أُعلمتِ بالخبر أمس؟ سأل كوساناغي وهو يلتفت نحوها.

- في نبع ماء حارّ غير بعيد عن سابورو. كنت هناك برفقة صديقة قديمة، إذ كنّا قرّرنا منح نفسنا هذه المتعة الصّغيرة. كان محمولي مُقفلاً فلم أنتبه لشيء... إلى أن استمعتُ لرسائلي قبل النّوم، قالت مُفسّرة.

قطعت كلامها وأطلقت تنهيدة مديدة.

- فكّرت بدءاً في مزحة ثقيلة إذ لم يسبق لي قطّ أن تلقّيت رسائل من الشّرطة.

- هذا لا يدعو للاستغراب، قال كوساناغي.

- ثم... أوه... ما الذي حصل بالتّدقيق؟ فأنا لستُ متأكّدة من أنّني قد فهمت.

انحبست حنجرة المفتّش وهو يسمع سؤالها. لو كانت تجرّأت لطرحت عليهما مُباشرة السّؤال الذي يدور في خلدها.

- ما الذي أخبروكِ به في الهاتف؟

- أنّ زوجي مات، وموته يبدو مشبوهاً، وأنّ من المفروض أن تقوم الشّرطة بعملها. لا أعلم شيئاً أكثر من هذا.

لم يكن بإمكان الشّرطي الذي اتّصل بها أن يقول لها أكثر من ذلك. لكن من المرجّح أنّ هذه اللّيلة كانت بمثابة كابوس بالنّسبة إلى أياني ماشيبا. فهي قد لا تكون ربّما أغمضت عينيها، وقد شعر

كوساناغي بالضّيق من تصوّره الأفكارَ التي لا بدّ أن تكون قد تناوبت على ذهنها وهي في الطّائرة.

- مات زوجكِ في بيته، ونحن نجهل سبب الوفاة. لا يبدو عليه أيّ جرح ظاهر والآنسة واكاياما هي التي عثرت عليه ممدّداً أرضاً في قاعة الاستقبال.

- آه، هيرومي هي التي... قالت أياني.

أدار كوساناغي بصره في اتّجاه زميلته وهي تسوق، وقامت هي بالمثل، فالتقت نظرتاهما.

أوتسومي تُفكّر بالتّأكيد في ما يُفكّر هو فيه نفسه، إذ لم يكن قد انقضى إلّا أقلّ من اثنتي عشرة ساعة على مُناقشتهما للعلاقة التي قد تكون قائمة بين الضّحية وواكاياما.

المرأة الشّابة هي التلميذة المفضّلة لأستاذتها ومن المفروض أنّها تعتبرها بمثابة ابنة لها، ما دامت قد استُدعيت لتناول العشاء برفقتهما. وإن كانت لهذه التّلميذة علاقة بالضّحية فستكون قد تصرّفت كمثل كلب يعضّ كفّ مُعيله.

يكمُن لبّ المشكل في تحديد ما إن كانت أياني على علمٍ بهذه العلاقة، وسيكون من باب الادّعاء التأكيدُ على حتمية علمها بهذه العلاقة، ذلك أنّ كوساناغي يعرف بالتّجربة أنّ القرب بإمكانه أن يُعمِيَ عن الحقيقة.

- هل كان زوجكِ يُعاني من مرض ما؟

- لا، لا أعتقد. هو يُجري تحاليل طبية بانتظام، ويجد كلّ شيء عادياً. كان يشرب الخمر، لكن من دون إفراط.

- لم يسبِقْ له أن أُغمي عليه؟

- لا أعتقد. وفي جميع الأحوال لم يسبِق لي أن كنتُ شاهدة على ذلك، ولا يُمكنني أن أتخيّله مُغميً عليه، أجابت حاملة كفّها إلى جبهتها وكأنّ رأسها آلمها.

أسرّ كوساناغي لنفسه أنّ من المستحسَن عدم محادثتها الآن في أمر السم. فإلى أن تظهر نتائج التّحليل وجب إضمارُ إمكانية الانتحار أو القتل.

- حتّى الآن، نحن نعتبر وفاته مشبوهةً، قال. نحن مُطالبون في هذا النّوع من الوضعيات بأن نُسجّل بأكبر قدر من الدّقة ظروف الوفاة، سواء أكانت ناتجة عن حادث ما أو لم تكن كذلك. وقد قدّمت لنا الآنسة واكاياما عوناً كبيراً واستطعنا تجميع معلومات مادية من منزلكم، قبل أن نُفلح في الاتّصال بك.

- نعم، لقد علمتُ بذلك أمس مساء.

- تزورين أبويك باستمرار في سابورو؟

أصدَرَت حركة نفي من رأسها.

- هذه أوّل مرّة منذ تزوجت.

- هل كان قد طرأ لهما شيء؟

- حالة والدي سيئة، كما أنّني لم أرَه منذ مدّة. لكنّني وجدتُ صحّته أحسن بكثير ممّا كنتُ أعتقد، فقرّرتُ أن أقوم بتلك الرّحلة الصّغيرة مع صديقة لي.

- مفهوم. ولماذا كنتِ عهدتِ بالمفتاح للآنسة واكاياما؟

- لربّما احتاجته، فهي تُساعدني في عملي وقد تحتاج استعمال وثائق أو قطعة فسيفساء نسيجية أحتفظ بها في المنزل.

- هي قالت لنا إنّها اتّصلت بزوجكِ للاطمئنان على أنّ كلّ شيء على ما يُرام، وإنّها قرّرت أن تزور بيتكم لأنّها قلقت عندما لم

يُجب. هل كنتِ طلبتِ منها العنايةَ به؟ سأل كوساناغي وهو يزنُ كلماته ليكون متأكّداً من أنّه يُحدّثها فيما يعنيها.

عقدت أياني حاجبيها وحرّكت رأسها.

- لم أعُد أذكر. قد أكون طلبت منها ذلك. لكنّ هذا لا ينفي أنّها قد تكون أخذت المبادرة من تلقاء نفسها، فهي نابهة... هل الأمر مُهمّ عندكم؟ هل يطرح مشكلاً عندكم أن أكون قد تركتُ لها المفتاح؟

- لا، أبداً. أنت تُؤكّدين لنا ما أدلَت لنا به هي أمس.

وضعت أياني كفّيها معاً على وجهها.

- هذا لا يُصدّق أبداً. لقد كان في كامل عافيته يوم الجمعة مساء وقد استدعينا أصدقاء إلى العشاء وكان يبدو في قمّة سعادته... واصلَت قائلة بصوتٍ مرتعش.

- أنا أتفهّم طبيعة مشاعرك. ومَن هُم هؤلاء الأصدقاء الذين استدعيتموهم يوم الجمعة؟

- أحد أصدقاء زوجي سبَقَ لهما أن درسا معاً وزوجته، أجابَت ثمّ أخبرته باسميهما.

أزاحت كفّيها عن محياها.

- أودّ أن أطلب منكما أمراً، قالت بصوت متوتّر.

- ما هو؟

- هل من الضّروريّ أن نمرّ فوراً إلى المفوضية؟

- لماذا تسألين؟

- أُريد أن أمرّ إلى البيت قبل ذلك. أودّ رؤيةَ المكان الذي سقط فيه... هل هذا ممكن؟

ألقى كوساناغي نظرة في اتّجاه زميلته. كانت مُركّزة على الطّريق أمامها وهي تقود.

- سأطلب رأي رئيسي في ذلك، قال وهو يُخرج محموله.

فتح ماميا الخطّ فأخبَرَه بطلب أياني. تردّد رئيسه لحظة ثمّ أبدى موافقته.

- لقد تطوّرت الوضعية قليلاً. هي ربّما فكرة جيدة أن تستجوباها في بيتها. خذاها إليه.

- ما طبيعة هذه التّطورات؟

- سأُحدّثك عنها لاحقاً.

- حسناً، قال قبل أن يُنهي المكالمة. سنذهب إلى بيتك، قال مُخاطباً أياني.

- أحسن، قالت بصوتٍ خفيض.

التفت كوساناغي فرأى أياني تُركّب رقماً على محمولها.

- ألو، هيرومي؟ هذه أنا، أياني.

بُوغِتَ كوساناغي لأنّه لم يكن يتوقّع مكالمة مثل هذه، لكنّه لم يكُن بإمكانه أيضاً أن يأمرها بإقفال الخط.

- أجل، أنا على علمٍ بذلك، وأنا بصحبة رجلَي شرطة يُرافقانني إلى المنزل. يا هيرومي المسكينة! لا بدّ أنّ ذلك كان رهيباً!

شعر كوساناغي بالانزعاج لأنّه لم يستطِعْ تخيّل ردّ فعل مُساعِدة أياني. ألن تُفشي سرّها، مأخوذة بحزنها على فَقد الرّجل الذي كانت تُحبه؟ فأياني لا يُمكنها أن تبقى غير مُبالية.

- أجل، ذلك ما علمته. لكن بالنّسبة إليكِ أنتِ هل أنتِ بخير؟ آمل أن تكوني كذلك. هكذا إذاً! أنا سعيدة بسماع هذا منك.

أخبريني يا هيرومي، أبإمكانكِ المجيء إلى المنزل؟ سأتفهّم إن لم تستطيعي المجيء، لكنّني أُحبّ أن تحكي لي ما جرى.

استنتج كوساناغي ممّا سمع أنّ المساعِدَة لم تفقد السّيطرة على نفسها، لكنّه لم يكن يتوقّع أن تطلب منها أياني المجيء.

- بإمكانكِ المجيء؟ نلتقي إذاً بعد حين. حسناً، شكراً لك. وأنتِ أيضاً، راعي صحّتك، قالت في الأخير قبل أن تُقفل الخط.

سمعها تتنفّس بعُمق.

- هل ستأتي الآنسة واكاياما؟ سألها.

- أجل. أوه، هل يطرح ذلك مشكلاً؟

- لا، البتّة، ما دامت كانت أوّل مَن وصل إلى المكان. أنتِ مُحقّة إذ تُريدين سماع كلّ شيء مُباشرة منها، أجابَ وهو يشعر ببعض التوتر.

بدَت له مُبهِرَةً فكرةُ سماع عشيقة الرّجل الذي تُوفي لتوّه وهي تصف لزوجته كيف جرت الأمور. وفضلاً على ذلك، فهو سيستطيع بالتّأكيد، انطلاقاً من مراقبته النّابهة لأياني في أثناء حكي مُساعِدتها، أن يُدرك ما إن كانت قد انتبهت إلى العلاقة التي كانت قائمة بين المرأة الشّابة وزوجها.

غادرت الباجيرو الطريق السيّار الحضريّ وبدأت تقترب من مسكن عائلة ماشيبا. أوتسومي تعرف الطريق التي عليها سلكها لأنّها أتت بسيارتها إليه أمس.

كان ماميا قد وصل سلفاً عندما ترجّلوا من السّيارة فقدّم كوساناغي أياني له.

- تقبّلي تعازي القلبية، قال رئيسه وهو ينحني أمام أياني قبل أن يلتفت لمرؤوسه. هل فسّرتَ لها كيف جرت الأمور؟

- الخطوط العريضة، على أيّ حال.
ولّى ماميا عنه مُلتفتاً للأرملة.
- نودّ طرح بعض الأسئلة عليكِ. أنا أعتذر إذ لا نترك لكِ فسحة للرّاحة.
- هذا لا يُزعجني.
- حسناً، هيا إلى الدّاخل. كيشيتاني، هات المفاتيح.
أخرَجَها كيشيتاني من جيبه وتسلّمتها أياني كأنّها مُتردّدة.
فتحت الباب وتبعتها الفرقة الصغيرة إلى الداخل، في أعقابهم كوساناغي حاملاً الحقيبة.
- أين كان زوجي؟ سألَت ما إن دخلوا.
- هنا، قال ماميا وهو يُشير إلى المكان.
كان موضع الجثّة مُعلّماً بشريطٍ بلاستيكيّ. تجمّدت أياني في مكانها وهي تنظر إلى المكان واضعة كفّها على فمها.
- قالت الآنسة واكاياما إنّها عثرت عليه هنا، صرّح ماميا مُفسّراً.
جعل جسد أياني يرتعش من حزنها واضطرام مشاعرها. جَثَت على الأرضية ولاحظ كوساناغي أنّ كتفيها ترتجّان، وسمع نشيجها المكتوم.
- في أيّ ساعة حصل ذلك؟ سألت بصوتٍ ضعيف.
- عثرت عليه الآنسة واكاياما حوالي الثّامنة.
- حوالي الثّامنة... أنا أتساءل ما الذي كان يفعله حينها.
- كان على ما يبدو قد شرب لتوّه قهوة. لم يبقَ منها أثر، لكن كان ثمّة فنجان منقلب على الأرض.
- قهوة... أيكون أعدّها لنفسه؟

- ماذا تقصدين؟ سأل كوساناغي.

- لم يكن يُعدّ أيّ شيء بنفسه، أتدري! لم يسبق لي قطّ أن رأيته يُعدّ قهوة.

رأى كوساناغي رئيسه يعقد حاجبيه.

- ألم يكُن من عادته أن يُعدّها لنفسه؟ ألحّ ماميا.

- بلى، قبل زواجنا. كان وقتئذٍ يستعمل إبريق قهوة كهربائيّ.

- وما عاد في حوزتكما؟

- نعم. كنت قد تخلّصت منه لانتفاء الحاجة إليه.

رمقها ماميا بنظرة مُشكّكة.

- ما دمنا لم نتوصّل بعد بنتائج التّشريح لا يُمكننا تأكيد أيّ شيء، لكن يبدو أنّ زوجك قد سُمّم، قال مُفسّراً.

تجمّد محيا أياني وجحظت عيناها.

- سُمّم؟ بماذا؟

- لا نعرف بعد، لكنّ تحليل القهوة التي عُثر عليها هنا أظهر أنّها كانت تحتوي سمّاً زُعافاً. بمعنى آخر، وفاة زوجك لم تكُن بسبب حادث ولا بسبب حال صحّية مُباغتة.

وضَعَت كفّها من جديد على فمها ورفّت رموشها مرّات متعدّدة، ورأى كوساناغي أنّها جعلَت تتضرّج.

- لكن مَن... وكيف... ولماذا...

- هذا بالضّبط ما نطرحه على أنفسنا من أسئلة. وإن كانت لك فكرة عن ذلك فمُرادنا هو أنّ تُحدّثينا عنها.

فهم كوساناغي لماذا كان رئيسه قد قال قبل قليل في الهاتف إنّ الوضعية قد تطوّرت. وقد قدّر صراحته في حديثه مع زوجة الهالك.

تهاوت أياني في أريكة مُمسِكَة جبهتها بكفّها.

- لا فكرة لي عن ذلك. لا فكرة البتّة.

- متى حدّثتِ زوجك آخر مرّة؟ واصل ماميا القول.

- السّبت صباحاً. كنا قد غادرنا المنزل معاً.

- هل كنتِ لاحظت عليه أمراً غير معتاد؟ أدقّ تفصيل قد تكون له أهمية عندنا.

فكّرت أياني لحظة، ثمّ نفت برأسها.

- أنا آسفة، رأسي فارغ.

موقفها مفهوم، فكّر كوساناغي مُبدياً تعاطفه معها. لا غرابة في أن تكون مبلبلة؛ فهي قد علمَت لتوّها أنّ زوجها قد يكون سُمّم، بينما لم تكن قد استعادت بعدُ رشدها من الصدمة الناتجة عن موته المفاجئ.

- ألا ترى أيها الرئيس أنّ السيدة ماشيبا في حاجة إلى أخذ قسطٍ من الراحة؟ لقد وصلَت لتوّها من سابورو ولا بدّ أن تكون مُتعَبَة، قال.

- صحيح.

- لا، لا داعيَ لذلك، عقّبت أياني وهي ترفع رأسها. لكن إن سمحتُم أُريد تغيير ملابسي، فأنا لم أتخلّص من هذه التي أرتديها منذ أمس مساء.

كانت ترتدي بذلة داكنة.

- منذ أمس مساء؟ كرّر كوساناغي.

- أجل، لقد قضيت اللّيل أتساءل ما إن كان بإمكاني العثور على وسيلة للعودة إلى طوكيو، فلم أُغير ملابسي.

- ألم تُغمضي عينيك طول اللّيل؟

- لم أنَم، وفي جميع الأحوال لا أعتقد أنّه كان بإمكاني النّومُ حتّى لو حاولت.

- أمر سيّئ ألّا ننام! قال ماميا، هل أنتِ متأكّدة أنّك لا تُريدين أن تستريحي قليلاً؟

- لا، أؤكّد لكم ذلك. سأذهب لأغير ملابسي فأعود على الفور، قالت وهي تنهض.

رآها كوساناغي تختفي في غرفتها قبل أن يلتفت جهة رئيسه:

- هل حُدّدت طبيعة السّم؟

حرّك ماميا رأسه.

- كانت القهوة تحتوي زرنيخاً.

فتح كوساناغي عينيه واسعتين.

- زرنيخ؟ كما كان الشّأن في قضية طعام الكاري المسمّم[1]؟

- لمزيد من التّدقيق، هو حامض زرنيخيّ. إنّ الكمية الماثلة في القهوة التي شربها السّيد ماشيبا تتجاوز بكثير القدر القاتل. من المفروض أن نتوصّل اليوم ما بعد الظّهر بنتائج التّشريح، لكن، وبحسب ما بلغني، فإنّ حالة الضّحية تتوافق تماماً مع التسمّم بالزرنيخ.

رفع كوساناغي رأسه مُتنهّداً. بهذا تكون فرضية الموت الطبيعي قد أُزيحت تماماً.

- لم يكُن على ما يبدو مُعتاداً على إعداد قهوته بنفسه، أليس

---

(1) الإشارة هنا إلى الجريمة التي ارتُكبت في واكاياما شهر يوليو من سنة 1998 حيث قتلت امرأة تحمل اسم ماسومي هاياشي أربعةً من جيرانها بصبّ كمية كبيرة من الزرنيخ في قدرِ طعامِ كاري كان قد أُعدّ بمناسبة إحياء حفلٍ في الحي.

كذلك؟ فمَن قد يكون أعدّها له؟ سأل ماميا، كما لو كان يُحدّث نفسه، لكن بصوتٍ عالٍ سمعه مرؤوسوه.

- أعتقد أنّه كان يحصل له أحياناً أن يُعدّها لنفسه، قالت كاورو بغتة.

- وما دليلك على ذلك؟

- لنا شاهدة، أجابت. إنّها الآنسة واكاياما.

- هي قالت ذلك؟ سأل كوساناغي مُحاولاً التّذكّر.

- أجل، عندما كنت طرحت عليها سؤالاً عن صحنَي الفنجانين أمس. كنت أُريد أن أعرف ما إن كان قد اعتاد عدم استعمال صحن فنجانه في أثناء شربه القهوة، فأجابتني أنّه ربّما لم يكن يستعمله عندما يكون وحيداً.

تذكّر كوساناغي الآن.

- هذا صحيح. لقد سمعتها أنا أيضاً، قال ماميا وهو يرفع رأسه. لكن كيف أمكن مُساعِدة السّيدة ماشيبا أن تعرف بينما تجهل زوجته ذلك؟

- بالفعل، كنت أُريد أن أقول لك أمراً.

ونقل كوساناغي إلى رئيسه، وهو يُوشوش له في أُذنه، مضمونَ الحديث الذي سبق له أن أجراه مع زميلته؛ أي احتمال أن تكون ليوشيتاكي ماشيبا علاقة بالمرأة الشّابة.

تفرّس ماميا وجهي مرؤوسَيه تباعاً قبل أن يتبسّم لهما.

- أنتما أيضاً فكّرتما في ذلك؟

ألقى عليه كوساناغي نظرة تُبدي مفاجأته ممّا سمع.

- هل أفهم من قولك أنّك تُشاركنا الرّأي نفسه؟

- وهل تعتقدان أنّني نائم على أذنيّ؟ لقد خمّنتُ ذلك أمس مساءً! قال ماميا وهو ينقر جبهته بأطراف أصابعه.

- عمّاذا تتحدّثون؟ سأل كيشيتاني.

- سأُفسّر لكَ بعد حين، قال ماميا قبل أن يلتفت نحو كوساناغي وأتسومي. أحظرُ عليكما الحديث في هذا أمام زوجته.

- حسناً، أيّها الرّئيس، قال كوساناغي مُوافقاً.

وعبّرت أوتسومي عن موافقتها بتحريكها رأسها.

- كان السّم في بقية القهوة فقط؟ سأل كوساناغي.

- لا، كان في غيرها أيضاً.

- أين؟

- في المصفاة الورقية. وبعبارة أدقّ في ثفل القهوة العالق بالمصفاة.

- وبذلك تكون النّتيجة أنّ السّم خُلط بمسحوق القهوة لحظةَ إعدادها، قال كوساناغي مُستنتجاً.

- هذا هو الاحتمال الأول، لكن يوجد آخر أيضاً، قال ماميا رافعاً سبّابته.

- من الممكن أن يكون السّم قد خُلط بالقهوة قبل ذلك، قالت أوتسومي.

- بالضّبط، قال ماميا مُؤكّداً بارتياح. صحيح أنّ التّقنيين لم يعثروا على آثار في علبة مسحوق القهوة الموضوعة في الثّلاجة، لكن ذلك لا يعني أنّ الأمر لم يكن كذلك. قد يكون خُلط بالقهوة بعد استخراجها من العلبة ثمّ استُعمِلَت.

- ومتى قد يكون وُضع فيها؟ سأل كوساناغي.

- نحن نجهل ذلك. مصافي القهوة المستعمَلَة التي استعادها التّقنيون من سلّة القمامة لا أثر فيها للسّم، ولا غرابة في ذلك، فلو كانوا قد عثروا فيها عليه لكان شخص آخر قد شرب قهوة مُسمّمة قبل ذلك.

- في مغسل المطبخ فنجان مُستعمل، قالت أوتسومي. من المفيد معرفة متى استُعمِل وكذا مَن استعمله.

- أوه، صوّت ماميا وهو يسمعها تقول ذلك. هذا أمر عرفناه. لقد رُفعت البصمات وعُثر في أحد الفنجانين على بصمات الضّحية وفي الثّاني على بصمات الشّخص الذي على بالكما.

تبادل كوساناغي نظرة مع زميلته، فهما الآن يعرفان أنّهما لم يكونا مُخطئين.

- أتعلم أنّ الآنسة واكاياما لن تتأخّر في المجيء؟ قال ثمّ أسرّ له بالمحادثة الهاتفية التي دارت بين السّيدة ماشيبا ومساعِدتها.

استمع إليه ماميا رافعاً حاجبيه.

- ممتاز! اسألها متى شربتِ معه هذه القهوة ولا تتركها تحكي لكَ ما تشاء!

- مفهوم أيها الرّئيس، أجابه مرؤوسه.

سمعوا صوت خطوات على السّلم فالتزموا الصّمت.

التحقت بهم أياني ماشيبا مُعتذرة على أن جعلتهم ينتظرون. كانت ترتدي لحظتها سروالاً أسود وقميصاً أزرق فاتحاً. لا بدّ أن تكون قد عدّلت من أصباغها لأنّ حالها كانت تبدو أحسن.

- أتشعرين أنّ حالتك تسمح لك بالإجابة عن أسئلتنا؟ سأل ماميا.

- أجل، بالطّبع.

- اجلسي، رجاءً. قد تكونين مُنهكة، واصل القول وهو يُشير إلى الأريكة.

جلست وحوَّلت بصرها في اتّجاه الحديقة.

- المسكينة، هي تذبل جميعها. كنت مع ذلك قد طلبتُ من زوجي ريّها لكنه لم يكن يوليها اهتماماً.

تابع كوساناغي نظرتها فرأى وروداً مُتعدّدة الألوان تتفتّح في الحديقة، سواء في أحواض أو في أصص.

- أتسمحون لي بريِّها قبل أن أُجيب عن أسئلتكم؟ سأكون أكثر هدوءاً بعد القيام بذلك.

بدا ماميا كأنّه مُتردّد، ثمّ انفرجت ملامحه وهزّ رأسه مُبدياً موافقته.

شكرته ونهضت ذاهبة إلى المطبخ ورآها كوساناغي مستغرباً وهي تملأ دلواً من صنبور المغسل، فسألها:

- ألا يوجد صنبور في الحديقة؟

التفتت نحوه باسمة.

- سأبدأ بورود الشّرفة، فوق. لا يوجد مغسل في الأعلى.

- فهمت.

عادَ إلى ذهنه ما كانت كاورو قد قالته له بالأمس عن هذه الورود.

بدا دلو الماء ثقيلاً فعرض عليها حمله بدلاً منها.

- لا، لا، لا داعي لذلك.

- بلى، تُريدين حمله إلى الطابق العلويّ، أليس كذلك؟

- شكراً لك، قالت بصوت لا قوة فيه.

أرضية غرفة النوم الواسعة البالغةِ مساحتها ما يقرب من عشرين

متراً مُربّعاً مُغشاة بالخشب، تُزيّن أحد جدرانها قطعة فسيفساء نسيجية ضخمة أبهرت عيني كوساناغي ألوانُها المشرقة.

- أنتِ التي...

- أجل، صنعتها منذ مدّة.

- إنّها مُدهشة. وكي لا أُخفي عنكِ شيئاً كنت أعتقد أنّ الفسيفساء النّسيجية هي ضرب من التطريز. لم أتخيل قطّ أنّ بإمكانها أن تكون ذات صبغة فنية إلى هذه الدّرجة...

- الفسيفساء النّسيجية ليست فنّاً. لذلك فإنّ أيّ عمل منها يجب أن يكون قبل كلّ شيء عملياً قابلاً للاستعمال، وسيكون أحسن إن كان يُبهج البصر، ألا توافقني؟

- بلى. أنا أغبطك على قدرتك على صناعة أمور مثل هذه. هذا على ما أعتقد يتطلّب عملاً دؤوباً.

- أجل، يجب أن نتحلّى بالصّبر لأنّ إنجازه يتطلّب وقتاً، لكنّني أُحبّ الاشتغال بالإبرة، وإلّا فإنّني لا أعتقدُني قادرة على فعل شيء ذي قيمة.

آتى كوساناغي حركة موافقة من رأسه وحطّ ببصره على البساط الحائطيّ المزخرف. لم يكن قد رأى فيه في البداية سوى تجميعٍ للألوان، لكن الآن وهو يعرف أنّ أياني قد أنجزته بمتعة، صار يشعر بالسّكينة وهو ينظر إليه.

الشّرفة بدورها كانت واسعة، لكن لكثرة ما كان فيها من أغراس بدَت وكأنّها لا تتّسع إلّا لشخص واحد.

أمسَكَت أياني بعلبة مصبّرات كانت موضوعة في زاوية.

- أليس هذا مُسلّياً؟ قالت وهي تعرضها أمامه.

كانت تنتشر على عمق العلبة ثقوبٌ صغيرة، فملأتها من الدّلو فسقطت منها قطرات على الأرض وجعلت تسقي الورود.

- تستعملينها رشّاشاً؟

- أجل، ليس عملياً ملءُ رشّاش من الدّلو أليس كذلك؟ لهذا أستعمل علبة مصبّرات فارغة.

- فكرة رائعة!

- أليس الأمر كذلك؟ بَيْدَ أنّ زوجي لم يكُن يفهم أنّ بالإمكان أن يكون لي هذا الميل كلّه إلى الورود التي أغرسها ههنا.

وصمتت وقد تمغّر وجهها وانحنت مُواصلة سقي ورودها.

- السّيدة ماشيبا!

- معذرة، فأنا لا أستطيع تصديق أنّه مات.

- هذا أمر مفهوم تماماً.

- قد تكون على علم أنّنا إنّما تزوجنا منذ سنة، وكنت قد بدأت لتوي أعتاد هذه الحياة الجديدة وأعرف أذواقه في الطّعام، وكان لدي الانطباع أنّنا سنعيش معاً زمناً طويلاً.

انقبض صدر كوساناغي لمّا رآها تُطرق برأسها كي تُخفي وجهها، وبدت له حينها بهجةُ الورود التي تُحيط به قاسية.

- معذرة، قالت بصوت خفيض، فأنا لن أستطيع أن أكون ذات جدوى لكم وأنا في هذه الحالة. عليّ قبل ذلك أن أستعيد مزاجي.

- يمكننا أن نطرح عليكِ أسئلة في يوم آخر، قال كوساناغي وهو يتخيّل التكشيرة التي لا شكّ أن يُبيدها رئيسه إن سمِعَه يتفوه بذلك.

- لا، لا، ستستقيم الأمور. أنا نفسي أسعى إلى استكشاف ما

حصل، فليس لهذه الحكاية أيّ معنى عندي. مَن ذا الذي قد يكون سمّمه...

في الآن ذاته ارتفع صوت جرس باب المدخل. انتصبت، وكأنّها أحسّت بالارتياح، ونظرت من على حافة الشّرفة.

- هيرومي! صاحت وهي تُلوح بكفّها.

- وصلت الآنسة واكاياما؟

- أجل، قالت وهي تعود إلى الدّاخل.

تبعها كوساناغي فوجد كاورو أوتسومي تنتظره أسفل السّلم. لا بدّ أن تكون قد سمعت الجرس. قالت له بصوت خفيض إنّ هيرومي واكاياما قد وصلت لتوها.

فتحت لها الباب ربّةُ البيت.

- هيرومي! صاحت أياني مُختلجة الصّوت.

- كيف حالكِ؟

- بخير، شكراً. أنا سعيدة جدّاً أن تكوني هنا، أجابت وهي تأخذها بين ذراعيها.

وشرَعَت تنتحب كمثل طفلة.

5

انفصلت أياني ماشيبا عن مُساعِدتها ومسحت عينيها وهي تطلب منها الصّفح بصوتٍ خافت.

- تماسكتُ طيلة الوقت الذي مضى، بَيْدَ أنّ كلّ شيء انفلت منّي عندما رأيتك. لكنّ الحال الآن أحسن وسأستطيع تمالك نفسي.

انقبض قلب كوساناغي عندما رآها تُرغم نفسها على التبسّم. لو كانت السّلطة في يده لتركها وحدها.

- أخبريني إن كان بإمكاني أن أفعل شيئاً من أجلكِ، قالت هيرومي وهي ترفع بصرها إليها.

حرّكت أياني رأسها نافية.

- حضوركِ في ذاته مساعدة جمّة لي. رأسي فارغ. ادخلي من فضلك، فأنا أُريدك أن تحكي لي ما جرى.

- اسمعي، سيّدة ماشيبا... قال كوساناغي، مُنزعجاً، وهو ينظر إلى المرأتين. نحن أيضاً نُريد الحديث إلى الآنسة واكاياما. فبالأمس كان أشخاص كثيرون حاضرين فلم نستطِعْ مُحادثتها.

ترنّحت نظرة هيرومي، كما لو كان ما سمعته قد بلبلها. هي ربّما ترى أنّه لم يعُد لها شيء تُخبرهم به، ما دامت قد حكَت لهم ظروف عثورها على الجثّة.

- حضوركَ لا يُزعجني البتّة، سارعت أياني بالقول غير فاهمة على ما يبدو معنى ملاحظة كوساناغي.

- ذلك أنّنا في حاجة إلى محادثة الآنسة واكاياما في غيابكِ.

رفّت عيناها كما لو كانت تشكّ فيما سمعت.

- لكن لماذا؟ أنا أيضاً أُريد سماع ما ستقوله، وهذا هو السّبب الذي جعلني أطلب منها المجيء.

- السّيدة ماشيبا، قال ماميا مُتدخّلاً وقد وجد نفسه يقترب منها بغير عمد. نحن متأسّفون لكننا ملزمون باحترام بعض القواعد في عملنا. أرجوك أن تتركي كوساناغي وزميليه يقومون بما هم مُطالبون به. قد أبدو لكِ مُبالِغاً لكنّنا إن حِدنا عن الإجراء القانوني المعمول به قد يترتّب على ذلك مُشكلٌ لاحقاً.

ولّدت النّبرةُ المتعالية التي تحدّث بها ماميا تعبيراً على محيا أياني ينمّ عن عدم الارتياح، لكنّها وافقت بحركة من رأسها على ما قال.

- حسناً. وفي هذه الحال أين تريدونني أن أذهب؟

- يمكنكِ البقاء هنا بالطّبع. فنحن نأمل أن نطرح عليكِ أنت أيضاً بعض الأسئلة، قال ماميا مُدقّقاً قبل أن يشمل بنظرة كوساناغي وأوتسومي. اِصحبا الآنسة واكاياما إلى أيّ مكان تستطيعان فيه مُحادثتها بهدوء.

- حسناً، أيها الرّئيس، أجاب كوساناغي.

- سآتي بسيارتي، قالت أوتسومي وهي تفتح باب المنزل.

حوالي عشرين دقيقة بعد ذلك، كانوا جلوساً ثلاثتهم حول مائدة في أحد المقاهي. جلست كاورو أوتسومي إلى جانب زميلها وجلست هيرومي قبالتهما، عابسة الوجه.

- هل أخذتِ كفايتكِ من النّوم؟ سأل كوساناغي بعد أن ارتشف من قهوته.

- ليس إلى تلك الدّرجة...

- أتصوّر أنّ اكتشافك الجثة كان صدمة لك.

لم تُجب، وبقيت مزمومة الشّفتين مُنكّسة العينين.

إن كانت كاورو أوتسومي مُحقّة فيما قالت، فإنّ المرأة الشّابة قد انهارت باكية ما إن عادَت إلى بيتها. فحتّى لو كانت علاقتُها بعشيقها غير رسمية، فإنّ اكتشافها لجُثّته قد يكون زلزلها.

- لدينا بضعة أسئلة لم نستطِعْ طرحَها عليكِ بالأمس، فهل أنتِ مستعدّة للإجابة عنها؟

تنفّست واكاياما بعُمق.

- أنا لا علم لي بشيء... أشكّ في قدرتي على إشباع رغبتكم.

- لا تقلقي! أسئلتنا بسيطة، شريطة أن تكوني على استعداد للإجابة عنها بصراحة.

رفعَت بصرها إليه. كانت نظرتها عدوانية بما لا يدَعُ مجالاً للشّك.

- أنا لست كذّابة!

- حسناً، لنبدأ. صرّحتِ أمس أنّك اكتشفت جثّة السّيد ماشيبا حوالي الثّامنة مساء، وكنت قد أكّدتِ أنّ تلك كانت المرّةَ الثّانية التي تزورين فيها بيته منذ العشاء الذي كنتِ استدعيتِ إليه يوم الجمعة مساء. هل أنت متأكّدة ممّا صرّحت به؟

- نعم.

- حقّاً؟ يحصل أحياناً أن تُسبّب الصدمة القوية في بعض الالتباس. فكّري بروية. ألم تكوني بحقّ قد عُدتِ إلى منزلهما منذ يوم الجمعة مساء؟

أعاد كوساناغي صياغة السّؤال وهو ينظر بانتباه إلى رموش المرأة الشّابة، مُلحّاً على كلمة «حقّاً».

ركّزت برهة قبل أن تُجيب.

- لماذا تطرح هذا السّؤال؟ أنا أتصوّر أنّ لك داعياً لذلك ما دمتَ تُكرّره بعد أن قلتُ لك إنّني متأكّدة.

أبدى كوساناغي بسمة.

- نحن مَن يطرح الأسئلة!

- لكن...

- نريد فقط التحقّق من أمرٍ بسيط. أنتِ لاحظتِ أنّني أُلحّ، وإن فعلتُ ذلك فتحديداً حرصاً منّي على أن تُفكّري قبل أن تُجيبي. وكي أقول لكِ الأمور بطريقة أقلّ لباقة، أعتقد أنّك إن لم تُقدّري سؤالي حقّ قدره ستكونين عرضة لأن تعضّي أصابعك ندماً بعد ذلك.

زمّت المرأة الشّابة من جديد شفتيها، فخمّن كوساناغي أنّها تستعرض في ذهنها كلّ الاحتمالات. لا بدّ أن تكون آخذة في التّساؤل ما إن كان من صالحها الكذبُ على الشّرطة مُخاطِرةً بأن يُكتشف كذبُها، أم أنّ من الأحسن لها بالأحرى كشفَ الحقيقة أمامهما.

بدا كأنّها تجد صعوبة في الوصول إلى نتيجة فطالَ صمتها وعيل صبر كوساناغي.

- أمس عندما أتينا إلى بيت آل ماشيبا، كان بمغسل المطبخ فنجان قهوة وصحنَاهما. وعندما كنّا سألناك إن كنتِ تعرفين مَن

استعملهما أجبتِ بالنّفي، لكنّنا عثرنا على بصماتك على الفنجان كما على صحنه. متى كنتِ لمستهما؟

رفعت التّنهيدةُ التي أطلقتها كتفيها وأنزلتهما.

- ألم تكوني قد التقيت بيوشيتاكا ماشيبا خلال نهاية الأسبوع؟ أريد أن أقول قبل وفاته.

وضعت مرفقيها على المائدة وكفّيها على وجهها. ربّما كانت تأمل الاستمرار في التزام الصّمت، لكنّ كوساناغي لم يسمح لها بذلك.

أبعَدَت كفّيها عن وجهها وأصدَرَت برأسها حركة إيجاب.

- أنت على حقّ. ألتمسُ منك العذر.

- التقيتِ بالسّيد ماشيبا.

- أجل، أجابت بعد هنيهة.

- متى؟

لم تُجبه على الفور. وكانت مُقاومتها لقبول هزيمتها تغيظ كوساناغي.

- هل عليّ حقّاً أن أُجيب عن هذا السّؤال؟ سألت وهي ترفع رأسها للنّظر في وجهَي كوساناغي وزميلته؟ أنا لا أرى علاقة لذلك بما حصل. أليس فعلكم هذا تدخّلاً في حياتي الشّخصية؟ سألت بصوت حيويّ.

بدت قابَ قوسين أو أدنى من إطلاق العنان لدموعها، لكنّ نظرتها لم تكُن خالية من الغضب.

تذكّر كوساناغي ما كان قد قاله له قديماً أحدُ زملائه، يكبره سنّاً: تبدو النّساء اللواتي ينسجن علاقات مع رجال متزوّجين ضعيفات، لكن يجب الحذر من ذلك.

ربّما كان الأمر كما قال له صاحبه، لكن لا وقت له ليُضيعه، لذلك قرّر لعب ورقته القادمة.

- نحن على علم بسبب وفاة السّيد ماشيبا. لقد سُمّم.

نظرت الفتاة إليه مُندهشة.

- سُمّم؟

- عثرنا على سمّ في قهوته الباقية في الفنجان.

فتحت عينيها على سعتهما.

- هذا مستحيل!

مال كوساناغي قليلاً إلى الأمام كي يتفرّسها.

- لماذا تقولين مستحيل؟

- لكن...

- ألا تقولين ذلك لأنّك عندما كنت قد شربت أنت قهوتك معه قبل ذلك لم يحدث شيء؟

رفّت رموشها وأجابت بالإيجاب بحركةٍ من رأسها، على غير سجيتها.

- هنا يكمن المشكل يا آنسة واكاياما. فلو كان السّيد ماشيبا قد وضع السّم في قهوته، وعثرنا نحن على أثرٍ له، لكان كلّ شيء واضحاً، لَكَانَ ذلك انتحاراً أو وفاةً عارضة، لكنّ هذا الاحتمال لا محلّ له الآن. إنّ الوضعية تدفعنا إلى التّفكير في أنّ أحدهم وضع سمّاً في قهوة السّيد ماشيبا بهدفٍ إجرامي. وعلاوة على ذلك، فقد عثرنا على آثار للسّم في المصفاة التي استعملها. لذلك فإنّ الفرضية الأكثر احتمالاً في الوقت الرّاهن هي أنّ السّم خُلط بمسحوق القهوة.

حرّكت هيرومي واكاياما رأسها نافية ما تسمعه، مُندهشة.

- أنا لا علمَ لي بشيء!

- في هذه الحال نُحبّ أن تُجيبي على الأقلّ عن أسئلتنا. وسيكون من المفيد جدّاً معرفة متى تناولتِ القهوة معه. سيُساعدنا ذلك على تحديد متى أقدمَ القاتل -وأنا مُخطئ ربّما إذ أتحدّث عن قاتل في حين أنّنا لم نتأكّد بعد من أن ثمّة قتلاً- على خلط السّم بالقهوة. ما جوابك إذاً؟ قال في الأخير وهو يعتدل ليُسلّط عليها بصره مُتعالياً بنية ألّا يعود لفتح فمه إلى أن تشرع هي في الحديث.

أخفَت فمَها بكلتَي يديها وتركت نظرتها تهيم على المائدة.

- أنا لم أُقدِم على ذلك، قالت بعد بُرهة.

- ماذا؟

- لستُ أنا من وَضع السّمّ، قالت من جديد وهي تُحرّك رأسها، حزينةَ النّظرة. أنا لم أضع سمّاً في القهوة، أُقسم لكما على ذلك، وعليكما تصديقي.

تبادل كوساناغي وكاورو أوتسومي نظرة.

هيرومي واكاياما جزءٌ لا يتجزّأ من المشتبه بهم، بل يوجد اسمُها على رأس القائمة. ذلك أنّه كان في ملكها أن تضع السّم في القهوة، وإن كانت عشيقةَ يوشيتاكا ماشيبا فإنّ خصاماً قد يكون نشب بينهما فدفعها إلى تسميمه. ربّما قد تكون ادّعت اكتشافها الجريمةَ كي تُخفي أنّها مُرتكبتُها.

يقوم كوساناغي الآن بما يستطيع كي يُحدّثها من دون أفكارٍ مسبَقَة، ولم يكُن ينوي جعلها تستشعر أنّه يرتاب فيها. السّؤال الوحيد الذي طرحه عليها يخصّ اللحظة التي شربت فيها القهوة مع يوشيتاكا ماشيبا، فلماذا أجابته بتلك الطريقة؟ ربما فعلت ذلك لأنها لمحت تعريضاً في سُؤاله، ولأنها مُذنبة حاولت استباق هجومه.

- نحن لا نشتبه بكِ، قال مُتبسّماً. وكما قلت لك للتّو إننا

نُحاول تحديد الوقت الذي ارتُكِبَت فيه الجريمة. فإنْ كنتِ قد التقيتِ بالسّيد ماشيبا وشربتِ القهوة معه، فهلّا أخبرتنا متى حصل ذلك؟ ومَن أعدّ القهوة؟ وبأيّ طريقة؟

بدت هيرومي واكاياما مُنزعجة شاحبة الوجه، وقد عجز كوساناغي عن تحديد ما إن كان السّبب في ذلك هو فقط تردّدها في الاعتراف أمامهما بعلاقتها بماشيبا.

- آنسة واكاياما! قالت كاورو أوتسومي مُتدخّلة بغتة.

رفعت المرأة الشّابة رأسها مُتفاجِئة.

- نحن لنا فكرتنا عن علاقتك بالسّيد ماشيبا. فحتّى لو رفضتِ الاعتراف بها سيكون بإمكاننا أن نتأكّد من صدقيّة كلامك. إنّ الشرطة تنجح بعامة في القيام بهذا النوع من التثبّت عندما ترى ذلك ضرورياً. لكننا سنكون في هذه الحالة مُلزَمين بالحديث لأناس كثيرين كي نصل إلى ذلك. فكّري جيداً واعلمي أنكِ إنْ أجبتِ بصدق عن أسئلتنا سيكون ردّ فعلنا بطريقة مُناسبة. مثلاً، إن طلبت منّا أن نعمل ما أمكن على إبقاء اعترافِك طيّ الكتمان، فعلنا.

بعد أن فسّرت لها بطريقة مُحايدة كمثل موظف يشرح لمستخدم الطريقة التي تشتغل بها الإدارة، تبادلت نظرة مع زميلها مُلقية في اتّجاهه بإشارة من رأسها، على الأرجح كي تعتذر له عن تدخّلها.

وربما لأنّ هذه النصيحة قدّمها لهيرومي واكاياما شخص ينتمي إلى جنسها اللطيف نفسه أنتجت الأثرَ المتوخّى. أمالت من جديد رأسها جانبا ثمّ أعادت رفعه ورفّت رموشها ببطء قبل أن تتنهّد.

- ألن تتحدّثا بذلك لأحد؟

- لن نفعل. ما لم يكُن لذلك علاقة بالجريمة لن نتحدّث عنه، تيقّني من ذلك، صرّح كوساناغي.

أومأت هيرومي برأسها.

- أنتما على حقّ، كانت تقوم بيننا علاقة أنا والسّيد ماشيبا. أنا لم أذهب هذا الأسبوع إلى بيته أمس مساء وحسب.

- إلى متى تعود زيارتك السّابقة؟

- إلى يوم السبت مساء. قد أكون وصلت بُعَيدَ التّاسعة مساء.

ما يعني أنّ العاشقين كانا قد التقيا ما أن انصرفت أياني ماشيبا لرؤية أبويها.

- هل كنتما تواعدتما على اللّقاء؟

- كلّا. اتّصل بي السيد ماشيبا عندما كنت قد أنهيتُ عملي بالمشغل ليطلب منّي المجيء للقائه في بيته.

- ذهبتِ، فماذا حصل بعد ذلك؟

بدا عليها ما يُشبه الانزعاج ثمّ نظرت بهدوء إلى كوساناغي كما لو كانت قد قرّرت الإلقاء بنفسها في الماء.

- نمتُ في بيته وانصرفتُ صباح اليوم التّالي.

شرعَت كاورو أوتسومي في تسجيل رؤوس أقلام، مُحايدة ملامح المحيّا. بيد أنّ ما سمعته قد يكون أيقظ شيئاً ما في داخلها، وأسرّ كوساناغي لنفسه أنه يودّ مُحادثتها في ذلك لاحقاً.

- متى تناولتِ القهوة معه؟

- أمس صباحاً. كنت قد أعدَدتها. آه... وكنّا أيضاً قد تناولناها أوّل أمس.

- يوم السبت مساء؟ شربتماها إذاً مرّتين.

- بالضّبط.

- وكنت أنت التي أعددتها أيضاً يوم السبت؟

- لا، كان السيد ماشيبا قد شرع في إعدادها عندما وصلت.

وكان أعدّ ما يكفي لأتناول منها أنا أيضاً. ثمّ واصلت كلامها مُنكّسة بصرها. تلك كانت المرّة الأولى التي أراه فيها يتكلّف بإعدادها، وقد اعترفَ لي على أيّ حال أنه لم يُعدّها بنفسه منذ زمن طويل.

- ولم يكن قد أخرَج صحني الفنجانين، أليس كذلك؟ سألت كاورو أوتسومي وهي ترفع بصرها عن كرّاستها.

- لا، لم يُخرجهما، أجابت المرأة الشّابة.

- وأمس صباحاً، هل أعددتها أنتِ؟

كان كوساناغي قد طرح السّؤال نفسه ليُقصي أيّ شك.

- بما أنّ قهوة يوم السّبت مساء كانت على بعض المرارة طلب منّي السّيد ماشيبا أن أُعدّها أنا، وكان وقف يرقبني وأنا أُعدّها، قالت مُفسّرة وهي تنظر إلى أوتسومي. كنت قد أخرجتُ صحنَي الفنجانين، وهما اللّذان كانا موجودين في المغسل.

هزّ كوساناغي رأسه. كان حكيها مُنسجماً.

- كي تكون الأمور واضحة تماماً، أخبريني إن كان مسحوق القهوة المستعمَل يوم السّبت مساء ويوم الأحد صباحاً هو نفسه الذي كان الزّوجان ماشيبا يشربانه في العادة.

- أعتقد بذلك. كنت قد استعملتُ يوم الأحد العلبة الموجودة في الثّلاجة. ولا يُمكنني أن أقول لكم أيّ شيء عن تلك التي استعملها السّيد ماشيبا يوم السّبت مساء. قد تكون هي نفسها.

- هل كان سبق لك أن أعددت القهوة في بيت آل ماشيبا؟

- مرّة أو مرّتين لا غير، بطلبٍ من أياني. فهي التي علّمتني أحسن طريقة لإعدادها، وقد احترمتُ تعليماتها يوم الأحد صباحاً.

- وهل لاحظتِ أمراً ما خاصاً في تلك اللحظة؟ تغيير في مكان الأواني أو في نوع القهوة؟

أغمضت هيرومي واكاياما عينيها لحظة وجيزة، ثمّ نفت برأسها.

- كلّا، كان كلّ شيء كالمعتاد، قالت ثمّ فتحت عينيها وهي تُميل رأسها، حائرة. وفي جميع الأحوال فإنّ ما وقع في تلك اللحظة لا علاقة له بما حصل بعد ذلك، أليس كذلك؟

- كيف؟

- حسناً، شرَعت تقول وهي تُنكّس ذقنها كي تنظر لهما من الأسفل. لم يكن قد وُضع بعد السّم في مسحوق القهوة في تلك اللحظة، وإنْ كانَ أحد قد دسّه ففي وقت لاحق.

- أجل، بالطبع، لكنّ الفاعل قد يكون اخترع آلية ما.

- آلية... قالت مُردّدة بنبرة تُبدي عدم اقتناعها بما سمعت. أنا لم أُلاحظ أي شيء.

- ماذا فعلتِ بعد شُرب القهوة؟

- انصرفت، فأنا أُقدّم دروساً في الفسيفساء النّسيجية يوم الأحد في مركز ثقافي بحيّ إيكيبوكورو.

- منذ متى ذهبتِ إلى هذا المركز وإلى أيّ وقت بقيت فيه؟

- تُقدّم الدروس صباحاً من التاسعة إلى منتصف النهار، وبعد الظهر من الثالثة إلى السادسة.

- قضيتِ يومكِ في هذا المركز؟

- أجل. كنت رتّبتُ قاعة الدروس بعد حصص الصباح وتناولتُ غذائي ثم أعددت حصّة ما بعد الظهر.

- تناولت غذاءك في الخارج؟

- أجل، في مطعم للمعجنات يقع في متجر كبير، أجابت وهي ترفع حاجبيها. قد أكون بقيت حوالي الساعة خارج المركز، ولم يكُن الوقت يكفيني كي أذهب إلى بيت آل ماشيبا وأعود منه.

تبسَّم كوساناغي وآتى حركة مُهدّئة من كفّيه.

- هدفنا ليس أن نتأكّد ممّا إن كانت لديك حُجّة تُخلين بها سبيلك، لا تشغلي بالك بذلك. قلت لنا أمس إنّكِ اتصلتِ بالسيد ماشيبا عندما أنهيتِ حصصكِ. أتودين التراجع عن هذا التصريح؟

حوّلت اتّجاه بصرها مُنزعجة.

- كنت قد اتّصلت بالفعل، لكن ليس للسبب الذي قدّمته لكم بالأمس.

- ألم تُفسّري لنا أنّ رغبتك كانت هي التأكّد من أن أموره تجري مجراها العادي في أثناء غياب زوجته؟

- الحقيقة أنّني عندما انصرفتُ أمس صباحاً كان السّيد ماشيبا قد طلب منّي الاتصال به هاتفياً ما أن أُنهي عملي.

حرّك كوساناغي رأسه جانباً مرتين أو ثلاثاً من دون أن يحيد ببصره عن المرأة الشّابة التي كانت تتحاشى نظرته.

- كان يُريد أن تُرافقيه إلى المطعم، أليس كذلك؟

- بلى، أعتقد.

- كل شيء واضح الآن. كان يبدو لنا غريباً أن تُوليه كلّ تلك العناية، وإن كان زوجَ أستاذتك، وأن تكوني قد قرّرتِ المرور إلى بيته فقط لأنّه لم يردّ على اتصالك الهاتفي.

أولجت هيرومي واكاياما رأسها بين كتفيها مُنهكة.

- كنت أعلم أنّ تفسيري غير مُقنع، لكنّني لم أكُن أدري كيف أُبرّر وجودي في بيته...

- كنت قلت إنّك أتيت لأنّ عدم ردّه أقلقكِ، فهل تُريدين إضافة شيء في هذا الموضوع؟

- لا، ليس لي ما أُغيّره ممّا قلته لكم بالأمس. أعتذر لكما على كذبي، قالت وهي تنحني أمامهما.

واصلت زميلتُه الجالسة إلى جانبه تسجيل رؤوس الأقلام. ألقى عليها نظرة ثمّ نقّل بصره إلى هيرومي واكاياما.

كان ما أدلت به هيرومي لتوّها مُنسجماً، فانقشعت الشكوك التي ساورته أمس حُيالها، لكنه لم يستطِعْ أن يثقَ بها ثقة كاملة.

- كما قلت لك يبدو أنّ الأمر مُرتبط على الأرجح بجريمة قتل. كنّا قد طلبنا منك أمس ما إن كانت لديك فكرة عن ذلك، فأجبتِ بالنّفي وأضفتِ أنّكِ لا تعلمين شيئاً عن السيد ماشيبا أكثر من أنه زوج أستاذتك. والآن وقد اعترفت أنّك كنت على علاقة به، ربما يكون لك شيء آخر تُضيفينه.

كانت تستمع إليه عاقدة حاجبيها.

- كلا، ولا أستطيع تصديق أنّ شخصاً ما قتله.

لاحظ كوساناغي أنّ تلك هي المرة الأولى التي تتحدث فيها عن الفقيد دون أن تُناديه السيد ماشيبا.

- حاولي تذكّر محادثاتكِ معه. إن كانت الوفاة ناتجة عن جريمة قتل، فإنها كانت عن سبق إصرار، ولا بدّ أن يكون للقاتل داعٍ لارتكاب جريمته. الضحايا يكونون في غالبية الحالات واعينَ بالمخالب التي تتربّص بهم، وغالباً ما يتحدثون عنها من دون قصدٍ منهم.

حرّكت المرأة الشابة رأسها واضعة كفَّيها على صُدغيها.

- لا علم لي بشيء. كانت شركته تمشي على خير وجه ولم يكن له أيّ انشغال مهنيّ، كما أنّه لم يكن يتحدّث بسوء عن أيّ شخص.

- هلّا زدتِ تفكيراً في ذلك؟

رفعت نحوه نظرة حزينة كما لو كانت تُريد أن تُعبّر له عن اعتراضها.

- كثيراً ما فكّرت في ذلك، بل إنّني قضيت ليلة أمس كلّها أُفكّر فيه باكية. تساءلت ما إن كان قد انتحر أم أنّها جريمة قتل. فكّرتُ فيما دار بيننا من أحاديث، لكن ذلك لم يُساعدني على توضيح الرؤية. صدّقاني أنّني أوّل من يرغب في معرفة سبب قتله.

لاحظ كوساناغي أنّ عينيها آخذتان في الاحمرار إذ تورّد مُحيط بُؤبؤيهما.

كانت تُحبّه، فكّر، وأسرَّ لنفسه أنها إن كانت تُمثّل فهي خطيرة.

- منذ متى تُقيمين هذه العلاقة مع السيد ماشيبا؟

جحظت عيناها.

- أنا لا أرى علاقة لذلك بما حصل.

- دعي الحُكم لنا. لقد قلت لكِ إنّ ما ستُخبريننا به سيبقى بيننا وأنّنا لن نعود لطرح هذا النّوع من الأسئلة عليك إن تأكّدنا ألّا علاقة له بهذه الجريمة.

زمّت شفتيها وتنفّست بعمق وأمسكت بفنجانها وارتشفت من شايها الذي لا بدّ أن يكون قد برد.

- منذ ما يقرب من ثلاثة أشهر.

- مفهوم، قال كوساناغي وهو يُنكّس ذقنه مُفكّراً في سُؤالها عن الكيفية التي وصلا بها بعلاقتهما إلى هذا المستوى. هل هناك مَن له علم بعلاقتكما؟

- كلّا، لا أعتقد.

- لكن لا بدّ أنه سبق لكما العشاء سوية في مطعم، أليس الأمر كذلك؟ وقد يكون شخص ما رآكما.

- كنّا حذرين جدّاً، ولم نكن نذهب إلى المطعم نفسه أكثر من مرّتين. وحتى لو كان قد سبق لأحد أن رآنا معاً فإنّ ذلك لا يُعدّ مشكلاً ما دام كان يحصل له في عمله أن يتعشّى مع نساء تربطهنّ به علاقة مهنية أو مع مُضيفات الحان.

أسرّ كوساناغي لنفسه أنّ يوشيتاكا ماشيبا كان على ما يبدو يُحبّ التسلّي، ولربما كانت له عشيقة أخرى غير هذه المرأة الشابة، لها داعٍ لأن تبغي موته وموت هيرومي واكايانا.

كفّت كاورو أوتسومي عن التدوين ورفعت رأسها.

- هل كنتِ ترتادين فنادق تتواعدين معه فيها؟ سألت بنبرة مُحايدة؟

نظر إليها كوساناغي من طرف خفيّ. كان ينوي طرح هذا السؤال عليها لكنه ما كان ليجرؤ على طرحه بهذه الصيغة المباشرة.

- هل لكما حاجة إلى معرفة ذلك في إطار تحقيقكما؟ سألت هيرومي واكاياما بنبرة حيوية من دون أن تُخفي عدم رضاها.

لم تُغير كاورو أوتسومي من تعبير وجهها.

- بالطبع! كَي نجد حلّاً لهذا اللّغز علينا أن نُحقّق في كلّ جوانب حياة السيد ماشيبا حتى نُحدّد بأكبر قدر من الدّقة ما كانت عاداته. ونحن نأمل الاطّلاعَ على أمور بطرحِ أسئلة على أشخاص عديدين. حتى الآن، نحن لسنا على علم بشيء. أنا لا أُطالبك بتفاصيل عمّا كان يقوم به معك، لكن عليك على الأقلّ أن تُخبرينا بالمكان الذي كنتما تلتقيان فيه.

قطّبت هيرومي واكاياما بوجهها كما لو كانت غاضبة.

- كنا نذهب في الغالب إلى فنادق عادية.

- هل كنتما تذهبان دائماً إلى الفندق نفسه؟

- كلّا، هناك ثلاثة فنادق، لكنّني لا أعتقد أنّ بإمكانكما التأكّد من ذلك لأنه لم يكُن يُصرّح أبداً بهويته الحقيقية.

- هل بإمكانك مع ذلك تحديد أسمائها؟ سألت كاورو أوتسومي، مُمسكة بالقلم في يدها.

استجابت المرأة الشابة وقد ارتسمَ على محياها تعبير بالخضوع. ذكرت اسم ثلاثة فنادق معروفة مع أرقام غرف كثيرة. إنّ مُستخدمي هذه الفنادق لن يتذكّروهما على الأرجح، خلا أن يكونا قد ارتادا المكان نفسه مرّات متعدّدة ومتتالية.

- كنتما تلتقيان دائماً في اليوم نفسه؟ سألت المفتشة الشابة.

- لا، كنا نُحدّد الموعد برسائل نصّية.

- بأيّ وتيرة؟

أمالت المرأة الشابة رأسها جانباً.

- تقريباً مرة كل أسبوع، على ما أعتقد.

كفّت كاورو أوتسومي عن الكتابة ونظرت إلى زميلها مع اهتزازة من رأسها تكاد تكون غير مرئية.

- نحن نشكرك على تعاونكِ. نكتفي بهذا اليوم، قال.

- لا أعتقد أنّ بإمكاني أن أقول لكما شيئاً آخر.

مدّ كوساناغي كفّه نحو الكرّاسة وهو يُبدي بسمة في اتجاه المرأة الشابة المقطّبة.

غادروا المقهى معاً، لكن هيرومي واكاياما توقّفت بغتة وهم يمشون في اتجاه موقف السيارات.

- أوه...

- ماذا دهاك؟

- أبإمكاني العودة إلى حال سبيلي؟

تفرّسها كوساناغي مُتفاجئاً.

- ألا تُريدين العودة إلى بيت السيدة ماشيبا؟ ألم تطلب منك ذلك؟

- أشعر أنّني لستُ على ما يُرام. أنا منهكة، هل بإمكانكما إخبارها بهذا، من فضلكما؟

- بالطبع.

ما كان عاد لكوساناغي وزميلته شيء يسألانها فيه، فلم يُزعجهما في شيء أن تنصرف إلى حال سبيلها.

- يُمكننا أن نُقلّك إلى بيتك إن شئت، عرضت عليها كاورو أوتسومي.

- لا داعي لذلك، سأستقلّ سيارة أجرة. شكراً لكما.

ابتعدت عنهما، ولحسن حظّها مرّت في تلك اللحظة سيارة أجرة نادت عليها وصعدت فتابعها كوساناغي وهي تبتعد.

- قد تكون فكّرَت في أنّنا سنُخبر السيدة ماشيبا بعلاقتها بزوجها.

- لا أدري. أنا أعتقد أنّها لا ترغب في أن نراها تُحدّثها وكأن شيئاً لم يكن، بعد أن حكت لنا كل ما حكته.

- آه! ربّما كنتِ على حق.

- لكن بالنسبة إليها هي، ما شأنها؟

- عمّن تتحدثين؟

- عن السيدة ماشيبا، أما لاحظتَ عليها شيئاً حقاً؟

- بالتأكيد لا.

- ما الذي يجعلكَ تقول هذا؟

- موقفها قبل قليل عندما أخذت هيرومي واكاياما في أحضانها باكية.

- أتعتقد؟ سألته زميلته وهي تُنكّس بصرها.

- أترين الأمور على غير هذا النحو؟

رفعَت رأسها.

- هذا ما كنت أسررتُ به لنفسي عندما رأيتهما: ربّما تكون رغبةُ مَن تستطيع البكاء في العلن هي أن تبيّن للأخرى أن ليس لها هذا الحق.

- ماذا؟

- معذرة إن كنت صدمتكَ. سآتي بالسيارة.

وتابعها كوساناغي ببصره، مُنبهراً، وهي تمشي بخطوات قصيرة.

6

كان ماميا ومرؤوسوه، في بيت آل ماشيبا، قد انتهوا من استجواب أياني فأخبرها كوساناغي أنّ مُساعِدتها عادت إلى بيتها لأنّها مُتعبة.

- هكذا إذاً! أنا أتفهّم موقفها لأنّ الصّدمة كانت قوية عليها هي أيضاً، قالت، نظرتها شاردة، وهي تضغط فنجان الشاي بين كفّيها.

كانت تبدو مُنهكة، لكنّ وضعها وهي تجلس في الأريكة، الظّهرُ شديد الاستقامة، كان فيه أمر ما عنيفٌ يُوحي للرّائي بقوة شخصيتها.

رنّ الهاتف المحمول في حقيبة يدها ففتحته وهي تبحث بعينيها على موافقة ماميا الذي أبداها تُجاهها بحركة من رأسه.

نظرت في الشاشة لتعرف مصدر المكالمة قبل أن تُجيب.

- ألو... لا، أنت لا تُزعجينني... في بيتي رجالُ شرطة... لا أعرف بعد. كان قد سقط في قاعة الاستقبال... حسناً، سأتّصل بك عندما أعرف ذلك... أجل، قولي لوالدي ألّا يشغل باله... حسناً، إلى اللقاء إذاً، قالت في الأخير قبل أن تُقفل الخطّ وتقول لماميا: إنّها أمي.

- هل حكيتِ لها ما جرى؟ سألها كوساناغي.

– قلت لهم فقط إنّه قد مات بغتة. أرادوا معرفة تفاصيل أكثر لكنّني لم أعرف ما أُجيبهم به... قالت أياني مُمسكة بجبينها.

– هل أخبرتِ شركة زوجك؟

– اتّصلتُ بالمجلس القانوني هذا الصباح قبل الصعود إلى الطائرة. تحدّثت مع هذا السيد إيكاي الذي حدّثتك عنه.

– الذي استدعيتماه للعشاء يوم الجمعة مساء؟

– لن يكون سهلاً على المستخدمين أن يجدوا أنفسهم بغتة من دون ربّ عمل، لكن لا حيلة لي في ذلك...

وراحت تتأمّل الفراغ أمامها، مشغولة البال. ورغم الجهود الكبيرة التي بذلتها لتبدو قوية، كان تَشوُّشُها ظاهراً للعيان، ودّ كوساناغي لو استطاع الوقوف إلى جانبها.

– ألا ترين أنّه يحسنُ بك أن تطلبي من صديقة لك أو من إحدى قريباتك المجيء لتبقى بصحبتك حتى تتحسّن حال مُساعِدَتِكِ؟ أنا متأكّد أنّك ستكونين بحاجة إلى ذلك.

– لا تحملوا همّي، ستتحسّن الأمور. وفي جميع الأحوال أنتم تُفضّلون بلا شكّ ألّا يأتي أحد هنا، أليس الأمر كذلك؟ سألت ماميا.

فنظر ماميا في اتّجاه كوساناغي وقد بدا عليه الارتباك.

– سيعود التّقنيون بعد ظهر هذا اليوم، والسيدة ماشيبا موافقة على ذلك.

وهكذا لن يكون لها الوقت كي تستسلم لحزنها. نكّس كوساناغي رأسه صامتاً.

نهض ماميا واقترب من الأرملة.

- نحن نعتذر عمّا سبّبناه لك من إزعاج. سيبقى كيشيتاني هنا. لا تتردّدي أن تلتجئي إليه في أيّ شيء دعتك الضرورة إليه.

شكرته أياني بصوتٍ خفيض.

وما أن تجاوَز ماميا باب المدخل بصحبة كوساناغي وأوتسومي حتى التفت نحوهما ليسألهما عن نتائج استجوابهما لهيرومي واكاياما.

- اعترفت أنّها كانت تُقيم علاقة مع يوشيتاكا ماشيبا منذ ما يقرب من ثلاثة أشهر، وتعتقد ألّا أحد له علم بذلك.

انتفخ منخارا ماميا وهو يسمع ذلك.

- فنجان المغسل إذاً. . .

- كانا قد استعملاه صباح يوم الأحد، وهي التي كانت أعدّت القهوة. لم تكن قد لاحظت شيئاً وقتئذٍ.

- أينتج عن هذا أنّ السّم دُسّ بعد ذلك؟ تساءل ماميا مع نفسه وهو يضع كفّاً على ذقنه سيّئ الحلاقة.

- والسيدة ماشيبا هل كان لديها شيء تُخبركم به؟ سأل كوساناغي.

نفى رئيسه بحركة من رأسه، مهموماً.

- لا شيء ذا أهمية. لست متأكّداً من أنها كانت قد انتبهت لخيانة زوجها، رغم أنني سألتها بطريقة مُباشرة عمّا يُمكنها قولُه لنا عن وجود نساء أخريات في حياته. بدت مُتفاجئة وأجابت ألّا نساء في حياته. لم يبدُ عليها الاندهاش ولم يحصل لدي الانطباع أنّها تتظاهر. وإن كنتُ قد أخطأت فإنّها ممثّلة بارعة.

نظر كوساناغي لزميلته خفية، فبحسبها، ليست دموع أياني وهي تحتضن واكاياما إلّا تمثيلية. كان يتساءل في سرّه عن ردّ فعل

أوتسومي عمّا سمعته من كلام ماميا، لكنّها ظلّت ثابتة، القلم في يدها، مُستعدّة لتسجيل رؤوس أقلام.

- أترى أنّ علينا مُحادثتها في شأن علاقة زوجها بهيرومي؟ سأل كوساناغي ماميا الذي أجاب بالنّفي بحركة من رأسه على الفور.

- ليس علينا فعل ذلك، لأنّه لن يُقدّم التّحقيقَ في شيء. أنتما ستلتقيان بها كثيراً، فاحتاطا ممّا ستتحدّثان به.

- أتقصد أنّ علينا إخفاء ذلك عنها؟

- لا، إن علمت به من تلقاء نفسها فلا شأنَ لنا نحن، لكن لا داعيَ لنا لنُخبرَها به. هذا إن لم تكُن قد علمت به سلفاً، أضاف وهو يُخرج من جيبه ورقة. أريدكما أن تذهبا للقاء هذين الشّخصين.

كان قد سجّل فيها اسم تاتسوهيكو إيكاي ورقم هاتفه وعنوانه.

- استخبِرا عن عشاء يوم الجمعة وعن حالة السيد ماشيبا وقتئذٍ.

- بحسب ما علمته، أتصوّر أنّ هذا السيد لا بدّ أن يكون مُنشغلاً جدّاً بسير الأعمال في شركة صديقه.

- لا تنسَ أنّ له زوجة. اتّصلا بها هي أيضاً واذهبا للقائها. لقد أخبرتني السيدة ماشيبا أنّهما قد رُزقا صبياً منذ شهرين، وقد ترجّتني ألّا أُطيل استجواب هذه المرأة لأنّ الصبي يُتعبها جدّاً.

كانت أياني قد خمّنت أنّ الشرطة ستسأل آل إيكاي، وقد أدهشته فكرةُ أن تكون مُنشغلة بتعب صديقتها في لحظةٍ مثل هذه.

مضى كاورو أوتسومي وكوساناغي في اتّجاه منزل آل إيكاي في سيارة أوتسومي. توتّر صوت يوكيكو إيكاي عندما علمت أنّ الشرطة تُريد مُقابلتها، وقبل أن تُوافق على اللقاء، اضطر كوساناغي أن يكرّر لها عدة مرات أنهما لن يطرحا عليها سوى بضع أسئلة، غير أنّ

اللقاء لم يكن ممكناً إلّا بعد ساعة، فقرّر كوساناغي وزميلته الانتظار في مقهى.

- إن عدنا إلى ما تحدّثنا فيه قبل قليل، أنت ترين حقّاً أنّ السّيدة ماشيبا على علم بأنّ زوجها كان يخونها؟ سأل كوساناغي وهو يرتشف من فنجان الشوكولاته، المشروب الذي اختاره لأنّه كان قد شرب قهوة في أثناء استجوابهما لهيرومي واكاياما.

- أشعر أنّ الأمر كما قلت.

- أتشعرين به فحسب أم تعتقدين به أيضاً؟

تفرّست كاورو أوتسومي مُحتوى فنجان قهوتها.

- إن كان الأمر كما تقولين فلماذا لم تُؤاخذ به زوجها أو مُساعِدَتها؟ ثم إنها قد استدعت هيرومي واكاياما لهذا العشاء الذي خُصّ به آل إيكاي، والطبيعيّ أنها ما كانت لتفعل لو كانت على علم بالخيانة، أليس الأمر هكذا؟

- أتّفق معك على أنّ كشفاً مثل هذا يُمكنه على الأرجح أن يُفقد امرأة عادية هدوءها.

- وأنت إن كنت فهمتك لا ترينها امرأة عادية.

- من السّابق لأوانه التأكّد من ذلك، لكنّني أراها ذكية. ذكية ومُقاومة.

- ولأنّها مقاوِمة ترين أنّ بإمكانها تحمّل خيانة زوجها؟

- لقد فهِمَت أنّها لن تربح شيئاً من إبداء الغضب والتّعجيل بمُؤاخذته على ما فعل. كان من شأن ذلك أن يُفقدها أمرين مهمين عندها: زواجاً قارّاً وهادئاً ومُساعِدة ممتازة.

- لَمَا كان بإمكانها الإبقاءُ إلى جانبها بعشيقة زوجها، ولمَا كان من قيمةٍ لزواجٍ لا يعدو أن يكون واجهة.

- لكلّ شخص مفهومُه الخاصّ للقيم. كان بإمكان الأمور أن تكون مُختلفة لو كانت ترزح تحت العنف الزوجي، لكنّ المفروضَ أن الزّوجين ماشيبا كانا مُتفاهمين ما داما قد استدعيا ضيوفاً إلى بيتهما، وإن تظاهراً لا غير. هي لم يكن لها مُشكل ماديّ وكان بإمكانها أن تُكرّس حياتها لفسيفسائها النّسيجية العزيزة عليها. لا أعتقد أنّها غبية إلى درجة مُجازفتها بالتّفريط في حياتها الزوجية بفعل حالة غضب، وأتصوّر أنّها قد تكون قالت في سرّها إنّ بإمكانها ربما الاحتفاظ بكلّ شيء إن صبرت إلى أن تنتهي هذه العلاقة بين زوجها ومساعِدتها.

لم يكن من عادة أوتسومي الإكثار من الكلام، لكنها أضافت، ربما لأنها قدّرت أنها قد عبّرت بطريقة شديدة الصّرامة:

- أنا أرى الأمور بهذه الشّاكلة لكنني قد أكون مُخطئة.

احتسى كوساناغي من فنجان الشوكولاته وقطّب وجهه لأنها كانت شديدة الحلاوة، فمدّ يده بسرعة إلى كأس الماء.

- لا أتصور أنّها قادرة على أن تحسِبَ للأمور حسابَها إلى هذه الدرجة.

- هي حقّاً ليست قادرة على ذلك، وإنّما هي غريزة الاحتفاظ التي تُميز النساء الذكيات.

مسح كوساناغي فمه بظاهر كفّه وتفرّس زميلته الشابة.

- وهل تملكين أنت أيضاً هذه الغريزة؟

حرّكت رأسها مع إبداء بسمة مُفتعلة.

- كلّا. أعتقد أنّني سأستشيط غضباً إن علمتُ أنني ضحية خِداع، ولن أُفكّر في العواقب.

- إنني لأرثي لحال الرجل الذي سينصبّ عليه غضبُكِ. أنا

بدوري لا أدري كيف يُمكن لامرأة أن تواصل عيشها بهدوء رفقة زوج تعلم أنّه يخونها.

نظر في ساعته. انقضى نصف ساعة منذ اتصاله بيوكيكو إيكاي.

لم يكن منزل آل إيكاي يقلّ في شيء عن بيت آل ماشيبا، ويتوفر على فضاء مُغطّى لسيارات المدعوين، ما وفّر على كاورو أوتسومي الالتجاء إلى موقف سيارات مُؤدّىً عنه.

لم تكُن يوكيكو إيكاي وحيدة، إذ التحق بها زوجُها. فسّر لهما أنّه عاد إلى بيته على عجل لمّا علم أنّ رجال شرطة سيزورونه.

- ألا سيُسبّب لك هذا اضطراباً في استعمالك لوقتك؟ سأله كوساناغي؟

- كلّا. لي مُساعدون رائعون، لكنّني أخشى أسئلة زبائني عن هذه القضية التي آمل أن تجدوا لها حلّاً سريعاً، لأنّ ذلك سيُساعدني، قال وهو يُنقّل بصره بين المفتّشين. ما بُغيتكما؟ ماذا حدث؟

- توفي يوشيتاكا ماشيبا في بيته.

- أنا على علم بذلك. وأتصور أنّكما ما دمتما هنا فلأنّ وفاته ليست حادثاً طارئاً ولا انتحاراً.

تنهد كوساناغي خفية، فهو يُواجه محامياً لا يكتفي بالتفسيرات التقريبية ويمكنه بالتأكيد الحصول، إن أراد، على معلومات من مصدر آخر.

بعد أن طلب منه التكتّم على ما سيسمع أخبَره أنّ الوفاة كانت بسبب التسمّم بالزرنيخ الذي عُثر عليه في القهوة التي شربها الضحية.

كانت يوكيكو الجالسة إلى جانب زوجها على الأريكة الجلدية تُنصت إلى الحديث وجهُها بين كفّيها، مُحمرّة العينين. كان بطنها يبدو منتفخاً، لكنّ كوساناغي الذي لم تسبق له رؤيتها لم يستطِعْ أن يتأكّد ممّا إذا كان السّببُ هو وضعُها الذي لم يمرّ عليه وقت طويل.

مرّر إيكاي كفّه على شعره الذي جعّده قليلاً على الأرجح باستعمالِ مُثبّت.

- لقد ساورني الشّك في ذلك عندما علمت أنّ الشرطة أخطرت السيدة ماشيبا وأنهم سيقومون بتشريح الجثة، فقلت في سرّي إنّ الأمر لا يرتبط على الأرجح بموت طبيعيّ، كما أنّ فرضية الانتحار قد استُبعدت.

- لكن، هل بإمكانك تصورُ حدوث جريمة قتل؟

- أجل، لأنّ لا أحد بإمكانه فهمَ ما يدور في رؤوس البشر، لكن أن يكون ذلك قد تمّ عن طريق السّم...

- أتعرف أحداً يُناصبه العداء؟

- لو سألتني إن سبق له قطّ أن كانت له خلافات مهنية، لن يكون بإمكاني إجابتُك بالنّفي، لكنّني لا أستطيع تصوّرَ خلافٍ مهنيّ يؤدي إلى جريمة قتل. وعلاوة على ذلك، فلو كانت قد طرأت له خلافات خطيرة مع شخص ما، لكنت أنا في مقدّمة المتصدّين لذلك، بوصفي مُحامي شركته، وليس هو! قال وهو ينقر على جذعه بطرف أصابعه.

- وعلى المستوى الشّخصي، ألم يكن للسيد ماشيبا أعداء؟

اتّكأ إيكاي إلى مسند الأريكة وشبّك ذراعيه.

- لا علم لي بشيء من ذلك. كانت علاقاتنا المهنية ممتازة، لكنّنا كنّا مُتواضِعَين على عدم الحديث في حياتنا الشخصية.

- لكنه كان مع ذلك يستدعيكما لبيته؟

حرّك إيكاي رأسه غير مُخفٍ تبرّماً خفيفاً.

- نعم، لأنّ تلك كانت هي الطريقة المُثلى للتلاقي خارج العمل. كما أنّ الناس الذين تكثر أشغالهم مثلنا يحتاجون إلى الاسترخاء كي يُبدّدوا ضغوطهم.

بدا كأنه يُريد أن يُفهمهما أنّ الرجال الذين من طينته وطينة السيد ماشيبا لا وقت لهم لشرب كأس برفقة أصدقاء.

- ولم تُلاحظ شيئاً لفت انتباهك في أثناء هذا العشاء؟

- لو سألتني إن كنت قد لاحظتُ أمراً يُرهص بما كان سيقع، لقلتُ لك لا. قضينا وقتاً رائعاً ومُريحاً. عقد حاجبيه وواصل: أن يكون ذلك قد حصل منذ ثلاثة أيام فقط، وأن يكون قد غادر هذا العالم...

- ألم يُخبرك السيد ماشيبا أنه كان ينتظر اللقاءَ بشخص ما يوم السبت؟

- كلّا، أجاب قبل أن يلتفت إلى زوجته.

- كلّ ما أعرفه أنّ زوجته أياني كانت ستذهب لقضاء بضعة أيام في بيت أبويها.

حكّ كوساناغي صُدغه بطرف قلمه، وقد حصل لديه الانطباع بأنه لن يعلم شيئاً ذا فائدة من هذين الشخصين.

- كنتم تلتقون دائماً بهذه الطريقة؟ سألت كاورو أوتسومي.

- مرّة كلّ شهرين أو ثلاثة.

- تلتقون دائماً عند آل ماشيبا؟

- كنّا قد استدعيناهما إلى بيتنا هذا بعد زواجهما بقليل. لكنّ لقاءاتنا بعد ذلك كانت دائماً في بيتهما، لأنّ زوجتي كانت حاملاً.

- هل كنت تعرف السيدة ماشيبا قبل زواجها منه؟

- أجل، وكنت معه لمّا التقيا.

- حقّاً؟

- أجل. حصل ذلك في حفل استقبال كانت هي أيضاً مدعوة إليه. وشرعا بعد ذلك يلتقيان انطلاقاً من تلك اللحظة.

- وإلى متى يعود لقاؤهما الأوّل؟

- حسناً. . . شرع يقول إيكاي وهو يُميل رأسه. منذ حوالي سنة ونصف على ما أعتقد. لا، أقلّ من ذلك قليلاً.

- وقد تزوّجا منذ سنة، أليس كذلك؟ سُرعان ما كانا قرّرا الزواج! قال كوساناغي غير قادر على حجب استغرابه.

- هو كذلك.

- كان السيد ماشيبا يُريد أطفالاً، فسّرت يوكيكو إيكاي، وعدم عثوره على امرأة قادرة على الإنجاب كان قد بدأ يُقلقه.

- المفتّشان لا يسعيان لمعرفة هذا! رمى إيكاي زوجته بهذه الجملة وهو يتفرّس المحقّقين. أنا لا أرى علاقة بين لقاء آل ماشيبا وزواجهما وبين ما أتى بكما إلى عندنا.

- بيد أنّ ثمة علاقة ما، قال كوساناغي مُعارضاً وهو يرفع كفّه، فنحن لا نملك حتّى هذه اللحظة أيّ خيط نُمسك به، ونحن في بحثٍ حثيث عن معلومات حول الزّوجين.

- حسناً. . . أتفهّم رغبتكما في جمع معلومات في إطار البحث الذي تُجريانه، لكنّني لا أكاد أفهم سبباً لرغبتكما في الاطّلاع على هذا الضّرب من التفاصيل، قال إيكاي وهو يُلقي عليهما نظرة فيها بعض الحذر، مُذكّراً إياهما أنّه محام.

- أتفهّم ذلك، قال كوساناغي وهو يُميل رأسه قبل أن يُعيد رفعه

لينظر مُباشرة في عينيه. ما سأطلبه منك قد يصدمك، لكنّني مُلزم بفعل ذلك وآمل ألّا تُسيء فهمه. سأكون مُمتنّاً لكما لو تكرّمتما بإخباري بما صنعتماه نهاية هذا الأسبوع.

رفع إيكاي رأسه مُقطّباً.

- أنت تُريد أن تعرف ما إن كانت لنا حجّة. هذا سؤال كان عليك فعلاً طرحه علينا، قال مُعلّقاً وهو يُخرج أجندة من جيبه.

لقد قضى يوم السّبت في العمل بمكتبه ثمّ تعشّى بعد ذلك مع زبون. وفي اليوم التالي لعب الغولف مع زبون آخر وعاد إلى بيته حوالي العاشرة مساء. أمّا زوجته فقد بقيت في البيت، وقد زارها يوم الأحد أبواها وكذا أختها.

حضر رجال الشرطة المكلّفون بالتحقيق اجتماعاً مساء هذا اليوم في مفوضية ميغورو، افتتحه المسؤول عن الشعبة الأولى لمكتب التحقيقات الإجرامية لشرطة العاصمة طوكيو مُصرّحاً أنّ وجود الزرنيخ في تفل القهوة على المصفاة المستعمَلَة يجعل فرضية القتل مُحتملة الوقوع بدرجة عالية. فلو كان الضّحية قد انتحر لما كان السّم قد خُلط بالقهوة، وإن قبلنا جدلاً أنه قد اختار هذه الطريقة لكان قد خَلَطَه بها بعد إعدادها.

كيف دُسّ السّم إذاً في مسحوق القهوة؟ لقد أنجز تقنيو الشرطة العلمية تقريراً عن تحليلهم الذي لم يُسعفهم في تقديم جواب عن هذا السؤال.

وقد قاموا بزيارة ثانية لبيت آل ماشيبا بعد الظهر ليتأكّدوا من أنّ باقي المكونات كالمشروبات والتوابل، إضافة إلى الأواني المنزلية لم تكن مشوبة بالسّم. بيد أنّ هذا العمل المُنجز حتى الآن في حدود

الثمانين بالمئة لم يُمكّنهم من العثور على آثار للسّم، واحتمال العثور عليها في العشرين بالمئة المتبقية يبدو ضعيفاً.

لا بدّ أن يكون مُرتكب الجريمة قد استهدف القهوة تحديداً، وقد التجأ إلى طريقتين مُحتملتين؛ فإمّا أن يكون قد دسّه في مسحوق القهوة أو في المصفاة أو الفنجان، من جهة، أو أن يكون خلطه بالقهوة بعد إعدادها. من المستحيل إلى حدود هذه اللحظة تحديدُ الطريقة التي استعملها، ولم يتمّ العثور في المنزل على أيّ أثر للزرنيخ ولا لأيّ عنصر آخر يُؤكّد أو ينفي وجود شخص آخر لحظة إعداد السيد ماشيبا للقهوة.

كما أنّ البحث في الجوار لم يُسعفنا بشيء. ولم يُلاحظ أيّ شخص ما إن كان السيد ماشيبا قد استقبل زائراً هذا اليوم. حركة السير في هذا الحي السكني قليلة وليس من عادة السكان الاهتمام بجيرانهم عدا إن أزعجوهم. وبالنتيجة، فألّا يكون أيّ زائر قد شوهد وهو يدخل بيت السيد ماشيبا لا يعني أنّه لم يستقبل أحداً.

وقدَّم كوساناغي تقريراً عن المعلومات التي جمّعها من محادثاته مع السيدة ماشيبا وآل إيكاي، واحترم تعليمة ماميا التي قدّمها له قبل الاجتماع فسكت عن علاقة الضحية بهيرومي واكاياما. كان رئيسُه ماميا قد أخبر بذلك بالطّبع رئيسَه المسؤول عن الشّعبة الأولى للتحقيقات. لكن، ونظراً إلى حساسية الموضوع، قرّر رئيس ماميا ألّا يرفعه إلّا إلى علم بضعة مُحقّقين ما دام لم يُرَ بعد أنّ لهذا العنصر فائدة في التحقيق، فضلاً عن أنه كان يخشى على الأرجح أن يصل إلى علم وسائل الإعلام فتعمّمه.

استدعى ماميا كلّاً من كوساناغي وكاورو أوتسومي، ما أن انفضّ الاجتماع.

- أُريدكما أن تذهبا غداً إلى سابورو، قال وهو ينظر إليهما تباعاً.

فهم كوساناغي نية رئيسه على الفور.

- للتثبّت من حجّة السيدة ماشيبا؟

- تماماً. لقد قُتل زوجها الذي كان يخونها ومن المنطقي الاشتباه بزوجته وعشيقته. ليس للعشيقة حجّة وعلينا التأكّد من حجّة الزوجة. لقد طلب منّي رئيسي القيام بذلك في أسرع وقت. ستذهبان غداً صباحاً وتعودان في اليوم نفسه مساءً، وسأعمل على أن تُقدّم لكم شرطة هوكايدو العون.

- أخبرتنا السيدة ماشيبا أنّها كانت قد قضت الليلة في منبع للماء الحارّ. أعتقد أنّ علينا زيارته أيضاً.

- هو منبع جوزانكي، يقع على بعد ساعة بالسيارة من سابورو. يقطن أبواها مُقاطعة نيشي، فإن ذهب أحدكما إلى بيتهما وذهب الآخر إلى الفندق الذي قضت فيه ليلتها لن تحتاجا أكثر من نصف يوم.

أبدى كوساناغي موافقته مُرغماً، فماميا على ما يبدو لا نية له في أن يُهديهما ليلة يقضيانها في فندق قرب نبع ماء حارّ.

- هل لديك شي تُضيفينه يا أوتسومي؟ سأل ماميا.

نظر كوساناغي إلى زميلته التي زمّت شفتيها مُبدية بملامحها تعبيراً غامضاً.

- أترى أنّ التثبّت من حجّتها الخاصّة بهذه الفترة الزمنية يكفي؟

- ماذا تقصدين؟ حدّدي فكرتك، قال ماميا آمراً.

- غادرت السيدة ماشيبا طوكيو يوم السبت صباحاً وعادت إليها

يوم الاثنين صباحاً. أنا لا أدري ما إن كان التثبّت من حجّتها في هذه الفترة الزّمنية كافياً.

- ألا تعتقدين بهذا؟

- لست متأكّدة من ذلك، على اعتبار أنّنا لا نعرف كيف دُسّ السّم ولا في أيّ لحظة حصل ذلك، ولا أدري ما إن كان بإمكاننا أن نستنتج بأنّها ليست من بين المشتبه بهم فقط لأنّ لها حجّة تخص هذه الفترة الزمنية.

- نحن نجهل كيف دُسّ السّم لكنّنا نعرف متى حصل ذلك، قال كوساناغي. فهيرومي واكاياما كانت قد شربت القهوة مع يوشيتاكا ماشيبا صباح يوم الأحد، وكانت القهوة عادية. لقد دُسّ السّم إذاً بعد ذلك.

- هل لهذا الاستنتاج مصداقية؟

- أترينه مُفتقداً لها؟ ففي أيّ لحظة أُخرى يُمكن أن يكون السّم قد دُسّ؟

- حسناً... أنا لا جواب لي عن هذا السّؤال.

- أتعتقدين أنّ هيرومي واكاياما تكذب؟ سأل ماميا، وأنّها قد تصرّفت بالاتفاق مع السيدة ماشيبا؟ يبدو لي هذا غير مُحتمل الوقوع على الأرجح.

- أنا أيضاً لا أعتقد بذلك.

- في هذه الحال، أين المشكل؟ سأل كوساناغي كأنّه غاضب. يكفي التأكّد من حجتها ليوَمي السبت والأحد. لا، إنّ ما قُلته مُجانب للصّواب، إذ يكفي أن تكون لها حُجّةٌ خاصة بيوم الأحد كي تخرج من دائرة المشتبه بهم. ألا ترين ذلك؟

- بلى، بلى، قطعاً بلى، قالت زميلته رافعة رأسها. لكنني

لست متأكدة من انتفاء احتمالات أخرى، كأن تكون سلّمته مادة قد يكون سمّم نفسه بها.

قطّب كوساناغي حاجبيه.

- أن تكون قد دفعته للانتحار؟

- لا، أبداً. هي لن تكون قد أخبرته أنّها سمٌّ، ولكنها قد تكون فسّرت له مثلاً أنّها وسيلة لتجويد مذاق القهوة.

- وسيلة لتجويد مذاق القهوة؟

- كمثل خليط التوابل الخاصّ بوجبة الكاري. إنّها تُصبح ألذّ عندما نضع قليلاً منه في الصّلصة قبل الأكل. قد تكون سلّمته هذه المادّة ودلّته على طريقة استعمالها، فلا يكون قد استَعمَلَها عندما كانت الآنسة واكاياما معه، لكنه تذكّرها لمّا كان بمفرده. . . أيبدو لك هذا مُبالغاً فيه؟

- أجل. وعبثيّ أيضاً، أجاب زميلها بجفاف.

- حقّاً؟

- لم يسبق لي قطّ أن سمعتُ بمسحوق يُجوّد مذاق القهوة، وأشكّ أن يكون بإمكان السّيد ماشيبا أن يُصدّق حكاية مثل هذه. ولو افترضنا أنّه صدّق بها لكان تحدّث عنها لهيرومي واكاياما، ألا ترين رأيي؟ فهو كان قد ناقش معها أحسن طريقة لإعداد القهوة. وعلاوة على ذلك، فإن كان ما قلتِه صواباً فقد كان لا بدّ أن يترك هذا المكونُ الخفي أثراً، وما دام مسحوقاً فإنّ ذلك يعني وجود كيس صغير، بينما لم يتمّ العثور على شيء في مسرح الجريمة، فكيف تردّين على هذا؟

هزّت كاورو أوتسومي رأسها قليلاً وهي تستمع إلى حجج زميلها.

- لا شيء لي أردّ به للأسف الشديد، لكنني لا أستطيع أن أُلغي من دماغي أنّ ثمّة وسيلة ما.

تنهّد كوساناغي وهو ينظر إليها من الجانب.

- أنت تُريدين أن أضع ثقتي في غريزتك الأنثوية، أليس الأمر هكذا؟

- البتّة. لكنّ مدار الأمر أنّ النساء لا يُفكّرن كما الرجال...

- كفى! قال ماميا وقد بدا عليه التّعب. أنا لا شيء لي ضدّ المناقشات، لكن شريطة أن تكون مُثمرة. أتشكّين في السيدة ماشيبا يا أوتسومي؟

- ليس لي يقين كامل، لكن...

حدت كوساناغي رغبةٌ في أن يلطمها بالقول: «إنّها غريزتك، لا شك»، لكنه أحجم عن ذلك.

- على أيّ أساس تعتمدين في الاشتباه بها؟

- كؤوس الشمبانيا، أجابت بعد أن أخذت نفساً عميقاً.

- كؤوس الشمبانيا؟ كيف؟

- عندما وصلنا إلى البيت كنّا وجدنا بعضها يجفّ في المغسل. كان عددها خمساً في المجمل، قالت وهي تنظر في وجه زميلها، أتذكر؟

- أجل، وكانت قد استُعملت في عشاء يوم الجمعة.

- وكانت تُرتَّب في العادة داخل صوان في قاعة الاستقبال، وقد رأيت فيه يوم الأحد فضاءً فارغاً يُناسبها.

- وبعد؟ قال ماميا مُقاطعاً. لا بدّ أنّني غبيّ ما دمت لم أستشفّ مَكمن المشكل.

أبدى كوساناغي بدوره عدم فهمه، فواصل النّظر إلى زميلته من الجانب.

- لماذا لم تُرتّبها السيدة ماشيبا في مكانها قبل أن تنصرف؟

- لماذا؟ سأل كوساناغي مُبدياً استغرابه من كلامها.

وكرّر ماميا السؤال نفسه بعد هنيهة.

- أنا لا أرى كيف يُمكن أن تكون لترتيبها من عدمه هذه الأهمية كلُّها، أضاف كوساناغي.

- الطّبيعي هو أنّه كان عليها أن تُرتّبها في مكانها. لا بدّ أن تكونا قد انتبهتما إلى أنّ النظام الذي يسود الصوان هو من الصّرامة بحيث أضحى بإمكاننا على الفور تخمينُ مكان هذه الكؤوس. إنّ شخصاً مثلها لا يُمكنه، من وجهة نظري، أن يتحمّل وجود أشياء في غير محلّها، ما يُحيل وجودَ هذه الأقداح في المغسل أمراً غير مفهوم.

- أليس مُحتملاً أن تكون قد نسيتها؟

حرّكت المرأة الشّابة رأسها بقوة وهي تستمع إليه.

- غير ممكن.

- لماذا؟

- أنا لا أقول إنّه ليس بإمكانها أن تنساها في الأيام العادية، لكن وهي تعرف أنّها ستتغيب أياماً، يبدو لي ذلك مستحيلاً قطعاً.

تبادل كوساناغي وماميا نظرة. بدا ماميا مُتفاجئاً وخمّن كوساناغي أنّ وجهه هو يعكس أيضاً الاندهاش نفسه. فهُما معاً لم يُعيرا أيّ اهتمام للأمر الذي حدّثتهما عنه كاورو لتوها.

- أنا لا يُمكنني أن أتصوّر سوى تفسيرٍ واحد، واصلت المفتّشة

الشابة القول. لقد توقّعَت ألّا تتغيّب عن بيتها مدّة طويلة، وقد تكون قالت في سرّها إنها ستُعيدها إلى مكانها فور رجوعها.

اتّكأ ماميا على مسند الأريكة وشبّك ذراعيه، ثمّ رفع بصره إلى كوساناغي.

- هل لديك اعتراض على ما قالته زميلتك الشابة؟

حكّ كوزاناج جبهته، ولم تُسعفه أيّ حجّة.

- لماذا لم تُحدّثينا عن ذلك قبل الآن؟ ألم تُفكّري في هذا منذ أمس مساء؟ سألها.

أمالت رأسها إلى الجانب وأصدرت بسمة تعكس انزعاجاً نادراً ما يبدو عليها.

- خشيت أن أسمع أنّني أولي التّفاصيل أكثر مما تسحقّ من الأهمية، كما فكّرتُ أنّها إن كانت مُذنبة فإنّنا سنعثر على أمور أخرى. أنا أستميحُكما العذر.

تنهّد ماميا بعمق قبل أن يلتفت نحو كوساناغي.

- علينا تغيير موقفنا. ففي أيّ شيء سيُفيدنا الآن أن تكون لنا امرأة في فريقنا إن كان الجو الذي يسود هذا الفريق يحول بينها وبين التّعبير عمّا تُريد؟

- أنا لا أشعر أنّني ممنوعة من التعبير عن رأيي، سارعت كاورو أوتسومي بالقول مُغمغمة، لكنّ رئيسها أمرها بحركة من كفّه أن تصمت.

- إن كان لك شيء تريدين قوله قوليه من دون ريبة. ليس لكونك امرأةً أو آخرَ مَن التحق بفريقنا أيُّ أهمية، وسأخبر رئيسي باستنتاجك. بيد أنّ عليك ألّا تُعيري أهمية زائدة لما وصلتِ إليه. أنا أتّفق معك أنّ من الغريب ألّا تكون السيدة ماشيبا قد رتّبت هذه

الكؤوس في مكانها، غير أنّ ذلك لا يقوم دليلاً على أيّ شيء، والحال أنّ ما نبحث عنه هو الأدلّة تحديداً. أنا آمركما بأن تبدآ البحث في العناصر التي تنبني منها حجّة السيدة ماشيبا، وليس عليكما أن تُفكّرا فيمَ ستُستعمل هذه العناصر، مفهوم؟

نكّست كاورو أوتسومي عينيها ورفّت جفونها.

- أجل، أيها الرّئيس، قالت بعد ذلك وهي تنظر إليه.

7

فتحت هيرومي عينيها وهي تسمع رنين هاتفها المحمول.

لم تكن نائمة، وإنّما كانت تستريح مُغمضة العينين ممدّدة على سريرها وهي تتأهّب لقضاء ليلة أخرى متأرّقة، كالليلة السابقة. كان يوشيتاكا قد سلّمها أقراصاً مُنوّمة منذ مدّة قصيرة لكنها خشيت تناولها.

اعتدلت بتثاقل شاعرة ببداية آلام شديدة في رأسها. أقلقتها فكرة أن تردّ على الهاتف. مَن يكون المتّصل في هذه الساعة؟ رأت في المنبّه أنّ العاشرة ليلاً كانت على وشك.

جعلها الاسم الذي رأته على الشاشة تشعر وكأنّها تستحمّ بماء بارد. إنها أياني، فسارعت بالإجابة.

- طاب مساؤك، قالت بصوت أجشّ.

- أوه... اعذريني. هذه أنا، أياني. هل أيقظتكِ؟

- كلا، إنّما كنت مضطجعة، هذا كلّ ما في الأمر. أوه... اعذريني على ما بدر منّي هذا الصباح، فأنا لم أستطِعْ العودة إلى بيتك.

- لا أهمية لذلك. كيف تشعرين الآن؟

- الحال أحسن، شكراً لك. وأنتِ ألستِ مُتعبة؟ سألت هيرومي وهي تُفكّر في شيء آخر.

هل حدّث رجال الشرطة أياني في شأن علاقتها بيوشيتاكا؟

- بلى، قليلاً، وأشعر أنّني ضائعة. يبدو لي كلّ شيء غير حقيقي.

كانت هيرومي تُحسّ بالشّيء نفسه، وتشعر كأنّها تعيش في كابوس.

- أفهمكِ، قالت بهدوء.

- أمتأكّدة أنت من أنّك على ما يُرام؟ ألا تُعانين؟

- لا، أنا في حالة جيدة ومتأكّدة حتى من أنّني سأكون قادرة على العمل غداً.

- لا تحملي همّ العمل. كنت في الحقيقة أُريد أن أسألك ما إن كان ممكناً أن نلتقي فوراً.

- الآن... هل أنت متأكّدة؟ سألتها وهي تشعر بالقلق يجتاحها. لماذا؟

- أُفضّل إخبارك بذلك مباشرة، ولن أُطيل عليك. إن كنت مُتعبة يُمكنني أن آتي إلى بيتك.

أجابت هيرومي بالنّفي بحركة من رأسها مُلصقةً الهاتف بأُذنها.

- لا، لا، سآتي إلى منزلك. سأرتدي ملابسي فأكون عندك بعد ساعة.

- أنا لستُ في بيتي وإنّما في الفندق.

- آه... حسناً.

- أجل، قرّرت أن أنزل فيه لأنّ رجال الشرطة أخبروني أنّهم

سيعودون إلى البيت. لم أكن قد أفرغت حقيبة سفري بعد واحتجت أن أُضيف إليها بعض الأغراض فحسب.

كان الفندق الذي اختارته يقع قريباً من محطة شيناغاوا. قالت لها هيرومي إنّها قادمة وأقفلت الخطّ.

ما الذي تُريد أياني أن تُخبرها به؟ لم تكفّ عن طرح أسئلة على نفسها في هذا الموضوع وهي ترتدي ملابسها. أياني حتى وهي تُبدي قلقها عن حالتها الصّحية استعملت بالأحرى نبرة آمرة، ما يعني بالنتيجة أنّ ما تُريد قوله لها قد يكون مستعجلاً أو بالغ الأهمية، حتّى لَتُريد إخبارها به على الفور.

لم تستطع هيرومي منع نفسها من الاستمرار في التّفكير في ذلك حتى وهي في القطار الذي أقلّها إلى شيناغاوا. هل يكون رجال الشرطة قد أخبروها بعلاقتها بيوشيتاكا؟ هي لم يحصل لديها الانطباع أنّ صوت أياني يعكس غضبها، لكن لربّما تكون بذلت جهداً جبّاراً للتحكّم في صوتها.

وإن كانت الشرطة قد أخبرتها بتلك العلاقة، كيف كان ردّ فعلها؟ لم تستطع هيرومي تصور ذلك لأنّه لم يسبق لها قطّ أن رأتها حقّاً في قمّة غضبها. لكن من المستحيل على أيّ حال أن تكون أياني مُنزّهة عن الغضب.

كيف ستستقبل أياني ذاتُ الصّوت الهادئ والتي لا تنقاد أبداً لغضبها، المرأةَ التي خطفت منها زوجها؟ شعرت هيرومي بالضّيق، عاجزة عن تمثّل ردّ فعل أياني. بيد أنها قرّرت مع نفسها ألّا تُحاول الإنكار إن سألتها. سيكون عليها أن تعتذر وتُعيد الاعتذار، ولن تغفر لها أياني على الأرجح، ولن تتخلّف عن فصلها، لكن هيرومي كانت مُستعدّة لكلّ شيء، مُستشعرة الحاجةَ إلى حلّ نهائيّ.

عندما وصلت إلى الفندق اتّصلت هاتفياً بأياني فأمرتها بالصّعود إلى غرفتها.

وجدتها في انتظارها مُرتدية لباساً منزلياً فاتحاً.

- سامحيني على إصراري رغم أنّك مُتعبة.

- لا عليك، لكن فيمَ تريدين مُحادثتي؟

دعتها أياني، جواباً عن سؤالها، للجلوس في إحدى أريكتي الغرفة.

جلست هيرومي وألقت نظرة حولها. كانت حقيبة أياني مفتوحة إلى جانب السرير المزدوج، مُمتلئة عن آخرها، ما يعني أنّها تنوي ربّما قضاء عدّة أيام هنا.

- أتشعرين بالعطش؟

- لا، شكراً لك.

- اسمعي، سأقدّم لك كأساً مع ذلك، فرُبّما قرّرتِ تغييرَ رأيك، قالت أياني وهي تملأ كأسين من الشّاي المثلّج من قنينة أخرجتها من ثلاجة صغيرة.

شكرتها هيرومي ومدّت كفّها للكأس. كانت حُنجرتها في الحقيقة جافّة.

- في ماذا كان رجال الشرطة يُريدون مُحادثتكِ؟ سألتها أياني بصوتها الهادئ المعتاد.

وضعت هيرومي كأسها وتلمّظت بلسانها.

- في الظروف التي وجدت فيها السيد ماشيبا. وسألوني أيضاً إن كانت لي فكرة عن مُجرم مُحتمل.

- وبماذا أجبتهم؟

- أنني لا فكرة لي عن ذلك، أجابت وهي تُصدر حركة نفي بكفّها. أجل، هذا ما أجبتهم به.

- حسناً! ولم يُطالبوك بأيّ شيء آخر؟

- لا... لا شيء، قالت هيرومي وهي تُطرق برأسها.

لم يكن بإمكانها أن تُخبرها بأنّهم سألوها عن القهوة التي شربتها معه.

هزّت أياني رأسها وأمسكت بكأسها وارتشفت منها ثمّ ألصقتها بخدّها كما لو لتُنعشها، إذ بدا كأنّها كانت تشعر بارتفاع حرارتها.

- هيرومي، قالت مُبتدئة حديثها، لدي أمر أُريد إخبارك به.

رفعت مُساعِدَتُها رأسها مُتفاجئة فالتقت نظرتاهما. كان الغضب الذي اعتقدت أوّل الأمر أنّها قرأته في عينيها قد اختفى على الفور وعُوّض بأمرٍ آخر. لم تكن عينا أياني تُعبّر عن الغضب ولا عن الهدوء، وإنّما عن مزيج من الحزن وعدم الفهم، وكانت البسمة الخفيفة الحائمة على شفتيها تُعمّق هذا الشعور أكثر.

- كان قد أخبرني أنّه يُريد الانفصال عنّي، قالت بصوت رتيب.

حوّلت هيرومي بصرها، ربما كانت غايتُها مُخاتَلَةَ تفاجُئِها ممّا سمعت، لكنّها لم تكن تملك القوة للقيام بذلك، ولم تجرؤ حتى على النظر إليها.

- حصل ذلك في غرفتنا تلك الجمعة، مُباشرة قبل وصول آل إيكاي. فبالنسبة إليه، لا معنى البتة لأن يكون مُقترناً بامرأة عاقر.

أنصتت إليها دون أن تصدُر عنها نأمةٌ واحدة. هي تعلم أنّ يوشيتاكا كان قد تحدّث لأياني، لكنها لم تُفكر بالمرّة في أنه كان قد خاطبها بهذه الكلمات.

- وأضاف أنّ في حياته امرأة أخرى، لم يُخبرني مَن تكون، ودقّق أنني لا أعرفها.

توترت هيرومي. هي لا تعتقد أنّ أياني كان بإمكانها أن تُحدّثها في هذا لو لم تكن قد خمّنت كل شيء، وبدا لها أنّ هدوء أياني كان يستهدف زعزعة هدوئها هي.

- أعتقد أنه كان يكذب، وأنني أعرف هذه المرأة، بل ربما أكون أعرفها حق المعرفة. ولهذا السبب قد يكون أحجم عن ذكر اسمها.

أحسَّت هيرومي بحالها تسوء، غير قادرة على التجلّد أكثر، فرفعت رأسها، وبدت الدموع جارية على خدّيها.

تفرّست أياني وجهها من دون أن تبدو عليها أدنى مُفاجأة من بُكائها، وواصلت تبسّمها بالطريقة نفسها.

- هيرومي، أنت هي المرأة المعنية، أليس الأمر كذلك؟ سألت بالنّبرة ذاتها التي يُخاطَبُ بها بلطف طفلٌ صغير ارتكب لتوه حماقة صغيرة.

صمتت هيرومي غير قادرة على الرّد مخافة أن تنشج، وواصلت الدموع السيلان على خدّيها.

- ألستِ أنتِ المعنية؟

ما عاد ممكناً الإنكار، فأجابت بالإيجاب بحركة خفيفة من رأسها.

فقالت أياني بصوت مسموع.

- لم أكن مُخطئة إذاً...

- أنا...

- فهمت. لا تتفوّهي بشيء. لمّا كان أعلن نيته بتركي فهمت على الفور. وربّما يجدر بي أن أقول إنني كنت قد انتبهت للأمر قبل ذلك، وكنت أرفض قبوله... كنّا شديدي القرب بعضنا من بعض ولم يكُن بإمكاني ألّا أنتبه لذلك، كما أنّكِ لست أكثر موهبة منه في الكذب أو التّمثيل.

- قد تكونين حانقة عليّ؟

أمالت أياني رأسها.

- حسناً... أجل، أعتقد أنّني غاضبة. وأتصوّر أنّ كلّ شيء أتى منه هو، لكن لماذا لم تصدّيه عنك؟ بيد أنّني لا أعتقد أنّك سلبتني زوجي، أُؤكّد لك ذلك. وهو لم يخنّي. قد يكون كفّ عن حبّي، فاهتمّ بكِ أنت على الفور. أنا ألوم نفسي على أن لم أعرف كيف أصون ما كان يُكنّه لي من عواطف.

- معذرة. كنتُ على علم أنّني أُسيء التصرّف، لكنه ألحّ، وألحّ، ثم...

- لا أُريد أن أعرف أكثر ممّا عرفت، قالت أياني مُقاطعة، بنبرة باردة وحادّة، مُختلفة عن نبرتها السّابقة، لأنّني إن عرفت أكثر لمتكِ أكثر فأكثر. أتعتقدين حقّاً أنّ الرغبة تحدوني في معرفة ما جذبكِ فيه؟

كانت تقول حقّاً، ما جعل هيرومي تُطرق برأسها قبل أن تُحرّكه.

- كنّا قد تعاهدنا على أمر عندما اقترنّا، واصلت أياني القول وقد استعادت صوتها الهادئ المعتاد. إن لم أحمل بعد سنة من الزّواج، نُعِدِ النّظر في الوضعية. ما عدنا في ريعان شبابنا، معاً، أليس كذلك؟ لهذا لم نتصوّر إمكانية الانطلاق في رحلة علاج طويلة ضدّ العقم. ويلزمني الاعتراف أيضاً أنّني قد صُدمت عندما فهمت

أنّك أنتِ المعنية، أمّا هو، فقد يكون قال لنفسه إنّه إنّما يُنفّذ الوعد الذي كان قائماً بيننا.

- حدّثَني عنه، قالت هيرومي بصوت منخفض من دون أن ترفع رأسها.

كان قد تحدّث عن ذلك يوم السّبت مستعملاً لفظة «قاعدة»، وكانت هيرومي قد اعتبرت كلامه وقتئذٍ غير قابل للفهم، بيد أنّ أياني كانت قد قبلت هذا الشّرط على ما يبدو.

- كنت قرّرت الذّهاب إلى سابورو لإعادة ترتيب الأمور في ذهني. لم أكن قادرة على تحمّل فكرة الاستمرار في العيش هنا، بعد أن كان أخبرني بنيته في الانفصال عنّي. وكنت سلّمتكِ المفتاح كي لا أعود للتّفكير فيه، وكنت أعلم أنّكما ستلتقيان في غيابي، فبدا لي أنّ الوضعية ستكون أوضح في ذهني إن سلّمتكِ المفتاح.

تذكّرت هيرومي الطريقة التي كانت قد عهدت به إليها. هي لم تُفكّر لحظة واحدة في أنّ فعلها ذاك كان تعبيراً عن تصميم بهذه القوة، بل بالعكس كانت تتباهى في سرّها بالثّقة التي وضعتها فيها أياني. وقد ارتعبت وهي تُفكّر في المشاعر التي كانت قد انتابتها لحظة قبولها تسلّم المفتاح من دون أن يُساورها الشّك في شيء.

- هل حدّثتِ رجال الشرطة عن علاقتكما؟

أجابت هيرومي بالإيجاب بحركة هادئة من رأسها.

- شعرتُ أنهم على علم بذلك وأنني لا خيار لي.

- هكذا! يُمكنني فهم السّبب، فهم قد يكونون استغربوا أن تُقرّري دخول المنزل فقط لأنّك كنت قلقة عليه، فما كان منهم إلّا أن أقاموا العلاقة، بيد أنهم لم يُحدّثوني في ذلك.

- حقّاً؟

- هم ربما يتظاهرون أنّهم لا علم لهم بشيء كي يروا ما سأقوم به. ومن المفروض أن أكون من بين مَن يشتبهون بهم.

- أنتِ؟ سألت هيرومي وهي تنظر لأياني، أتعتقدين؟

- أليس من الطبيعي أن يروا لدي سبباً للقيام بذلك؟ كان زوجي يُريد فراقي...

هي على حقّ، بيدَ أن هيرومي لم تكن تُقاسمها وجهة نظرها. فوجودها في سابورو لحظة وفاة يوشيتاكا له معناه، وفضلاً عن ذلك فإنّ يوشيتاكا كان قد طمأنها على أنّ أياني قبلت الانفصال.

- لكنّ الأمر عندي سيان، ولا أُولِيهِ أدنى أهمية، أضافت وهي تجلب نحوها حقيبة يدها وأخرجت منديلاً لتمسح عينيها. لا، إنّ كلّ ما أودّ معرفته هو كيف وقع ما وقع. لماذا مات بتلك الطريقة... أليس لك حقّاً أيّة فكرة عن ذلك؟ متى كنت رأيته آخر مرّة؟

كانت هيرومي تُفضّل ألّا تُجيبها، لكنه لم يكن بإمكانها أيضاً أن تكذِبَها القول.

- أمس صباحاً. شربنا القهوة معاً، وقد طرح عليّ رجال الشرطة أسئلة كثيرة في هذا الموضوع، لكنني لم أكن قد لاحظت أيّ شيء غريب. كانت حال السيد ماشيبا عادية للغاية.

- صحيح! قالت أياني مُميلة رأسها كما لو كانت تُفكّر في شيء، قبل أن تحطّ ببصرها على هيرومي. أنتِ لم تُخفِ عنهم شيئاً، أليس كذلك؟ أخبرتهم بكلّ ما تعرفينه على ما أتصور.

- أجل، أعتقد.

- حسناً، لكن إن كنتِ ربما نسيت شيئاً، عليك حتماً إخبارهم به، لأنّ شكوكهم قد تنصبّ عليكِ أنت أيضاً.

- ربما كانوا قد جعلوا يشكّون فيّ سلفاً. فحتى هذه اللحظة، أنا الوحيدة التي قابلت السيد ماشيبا يوم السبت.

- هذا صحيح، وهذا يوفّر لهم سبباً كافياً للاشتباه بكِ.

- كنت أُريد أن أسألك... أتعتقدين أنّ عليّ إخبارهم بأنّني قد التقيتُ بك هذا المساء؟

- أوه... جعلت أياني تقول، وهي تضع كفّها على وجنتها، حائرة. ليس لك أن تُخفي ذلك عنهم، أمّا أنا فالأمر عندي سيان. كما أنّهم قد يأخذون علماً بلقائنا، فتتعزّز شكوكهم فيك.

- حسناً.

توتّرت ملامح أياني.

- أليس الأمر فريداً من نوعه حقّاً؟ امرأة أخبرها زوجها بنيته في الانفصال عنها تُناقش ذلك مع عشيقته في غرفة مثل هذه، من دون شجار لأنّهما معاً فقدتا وجهتيهما. وعلى أيّ حال، فربّما ما استطعنا القيام بذلك إلّا لأنّه هلَك.

لم تُبد هيرومي أيّ ردّ فعل، لكنها كانت تُفكّر في الأمر ذاته. لَكانت قبلت الإهانة عن طيب خاطر لو كان من شأن ذلك أن يُعيد يوشيتاكا إلى الحياة. هي على بيّنة أنّها تُعاني من غيابه أكثر من معاناة أياني، لكنها تدري أيضاً أنها غير قادرة إلى حدود هذه اللحظة على أن تُفسّر لها سبب ذلك.

8

يقع منزل والدَي أياني ماشيبا في حي سكنيّ بديع. وبما أنّ الطابق السفلي منه يُتّخذ مرأباً، كان يُعتبر إدارياً أنّه سرداب. لذلك يتشكّل المنزل من طابقين، لكنه في وثائق الملكية منزلٌ من سفلي وطابق علويّ.

- الأمر مُعتاد هنا، قال كازونوري ميتا وهو يكسر رقائق الأرز. فبما أنّ الثلوج تسقط بغزارة في فصل الشتاء، ليس عملياً أن يكون مدخل المنزل في الطابق السفليّ.

- مفهوم، قال كوساناغي وهو يهزّ رأسه ويمدّ كفّه إلى كوب الشاي الذي أتته به توكيكو ميتا، أمّ أياني الجالسة إلى جانب زوجها وقد وضعت الصينية بتوازن على ركبتيها.

- لا يُمكنكَ تصوّر مقدار مفاجأتنا من وفاة زوج ابنتنا. بدت لنا وفاته غير مفهومة بعد أن تأكّد أنها لم تكن نتيجة حادث ولا مرض. لكن أن نُفكّر في أن يأتي رجل شرطة لزيارتنا... واصل كازونوري القول وهو يرفع حاجبيه اللذين اختلط فيهما السّواد بالبياض.

- نحن لسنا متأكّدين بعد من أنّ موته ناتج عن جريمة، دقّق كوساناغي حفاظاً على الشكل.

ظهرت على مُخاطبه أمائر الحيرة. كان رجلاً رقيقاً، وجهه شديد التغضّن.

- لا بدّ أن يكون له خصومٌ كُثر، فتلك في الغالب هي حال رجال الأعمال الناجحين. لكن مَن بإمكانه مع ذلك ارتكاب فعل بهذه الدّمامة. . .

سبق لكازونوري أن اشتغل في مصرف إلى أن تقاعد منذ خمس سنوات خلت، ومن المؤكّد أنّه قد التقى في عمله بعدد كبير من رجال الأعمال.

- أوه. . . قالت زوجته، وكيف هي حال أياني؟ لقد طلبت منّا ألّا نحمل همّها، لكن. . .

الأمّ تُفكّر أوّل ما تُفكّر في ابنتها.

- إنّها قوية جدّاً. لا شكّ أنّ صدمتها كانت شديدة، ونحن ممتنّون لها على تعاونها معنا في التحقيق.

- حقّاً؟ أنت بهذا تُطمئنني، أجابت الأمّ، من دون أن يبدو مع ذلك أنّ انشغالها تضاءل.

- كانت ابنتكما قد زارتكما هنا يوم السبت، أليس الأمر كذلك؟ وقالت لنا إنّ صحّتك أنت يا سيد ميتا لم تكن على ما يُرام.

كان كوساناغي قد قرّر التّطرّق لموضوع زيارته في أثناء نظره إلى كازونوري. كان هزيلاً ومعتكر المزاج، لكنّه لا يبدو مريضاً.

- أُصبت منذ ثلاث سنوات بالتهاب في البنكرياس، ولم أُشفَ منه شفاء كاملاً. أُصاب أحياناً بالحمّى وتنتابني آلام في البطن والظّهر تمنعني من الحركة. لكنّني أُجهد نفسي في إظهار ألّا بأس على حالي.

- لكنّك لم تكن بحاجة ماسّة لحضور ابنتك؟

- لا، لم يكن حضورها ضرورياً، أليس الأمر كذلك؟ أجاب وهو يبحث عن موافقة زوجته.

- كانت قد اتّصلت بنا هاتفياً يوم الجمعة مساء لتُخبرنا أنّها ستأتي يوم السبت، لأنّها مُنشغلة بصحّة أبيها ولأنّها لم تأتِ لزيارتي ولو مرّة واحدة مذ تزوّجت.

- ولم تقل لكما أيّ شيء آخر؟

- لا.

- ولم تُحدّد لكما أيضاً كم ستبقى معكما؟

- لا. لمّا كنت سألتها كم ستبقى بيننا أجابت أنّها لا تعرف ذلك بعد.

إن أخذنا بكلام أبَوَي أياني، فإنه لم يكن لها من سبب قهريّ يُحتّم عليها زيارتَهما، فلماذا إذاً، والحال كذلك، كانت قد قرّرت المجيء؟!

أوّل سبب يتبادر إلى الذهن، تفسيراً لكون امرأة متزوجة تتصرّف بهذه الشاكلة، هو أنّها على خلاف مع زوجها.

- أخبرني، سيدي المفتّش، واصل كازونوري القول بعد لحظة صمت، يبدو لي أنّك مهتمّ خصوصاً بقرار أياني المجيء لرؤيتنا. هل تطرح لك زيارتُها مشكلاً؟

إنّه مُتقاعد، لكنّ تجربته الطويلة في الاحتكاك بالبشر جعلته يُخمّن، بعد تصوّره على الأرجح لعدّة افتراضات، هدفَ زيارة هذا المفتّش القادم خصّيصاً من طوكيو.

- إن كان السيد ماشيبا قد قُتل، قد يكون المجرم اختار القيام بفعله مُستغلاً غياب ابنتك، أجاب كوساناغي برباطة جأش. ويكون علينا في هذه الحال أن نتساءل كيف عرف أنّها لن تكون في البيت.

هذا هو السبب الذي جعلني آتي لإزعاجكما. فهذا يعود بالفائدة على تحقيقنا كما قد يتبادر إلى ذهنكما.

- آه، مفهوم. . . أجاب مُخاطَبه من دون أن يستطيع كوساناغي معرفة إن كان جادّاً أم لا.

- لمّا وصلت ابنتكما، كيف قضت وقتها؟ سأل كوساناغي وهو ينظر إلى وجهَي أبوي أياني تباعاً.

- لم تُغادر البيت خلال اليوم الأول، عدا في المساء عندما ذهبنا لتناول السّوشي في مطعم بالحي، لأنّها تُحبّ هذه الأكلة كثيراً.

- هل بإمكانكما تحديد اسم هذا المطعم؟

ارتسم تعبير مشكّك على محيا توكيكو وزوجها.

- قد تكون لهذا فائدة لاحقاً، فأنا أُريد التحقّق من كلّ شيء ما دمت هنا. أرجو أنّ تتفهّما قصدي، لأنّ المجيء إلى غاية هنا ليس سهلاً بالنسبة إلينا.

ومن دون أن تكون توكيكو مُقتنعة بما سمعته لتوها، قدّمت المعلومة المرجوة.

- ثمّ زارت يوم الأحد حمّةَ نبعِ ماء حارّ، أليس الأمر كذلك؟

- بلى، برفقة ساكي، صديقة طفولتها والتي يقطن أبواها على بعد خمس دقائق من هنا. استقرّت منذ أن تزوجت بمقاطعة مينامي، لكن أياني اتّصلت بها مساء يوم السبت فقرّرتا الذّهاب معاً إلى جوزانكي.

هزّ كوساناغي رأسه وهو ينظر إلى كرّاسته. كان ماميا قد عرف اسم هذه الصديقة من أياني. اسمها ساكيكو موتوكا وكان من المفروض أن تقوم كاورو أوتسومي بزيارتها لدى عودتها من جوزانكي.

- قُلتما إنّ تلك هي المرّة الأولى التي زارتكما فيها بعد زواجها. هل حدّثتكما عن زوجها؟

أمالت توكيكو رأسها جانباً.

- أجل، قالت إنه لا يزال يعمل بكثرة، لكن ذلك لا يمنعه من تخصيص بعض وقته للعب الغولف وأمور من هذا القبيل.

- لم يكن إذاً قد حصل أمر ذو طبيعة خاصّة بينهما؟

- لا ، وعلى أيّ حال فهي التي كانت تطرح علينا أسئلة حول صحّة أبيها وعمّا يفعله أخوها. ذلك أنّ لنا ابناً أصغر منها يوجد في الوقت الرّاهن بالولايات المتحدة بسبب عمله.

- إن أجدتُ الفَهم فأنتما لا تريان صهركما باستمرار، ما دامت هذه هي المرّة الأولى التي زارتكما فيها ابنتكما منذ تزوّجَت.

- تماماً. كنّا قد زرناه قبل زواجهما بقليل، ولم نرَه منذئذٍ. كان قد قال لنا إنّه يُرحب بنا في بيته متى شئنا، لكن ما دامت صحّة زوجي هي على الحال التي ترى، لم نستطِع زيارته ولو مرّة واحدة.

- أعتقد أنّنا قد نكون التقينا به في المجمل أربع مرّات، صرّح زوجها وهو يُميل رأسه جانباً.

- وقد تزوّجا بعد وقت قصير من تعارفهما، أليس كذلك؟

- بالضّبط، فأياني كانت قد أدركت الثّلاثين سلفاً، وكنّا بدأنا ننشغل عندما اتّصلت بنا لتُخبرنا أنّها ستتزوّج، قالت الأمّ مُفسّرة، مُقطّبة وجهها.

ثمّ أخبره آل ميتا أنّ ابنتهما كانت قد استقرّت في طوكيو قبل ما يقرب من ثماني سنوات، فكانت إذاً قد غادرت سابورو سلفاً، وبعد مسارٍ دراسي قصير، مضت إلى بريطانيا العظمى بقصد مواصلة الدراسة. كانت قد بدأت دراسة الفسيفساء النّسيجية هنا في الثانوية

وسرعان ما كانت فازت بجوائز محلية، وعند عودتها إلى اليابان نشرت كتاباً حظي بنجاح كبير لدى هواة الفسيفساء النّسيجية فكرّس شهرتها.

- كانت مشغولة جدّاً في عملها، وكلّما كنّا نسألها متى تنوي الزّواج كانت تُجيبنا أنّه لا وقت لها كي تكون زوجة، وأنّها على العكس من ذلك تودّ أن لو كانت لها امرأة في البيت بدل رجل.

- هكذا... قال كوساناغي مُتفاجئاً قليلاً ممّا سمع، ومع ذلك فمنزلها مُعتنىً به بشكل جيد جدّاً.

قطّب أبوها بملامحه وهو يُصدر حركة نفي من كفه.

- إنّها موهوبة ربما في أعمال الخياطة، لكن لا تتصوّر أنّها تعرف القيام بكلّ شيء من شؤون البيت. عندما كانت تقطن بيننا لم تكن تقوم بشيء من ذلك، ولم تطبخ شيئاً أبداً لنفسها طيلة المدة التي قضتها وحيدة في طوكيو.

- حقّاً؟

- أجل، قالت توكيكو. ذهبتُ مراراً لزيارتها في بيتها عندما كانت وحيدة ولم يحصل لديّ الانطباع أنّها كانت تُعدّ الطّعام لنفسها. كانت تأكل وجبات جاهزة أو تمضي إلى مطعم.

- لكنّ أصدقاء السيد ماشيبا أخبرونا أنّهم كانوا يُستدعون باستمرار إلى بيته وأنّ ابنتك هي التي كانت تقوم بشؤون المطبخ...

- نعم، حدّثتنا عن ذلك. لقد حقّقت تقدّماً كبيراً بفضل دروس الطبخ التي أخذتها قبل الزواج، حتى إنّنا قلنا إنّ امرأة مثلها يُمكنها أن تتغير إن التقت برجل تحدوها الرّغبة في إسعاده.

- لا بدّ أن تكون قد تألّمت لفقد زوج كانت مستعدّة للقيام بهذا كلّه من أجله، قال أبوها وهو يُنكّس عينيه حزيناً.

كان يُفكّر بالتأكيد في الحالة الذهنية لابنته.

- هل بإمكاننا الذّهاب... لزيارتها في طوكيو؟ نُريد أن نُساعدها في مراسم الدّفن، هل تفهم قصدنا؟

- بالطّبع، فنحن لا مانع لدينا، لكنّني آسف أن أقول لكما إنّه ليس بإمكاننا بعدُ إخباركما متى سيكون باستطاعتنا تسليم الجثمان إلى العائلة.

- هكذا...

- ما عليكِ إلّا أن تتّصلي بها هاتفياً لاحقاً، قال كازونوري لزوجته.

حصل كوساناغي على كلّ المعلومات التي كان يُريدها فقرّر الانصراف. وفي أثناء انتعاله حذاءَه في مدخل الدّار لاحظ وجود معطف من فسيفساء نسيجيّة مُعلّق إلى مشجب. كان طويلاً إلى درجة إمكانية نزوله أسفل ركبتَي شخص راشد.

- لقد خاطته ابنتي منذ سنوات، قالت توكيكو مفسّرة. كانت تُريد أن يرتديه زوجي لمّا يخرج لشراء جريدته أو عندما يمرّ المموّن.

- ألم يكن بإمكانها أن تصنع لي شيئاً أقلّ إثارة للانتباه! قال الأب باسماً.

- كانت حماتي قد سقطت صباح يوم من فصل الشّتاء في أثناء ذهابها لابتياع الجريدة، وقد تذكّرت ابنتي ذلك فعملت على أن يكون هذا المعطف مُبطّناً على مستوى الوركين، أضافت زوجته وهي تُري تضعيف المعطف لكوساناغي الذي رأى في ذلك علامة على الحرص الأنثويّ.

زار بعد ذلك مطعم السّوشي المسمّى فوكو. لم يكن قد فتح

أبوابه بعد، لكن صاحبه، الرجلَ الخمسينيّ ذا الشّعر القصير والمتحرّك بحيوية خلف الكونتوار، تذكّر زيارة أياني.

- لم أكن قد رأيتها منذ مدّة طويلة، فحرصتُ على أن أُعدّ لها السّوشي بنفسي. أعتقد أنّهم كانوا قد انصرفوا حوالي العاشرة، لكن لماذا تُريدون معرفة هذا؟ هل حصل لها شيء؟

لم يرَ كوساناغي أيّ داع أن يحكي له ما حصل فانصرف بعد أن قدّم له تفسيراً مُناسباً.

كان له موعد مع زميلته في بهو فندق قريب من المحطّة حيث وجدها مُنكبّة على كتابة شيء ما.

- أكان الصّيد عميماً؟ سألها كوساناغي وهو يأخذ مكانه قُبالتها.

- السيدة ماشيبا قضت فعلاً الليلة في نُزل بجوزانكي. تحدّثتُ مع المستخدم فأخبرني أنّها كانت تبدو سعيدة بقضائها وقتَها برفقة صديقتها.

- وهذه الساكيكو موتوكا...

- التقيتُ بها.

- هل يتّفق ما أخبرتك به مع تصريحات السيدة ماشيبا؟

خفضت كاورو أوتسومي عينيها وحرّكت رأسها.

- نعم، لقد حكت لي الأمر نفسه تقريباً.

- الشيء نفسه بالنسبة إلي. فهي لم يُسعفها الوقت للقيام برحلتها كما شاءت ذهاباً وإياباً إلى طوكيو.

- لقد قضت السيدة موتوكا يوم الأحد برفقتها انطلاقاً من مُنتصف النهار. وأكّدت أنّ السيدة ماشيبا قد عثرت في ساعة متأخرة من يوم الأحد في محمولها على الرسالة التي بُعثت لها من طوكيو.

- في هذه الحال، لا سبيل للشّك في حجّتها، قال كوساناغي وهو يتّكئ على مسند المقعد، مثبّتاً بصره على زميلته الشابة. أياني ماشيبا ليست من ضمن المشتبه بهم، الأمر مفروغ منه. يبدو أنّ هذا لا يروق لك، لكن عليكِ أن تأخذي هذه الحقيقة الموضوعية في اعتبارك.

حوّلت لحظة بصرها كما لو لتوفّر لنفسها هُنيهة تتنفّس فيها، قبل أنْ تعود من جديد للنّظر في وجه زميلها.

- في حديث السيدة موتوكا أمر أو أمران بدا لي كأنّهما غريبان.

- ماذا تقصدين؟

- هما لم تلتقيا منذ زمن طويل على ما يبدو. وفي جميع الأحوال، فإنّه لم يحصل بينهما أيّ لقاء منذ أن تزوّجت السيدة ماشيبا.

- كذلك الحال بالنسبة إلى أبويها.

- لاحظت موتوكا أنّ صديقتها كانت قد تغيّرت. صارت أقلّ استرخاء من ذي قبل وأقلّ هدوءاً. وكانت قد أسرّت لنفسها أنّ صديقتها ليست في أحسن أحوالها.

- وبعد؟ سأل كوساناغي. من المرجّح أن تكون أياني قد علمت بخيانة زوجها. وربما كان ذلك هو السبب الذي جعلها على أيّ حال تُقرّر المجيء لزيارة أبويها. أنا لا أدري سبب إثارتكِ لهذا، وقد أمرنا الرئيس بأن نتأكّد ممّا إذا كانت حجّتها صحيحة أم لا، وهي صحيحة. ألا يكفيكِ هذا؟

- ثمّة أمرٌ آخر، واصلت أوتسومي القول من دون أن يتغيّر التّعبير المرتسم على محياها. لقد لاحظت صديقتها أنّها كانت تُشغّل

هاتفها المحمول مرّات متعدّدة لتتأكّد ما إن كانت قد توصّلت برسائل. وكل مرّة كانت تُطفئه عقب ذلك.

- من دون شكّ، حتّى لا تستهلك البطارية. كثير من الناس يقومون بذلك.

- أتعتقد؟

- وهل لديكِ أنت تفسير آخر؟

- كانت تعلم ربّما أنهم سيتصلون بها ولم تكن تُريد الرّد، مُفضّلةً إطفاءه لتستطيع الاتصال بعد أن تعرف مَن اتّصل بها.

حرّك كوساناغي رأسه نافياً. زميلته الشابة ذكية، لكنها تميل إلى تفسير كلّ شيء على هواها.

نظر في ساعته وانتصب واقفاً.

- علينا الذهاب، وإلّا فاتتنا الطائرة.



9

كان يسود البناية صمتٌ عميق. ورغم خُفّها المطاطي الخفيف بدت لها خطواتها ضاجّة كما لو كانت كل القاعات خلف الأبواب المصطفة على طول الممر فارغة.

لم تلتقِ بأحد إلّا عندما كانت تنزل السّلم. صعد رجل شابّ يرتدي نظّارة وهو يتفرّس فيها غير مُخفٍ مُفاجأته. لا بدّ أنّ هذا المكان لا تزوره إلّا القليل من النساء الشابات.

كانت كاورو أوتسومي قد زارت هذا المكان أول مرّة بضعة أشهر قبل الآن، بعد زمن قليل من تعيينها بالشعبة الأولى لمكتب التحقيقات الإجرامية، في إطار البحث في قضية كان يلزم حلّ لغزها، لها ارتباط بمجال الفيزياء. توجّهت إلى المُختبر الذي كان هو هدفها من هذه الزيارة، وهي تستدعي ذكريات زيارتها الأولى.

كان المختبر رقم 13 يوجد حيث كانت تعتقد. وكمثل المرّات السابقة وجدت الجدول المعلّق على الباب يُشير إلى حضور مُستعملي هذا المختبر أو غيابهم. لاحظت مُبتهجة وجودَ علامة أمام اسم يوكاوا. هو إذاً موجود ههنا ولا نية له في إخلاف موعدهما. كان كلّ مساعديه وتلامذته وقتئذٍ يحضُرون دروسهم، ما جعلها تشعر بالاطمئنان، لأنّها لم تكُن تُريد أن يسمع أحد ما تودّ الحديث فيه.

طرقت الباب فأجاب صوت: «نعم». لكن لا أحد أقبَلَ ليفتح لها الباب.

- آسف، لكن الباب لا ينفتح من تلقاء ذاته، قال الصّوت نفسه.

دفعت الباب فرأت ظهر رجلٍ يرتدي قميصَ بولو أسودَ قصيرَ الكمّين، وهو ينظر في شاشة حاسوب كبيرة حيث تحتشد كريات كثيرة.

- أيُمكنكِ تشغيل إبريق القهوة الكهربائيّ الموجود إلى جانب المِغسل؟ إنّه جاهز للاستعمال.

كان المغسل يوجد يمين الباب، وقد وُضع إبريق قهوة جديد إلى جانبه. ضغطت كاورو أوتسومي الزّر فسمعت على الفور تقريباً قرقرة الماء.

- بلغني أنّكَ تُحبّ القهوة الفورية.

- لقد ربحت هذه الآلة في مُسابقة للبادمنتون. وما دُمت أملكها فلِمَ لا أستعملها؟ إنّها عملية للغاية رغم أنّ ثمن الفنجان المعدّ بها مرتفع قليلاً، لكنّه يكون ذا جودة.

- وهل أنت نادم على عدم انتباهك لذلك قبل الآن؟

- لا، ليس إلى تلك الدّرجة. غير أنّ لهذه الآلة عيباً كبيراً.

- أيّ عيب؟

- ليس لقهوتها طعم القهوة الفورية نفسه. ثمّ أدار مدير المختبر مانابو يوكاوا كرسيه نحوها، بعد أن كان قد واصل، وهو يُحادثها، النّقر على أزرار لوحة المفاتيح. هل ألِفتِ الشّعبة الأولى؟

- بعض الألفة.

- حسن، أم عليّ أن أقول حسن جدّاً؟ هذا على الرغم من

نظريتي التي ترى أنّ اعتياد المحقّق على عمله يعني فقدَه إنسانيته بالتّدريج.

- هل سبق لك أن ناقشت هذا مع السّيد كوساناغي؟

- نعم، وأكثر من مرّة. لكن لا تأثير لذلك عليه البتّة، قال وهو يُدير من جديد عينيه في اتجاه الشاشة، واضعاً كفّه على الفأرة.

- بمَ أنت مُنشغل؟

- تقصدين هذا؟ إنها نمذَجَةُ البنية البلّورية لملح الحامض الحديديّ.

- ملح الحامض الحديدي. . . المغانيط؟

اتّسعت عينا رجل الفيزياء خلف نظّارته.

- أتعرفين شيئاً عن ذلك! الأصحّ أن نتحدّث عن أجساد مغناطيسية، لكن ما قُلتِه ليس سيّئاً.

- قرأت ذلك في مكان ما، ويُستعمل في الرّؤوس الممغنطة، أليس كذلك؟

- وا حسرتاه على عدم وجود كوساناغي ههنا، قال واكاوا مُعلّقاً وهو يُطفئ الشّاشة كي يستدير نحوها. أريد قبل كلّ شيء أن أطرح عليكِ سؤالاً. لماذا طلبتِ منّي ألّا أُحدّث كوساناغي عن زيارتك؟

- كي أُجيبكَ يلزمني أن أُحدّثكَ عن القضية التي نشتغل عليها حالياً.

رفض يوكاوا بحركة من رأسه وهو يسمع ما تقول.

- عندما كنتِ قد اتّصلت بي هاتفياً، رفضتُ أول الأمر لأنني ما عدت أُريد الاهتمام بالتحقيقات البوليسية، لكنّني غيّرت رأيي عندما طلبتِ مني عدم الحديث في ذلك إلى كوساناغي. وإن كنت قد

حدّدت لك موعداً فلأنّ الفضول انتابني لمعرفة سبب مطالبتك لي بالتزام الصّمت. عليك إذاً بدءاً أن تُجيبيني عن سؤالي. بعد ذلك سأُقرّر إن كنت سأقبل أن تُحدّثيني عن تحقيقكم أو سأرفض.

نظرت إليه كاورو أوتسومي وهي تتساءل عمّا قد يكون حصل بين الرّجلين؛ فكوساناغي أخبرها أنّ رجل الفيزياء كان قد أبدى من قبل استعداده للتعاون مع المحقّقين، لكنها تعلم أيضاً أنهما جعلا يلتقيان بوتيرة أقلّ من ذي قبل، بعد بعض القضايا البوليسية التي لا تعرف هي طبيعتها.

- سيكون من الصّعب عليّ أن أُفسّر لكَ دون أن أعرض عليك القضية.

- لا أرى سبباً لذلك. فأنتم عندما تقومون بتحقيقات في الجوار، هل تتحدّثون عن تفاصيل تحقيقكم لأولئك الذي تطرحون عليهم الأسئلة؟ ألا تعرفون جيداً كيف تصطادون المعلومات التي تُهمّكم مُتسترين على الأهم؟ ما عليك إذاً إلّا أن تُطبّقي معي التقنية نفسها. وأسرعي، لأنّك إن واصلت هدر الوقت سيأتي الطّلبة.

كادت كاورو تُقطّب بوجهها وهي تستمع لتفسيره السّاخر، وراودتها الرغبة في أن تُفقد رجل العلم هذا المتحلّي برباطة جأش شديدة، هدوءَه.

- ما الذي يحصل لكِ؟ سأل وهو يعقد حاجبيه، هل قرّرت التزام الصّمت؟

- كلّا.

- أسرعي إذاً، فأنا حقّاً لستُ في بسطة من وقتي.

- أعرف، أجابت، وأضافت: كوساناغي يُحبّ، واصلت قائلة دفعة واحدة من دون أن تُفارق ببصرها وجه رجل الفيزياء.

- ماذا؟

انسحب الهدوءُ من عيني رجل الفيزياء، وتلطّفت نظرته فأضحت شبيهة بنظرة طفل ضائع، ثمّ حطّ ببصره عليها.

- ما هذا الذي تقولين؟

- إنه يُحبّ، كرّرت. أجل، كوساناغي يُحبّ.

خفض يوكاوا ذقنه وعدّل من وضع نظّارته. وعندما رفع بصره من جديد في اتّجاهها كانت في عينه بعضُ العدوانية.

- يُحبّ مَن؟

- المشبوهة الرّئيسة. إنّه يميل إليها، ما يجعل وجهَتَي نظرنا في هذه القضية تختلفان بشدّة. هذا هو السبب الذي جعلني أطلب منك ألّا يعرف بقدومي لرؤيتك.

- أتقصدين أنه لا يتوقّع أن أُقدّم لك النّصح في عملك؟

- بالضبط، قالت وهي تهزّ رأسها.

شبّك يوكاوا ذراعيه وأغمض عينيه، واستند إلى مُتّكأ مقعده وتنهّد.

- أنا لم أُقدّركِ حقّ قدرك. كُنت أنوي عدم الرّدّ عليك، لكنني لم أكُن أنتظر أبداً أن تقولي ما قلته لي لتوك. إنّه يُحبّ. كوساناغي يُحبّ!

- أيمكنني مُحادثتك في هذه القضية؟ سألت مُستمتعةً بنصرها.

- لحظة. لنشرب قبل ذلك قهوتنا، فأنا في حاجة إلى هدوء كي أستطيع التّركيز.

نهض وملأ فنجانين.

- هذا مُناسب، قالت كاورو وهي تُمسك بالفنجان الذي قدّمه لها.

- ما المُناسِب؟

- القهوة، لأنها نُقطة انطلاق هذه القضية.

- أحياناً تصبغ القهوةُ الأحلامَ باللّون الورديّ... أعتقد أنّ هناك أُغنية تبتدئ هكذا. هيا، أخبريني بكلّ شيء، قال وهو يجلس ويرشف من قهوته.

أخبَرَته بما تعرفه الشرطة عن جريمة قتل يوشيتاكا ماشيبا، مُحترمة التسلسل الزمنيّ للأحداث، خارقةً التنظيماتِ التي تحظر الحديث عن التحقيق البوليسي لشخص أجنبي، لكن كوساناغي كان قد أخبرها أنّ يوكاوا لا يُقدّم عونه إلّا بهذا الشرط، علاوة على أنّه كان يثق فيه ثقة كاملة.

عندما صمتت كان الفيزيائي قد أنهى قهوته وجعل يسبر بعينيه عمق فنجانه.

- إن أجدتُ الفهم فأنت تشتبهين في زوجة الضحية بينما كوساناغي غير قادر على النّظر إلى الوضعية نظرة موضوعية ما دامّ واقعاً في حبّها.

- ربما كان من باب المبالغة القول إنه يُحبّها. أنا اخترتُ هذه الكلمة الصّادمة كي أُوجّج اهتمامك، لكنني مقتنعة أنه يحمل لها بعض المشاعر الخاصة. وهو، في جميع الأحوال، لا يتصرّف معها كما يتصرّف في العادة مع غيرها.

- أنا لن أسألك ما الذي جعلكِ تقولين هذا، لأنّني أثق في غريزة المرأة في هذا المجال.

- أشكركَ.

وضع يوكاوا فنجانه على المائدة وهو يُقطّب حاجبيه.

- بيدَ أنني وأنا أستمع إليك لم يحصل لدي الانطباعُ بتحيّزه. فحجّة هذه المرأة -ألا تُسمّى أياني ماشيبا؟- قوية.

- أجل، لكن الجريمة هنا ليست مُرتكبة بسلاح مُباشر كمثل سكّين أو سلاح ناريّ، وإنما بالتّسميم. ويبدو لي أنه ليس بإمكاننا أن نُلغي احتمال وجود تدبيرٍ ما أُرسيَ سلفاً.

- أنت لا تُفكّرين على أيّ حال في مُطالبتي بالتّفكير في الوسائل الملموسة التي تمّ تسخيرها للقيام بالتّسميم؟

وصمتت لأنه خمّن حقيقة ما تُريده.

- أهذه نيتكِ؟ سألها مُقطّباً وجهه. يبدو لي كأنّ ثمّة سوء فهم ما. أنت تخلطين بين الفيزياء والسّحر.

- بيد أنّك غالباً ما فككت ألغازاً كان حلُّها يحتاج إلى ما يُشبه السّحر، ألم يسبق لذلك أن حصل؟

- هناك فرق بين الخدعة الإجرامية والعمل السحريّ الباهر، أتُدركين هذا الفرق؟ واصل القول وهو يراها تُؤتي حركة نفي برأسها. لنبدأ بوجه الشّبه بينهما، وهو أنّ في الحالتين هناك خُدعة في المنطلق، لكنّ طريقة مُعالجة الخدعة الإجرامية تختلف اختلافاً جذرياً عن طريقة مُعالجة الفعل السّحريّ. ففي حالة السّحر، ما أن تنتهي الفرجة حتّى يفقد المتفرّج إمكانية الوصول إلى كنه الفعل السّحريّ، أما في حال الخدعة الإجرامية فإنه يكون في ملك المحقّقين تحليلُ مسرح الجريمة إلى أن يحصلوا على بُغيتهم. إنّ وجود تدبيرٍ ما لارتكاب الجريمة يترك بالضرورة آثاراً، وأصعب ما في الأمر بالنسبة إلى المجرم هو أن يُخفي هذه الآثار بصفة نهائية.

- وأنت ترى أنّ من المستحيل أن تكون الآثار في هذه القضية قد مُحيَت بحذق بصفة نهائية؟

- عليّ أن أقول، اعتماداً على ما حكيته لي، إنّ ذلك لا يبدو لي مُحتملاً إلّا في حدود ضئيلة جدّاً. أوه... ما اسم عشيقة الضّحية؟

- هيرومي واكاياما.

- ألم تُصرّح بأنّها قد تناولت القهوة مع الضّحية؟ وهي قهوة أعدّتها بنفسها؟ لو كانت ثمّة خُدعة إجرامية، فلمَ لم تفعل فعلها وقتئذٍ؟ إنّ هذا هو مفتاح اللّغز. أنت أشرت قبل قليل إلى فرضية مهمة وهي أن يكون السّم قد قُدّم للضحية بوصفه وسيلة لتنكيه طعم القهوة. أنا أعتقد أنّ ذلك بإمكانه أن يصلح مُنطلقاً لحلقة من سلسلة بوليسية تلفزيونية، لكنه ليس بالتأكيد الطريقة التي كان مُرتكب الجريمة قد اختارها.

- لِمَ لا يكون الأمر كذلك؟

- ضعي نفسك مكانه. ما الذي كان سيحصل لو أنّ الضحية كان قد قرّر استعماله خارج بيته؟ وأن يكون قد فسّر للشخص الذي برفقته قائلاً: «زوجتي هي التي سلّمتني هذا، لِمَ لا نُجرّبه الآن؟».

عضّت كاورو على شفتيها. إنه على صواب، لكنّها لم تستطِعْ مع ذلك التّخلّي عن هذه الإمكانية.

- إن كانت الزّوجة مُذنبة فإنّه لم يكن بإمكانها أن تجعل تدبيرها الإجراميّ قيد التنفيذ إلّا بعد التغلّب على ثلاثة حواجز، قال يوكاوا وهو يرفع ثلاث أصابع. الأوّل، أن تكون متأكّدة من أنّه لن يُكتشف قبل أن يُؤدّي دوره، وإلّا فلأي شيء يصلح لها أن تملك حجّة؟ والثاني هو يقينها من أنّ السيد ماشيبا سيبتلع السّم. فلن يكون لهذا الإجراء معنىً إن لم يكن موت الضحية مضموناً، حتى وإن كان ممكناً أن تموت عشيقته معه. أما الثالث فالسرعة. يجب أن يكون

ممكناً استعمال هذا الإجراء في رمشة عين. ألم يكن الزوجان ماشيبا قد أقاما عشاء في منزلهما عشية انصراف السيدة ماشيبا إلى هوكايدو؟ فإن كان هذا التدبير قد وضع قيد التنفيذ سلفاً لكان شخص آخر قد وقع ضحيته. لذلك فإنْ كان هذا الإجراء قد فُعّل فقد حصل ذلك بعد العشاء، واصل القول بنبرة واثقة، قبل أن يمدّ كفّيه نحوها، الراحتان إلى الأعلى، لذلك أُعلن انسحابي، فخديعة من هذا النّوع لا يُمكن تخيّلها، على الأقلّ في تصوري أنا.

- وهل تجاوُز هذه الحواجز الثلاثة صعبٌ إلى هذه الدرجة؟

- من وجة نظري، نعم. بخاصّة الحاجز الأول. لذلك يبدو لي القولُ بأنّ الزوجة ليست الفاعلة، هو الأقرب إلى العقلانية.

تنهّدت كاورو. سيكون من الخطأ المعاندة بعد أن وصل إلى خلاصة قاطعة مثل هذه.

في تلك اللحظة نفسها رنّ هاتفها فأجابت وهي تنظر بطرف عينيها إلى يوكاوا وقد نهض ليُفرغ كأس قهوة أخرى.

- أين أنتَ؟

كان المتّصل هو كوساناغي، وقد بدا الاستعجال في صوته.

- في صيدلية للاستعلام عن طريقة الحصول على الزرنيخ.

- هل لديك جديد؟

- أجل، فبفضل التّقنيين تمّ العثور على سمّ في شيء آخر غير القهوة.

ضغطت الهاتف في كفّها بقوة.

- أين عُثر عليه؟

- في الغلاية التي استُعملت في تسخين الماء لإعداد القهوة.

- هكذا إذاً!

- كانت فيها كمية ضئيلة جدّاً، لكنّها موجودة، وسنستدعي على الفور هيرومي واكاياما.

- لماذا؟

- لقد رُفعت بصماتها عن الغلّاية.

- لكن أليس ذلك أمراً عادياً؟ لقد قالت لنا إنّها أعدّت القهوة يوم الأحد صباحاً.

- أعلم، وهي بذلك قد واتتها الفرصة لوضع السّم في الغلاية.

- لم يعثروا على بصمات أخرى؟

- بلى، بصمات الضّحية.

- ولا أثر لبصمات الزوجة؟

سمعت زميلها يتنهّد.

- بالطبع هناك بصمات لها ما دمنا في بيتها. لكنها لم تكُن آخر مَن استعمل الغلاية، كما لم نعثر على أيّ آثار لأصابع بقفّاز.

- أما أنا فقد سبق لي أن سمعت أنّ يداً ترتدي قفازاً لا تترك آثاراً بالضرورة.

- وهل تعتقدين أنّني أجهل ذلك؟ لكن، وبحسب الظّروف المحيطة بالقضية، فإنّ هيرومي واكاياما هي الشخص الوحيد الذي كان بإمكانه دسّ السّم في الغلاية. سنستجوبها في مكاتبنا. أسرعي بالعودة.

- حسناً، أجابت كاورو قبل أن تُقفل الخط.

- هل طرأ أمر؟ سأل يوكاوا مُرتشفاً من القهوة.

حكت له ما علمته لتوها وهو يستمع بانتباه.

- ثمّة سمّ في الغلاية... أنا أجد هذا بالأحرى مُذهلاً.

- ربما أكون قد أخطأت في اشتباهي بأياني. كانت هيرومي

واكاياما قد استعملتها لإعداد القهوة التي شربتها مع الضحية صباح يوم الأحد. لم يكن بها سمّ إذاً في تلك اللحظة، ولذلك فإنه لا يُمكن لأياني ماشيبا أن تكون مُرتكبة الجريمة.

- وفضلاً عن ذلك، فإنّ دسّها السّم في الغلاية ليس في صالحها، حتى ولو من قبيل الخداع.

أمالت كاورو رأسها جانباً، من دون أن تفقه معنىً لما قاله.

- صرّحتِ لتوّك أنّ الزوجة لا يُمكنها أن تكون قد ارتكبت الجريمة لأن شخصاً آخر استعمل الغلاية قبل وقوعها. لكن لو لم تكن الحال كذلك، ما الذي كان سيحصل؟ هل كانت الشرطة ستتصور أنّ الزوجة هي التي دسّته؟ ولَمَا كان عندئذٍ لحجّتها من معنىً؟

- آه... أنت على صواب، قالت كاورو وهي تُشبّك ذراعيها على صدرها مُطرقة برأسها. في كلتا الحالتين، يجب إبعاد أياني ماشيبا من لائحة المشتبه بهم، أليس كذلك؟

لم يُجبها يوكاوا، وثبّت بصره عليها.

- وما الذي تعتزمين فعله الآن؟ إن كانت الزوجة غير مذنبة، فهل ستفعلين مثل كوساناغي فتتصورين أنّ عشيقة الضحية هي المذنبة؟

حرّكت رأسها.

- كلّا، أنا لا أعتقد بذلك.

- تبدين واثقة من نفسك. فسّري لماذا، فأنت لن تقولي لي على أيّ حال إنها ليست المجرمة لأنه لم يكن لها من داعٍ لقتل الرجل الذي تُحبّه.

جلس يوكاوا ووضع ساقاً على ساق.

أخفت كاورو انزعاجها، لأن ذلك ما كانت تستعد لقوله، ولا دلائل أخرى في حوزتها.

انتبهت، وهي تنظر إلى يوكاوا، أنه هو أيضاً لا يعتقد بتورّط هيرومي واكاياما، وأنّ له بالتّأكيد أسباباً فعلية لذلك. هو لا يعرف عن هذه القضية إلّا ما حكته له، فهل تكون قد قدّمت له من دون قصد مُؤشّراً على استحالة أن تكون هيرومي واكاياما قد دسّت السّم في الغلاية؟

- آه! قالت مُتعجّبة وهي تُعيد رفع رأسها.

- ماذا دهاك؟

- لكانت هيرومي قد غسلت الغلاية.

- كيف؟

- لو كانت قد وضعت السّم في الغلاية، لكانت عمدت إلى غسلها قبل مقدم الشرطة، لأنها هي التي اكتشف الجثّة، وكان لها الوقت الكافي للقيام بذلك.

هزّ يوكاوا رأسه باد عليه الارتياح.

- تماماً. وأُضيفُ أنّها لو كانت المذنبة لما كانت غسلت الغلاية فحسب، وإنّما كان بإمكانها أيضاً أن تتخلص من مصفاة تفل القهوة، ولكانت كذلك قد تركت بجانب الجثمان كيس السمّ، لتُوهِم بالانتحار!

- شكراً لك، قالت كاورو مُنحنية قليلاً برأسها. أنا سعيدة بالمجيء لرؤيتك، واصلت القول وهي تتجه نحو الباب.

- هيه! صوّت يوكاوا ليوقفها. لا أعتقد أنّ بإمكاني الذهاب إلى مسرح الجريمة، لكنّ صوراً له قد تُساعدني.

- صور ماذا؟

- صور المطبخ حيث أُعدّت القهوة المسمومة. وكذلك صور الأواني المستعملة والغلاية.

جحظت عينا كاورو.

- أنتَ إذاً على استعداد لتقديم يد العون لي؟

حكّ يوكاوا رأسه مُقطّباً.

- أنا مستعدّ على أيّ حال أن أُفكّر قليلاً، إن أسعفني الوقت، فيما إذا كان بإمكان شخص يوجد في هوكايدو أن يقتل شخصاً آخر يوجد في طوكيو.

لم تستطِعْ كاورو كتم بسمة. فتحت حقيبتها وأخرجت ملفاً.

- هذا لك.

- ما هذا؟

- ما كنتَ طلبته منّي. لقد أخذته هذا الصباح.

فتح يوكاوا الملف منبهراً.

- إن استطعنا سبر هذا اللّغز ستكونين أنت من يُطلب منه النّصح! قال قبل أن يُضيف بتفخيم: على الأقلّ هذا ما سأقوله لكوساناغي.

10

لمّا اتّصل كوساناغي هاتفياً بهيرومي واكاياما، أخبرته أنها في دايكانياما بمشغل أياني ماشيبا للفسيفساء النّسيجية.

استقلّ سيارة كيشيتاني الذي انبرى للسّياقة، قاصدَين المشغلَ الواقع في الطّابقَ الثّاني من عمارة واجهتُها البيضاء مُبلّطة. لم تكن البناية، على خلاف غالبية عمارات اليوم، مزوّدة بإنترفون في مدخلها الواقع على الشارع في هذا الحي الأنيق. أخذ رجلا الشرطة المصعد فوجدا مكتوباً على يافطةٍ ببابِ الشّقة رقم 305: **آنز هاوس**.

قرعا الجرس ففتحت لهما هيرومي واكاياما، مُستقبلةً إيّاهما بوجهٍ كساه القلق.

- معذرة على الإزعاج، قال كوساناغي وهو يخطو خطوة إلى داخل الشّقة.

أراد مواصلة الكلام مع هيرومي لكنه أحجمَ مُبلبلاً، بعد أن لمح لتوه أياني ماشيبا في عمق الغرفة.

- هل جدّ جديد؟ سألت وهي تتقدّم نحوهما.

- لم أكن أعرف أنّكِ هنا.

- كنّا بصدد الحديث عمّا علينا فعلُه. ألديكما شيء آخر تُريدان

سُؤالها فيه؟ اعتقدتُ أنها قد أخبرتكما بكلّ شيء، قالت بصوت لطيف في غاية الهدوء.

لكنّ كوساناغي لمح فيه مع ذلك نقمتَها فانكمش تحت وقع نظرتها العدوانية.

- لقد تقدّم التحقيق قليلاً، أجاب وهو يلتفت نحو هيرومي واكاياما. نُريدك أن تذهبي معنا إلى ولاية الشرطة.

جحظت عينا المرأة الشّابة ورفّت رموشها مرّات.

- ما الغرض من ذلك؟ سألت أياني. لماذا عليها مُرافقتكما؟

- لا يُمكننا إخبارك بذلك حالياً. آنسة واكاياما، أنت توافقين على مُصاحبتنا، أليس كذلك؟ اطمئنّي فنحن لم نأتِ في سيارة شرطة.

أدارت هيرومي واكاياما نظرة خائفة نحو أياني ثم هزّت رأسها.

- حسناً. وستتركاني أنصرف بعد ذلك، أعتقد.

- أجل، ما أن تُجيبي عن أسئلتنا.

- دعاني آخذ أغراضي.

ذهبت باحثة عن معطفها وحقيبة يدها في الغرفة الثانية. لم يجرُؤ كوساناغي على مواجهة نظرة أياني، حاصلٌ لديه الانطباع أنها لا تزال مُسلّطةً بصرها عليه.

مضت هيرومي واكاياما خلف كيشيتاني في الممر، واستوقفت أياني كوساناغي عندما أرادَ هو بدوره أن يمشي في أثرهما.

- انتظر من فضلك! قالت وهي تُمسك به من ذراعه بحماسة أدهشته. أتشتبهون في هيرومي؟ أنا مُخطئة أليس كذلك؟

شعر كوساناغي بالحرج. رأى كيشيتاني ينتظره أمام باب الشّقة.

- سألتحق بك في السيارة، قال لزميله وهو يُغلق باب الشقة ناظراً إلى أياني.

- أوه... معذرة، قالت وهي تُرخي قبضتها عن ذراعه. من المستحيل أن تكون مذنبة، وأنتم ترتكبون خطأ فادحاً إن كنتم تُفكّرون عكس ذلك.

- علينا تمحيص كلّ الاحتمالات.

حرّكت أياني رأسها بقوة.

- وهذا الاحتمال مُنتفٍ البتّة. هي لم تقتل زوجي، وأعتقد أنكم على بينة من هذا، أليس الأمر كذلك؟

- ماذا تقصدين؟

- ألستم على معرفة بعلاقتها بزوجي؟

تردّد كوساناغي وقد أُخذ هكذا على حين غفلة.

- أكنتِ أنتِ على علمٍ بهذا؟

- تحدّثنا في ذلك قبل الآن. كنت سألتها فاعترفَت بكلّ شيء.

حكت له أياني الطريقة التي كان قد دار بها الحوار بينهما، فبدا للشرطي غريباً للغاية أن يكون قد دار نقاش بين السيدتين قبل لحظات عن تعاونهما المهني رغم هذه الظروف. تعجَّب من ذلك لأن باستطاعتهما من دون شكّ أن تقوما بهذا ما دام زوج أياني قد فارق الحياة، لكنّه وجد نفسه عاجزاً عن تصور الحالة الذهنية للمرأتين.

- كنت قد رحلتُ إلى سابورو لأنّني لم أُطق البقاء في المنزل بعد أن كان أخبرني بنيّته في فراقي. لقد كذبت عليكم وأنا ألتمس

العذر، قالت وهي تُطرق برأسها. لكنّه لم يكن لهيرومي أيّ داعٍ لقتل زوجي، فكفّوا رجاءً عن الاشتباه بها.

اتّضح أنّ نبرتها الضاغطة بلبلت كوساناغي، فبدا له أمراً لا يُصدّق أن يراها هكذا تُدافع بهذه القوة عن المرأة التي سلبتها زوجها.

- أصبحت الرّؤية أوضح الآن، لكن ليس بإمكاننا الاعتماد على المشاعر فحسب. إنّ واجبنا يقتضي التحقيق بلا هوادة اعتماداً على دلائل مادية.

- دلائل مادية؟ هل أفهم من قولك أنّ في حوزتكم عناصر تُدينها؟ سألته أياني مُلقية عليه بنظرة شكّاكة.

تنهّد كوساناغي وفكّر بسرعة، ثم قال في سرّه إنّ إخبارها بالعنصر الجديد الذي يجعل المحقّقين يعتبرون المرأة الشابة مُشتبهاً بها لن يضرّ التحقيق في شيء.

- نحن على علم الآن بالكيفية التي دُسّ بها السّم في القهوة، قال مُبتدئاً حديثه في ذلك.

وفسّر لها أنه تمّ العثور على آثار للزرنيخ في الغلاية وأن هيرومي واكاياما هي الشخص الوحيد الذي يقوم الدّليل على حضوره في بيت آل ماشيبا يوم وقوع الجريمة.

- في الغلاية... أحقّاً ما تقول؟...

- هو ليس دليلاً قاطعاً، لكنه ليس في ملكنا إلّا الاشتباه بمساعِدتكِ، على اعتبار أنها الشخص الوحيد الذي كان بإمكانه دَسّ السّم.

- لكن... شرعت أياني تقول من دون أن تُتمّ جملتها.

- لا يُمكنني أن أبقى هنا أكثر، قال كوساناغي مُقاطعاً قبل أن يُغادر المشغل وهو يُحييها برأسه.

ما أن وصلت المجموعة الصغيرة إلى مقرّ شرطة العاصمة حتى انبرى ماميا لاستجواب هيرومي واكاياما. وقد فضّل هذه المكاتب على مفوضية ميغورو حيث يوجد المقرّ العام للتحقيق في هذه القضية لتقديره أنه يُضاعف بذلك احتمالات مرورها إلى مرحلة الاعتراف. وإن فعلت ستُقاد إلى مفوضية ميغورو، فتتمكّن وسائل الإعلام بذلك من حضور وصول المشتبه بها لحظة إلقاء القبض عليها.

وبينما كان كوساناغي ينتظر في مكتبه نتائج الاستجواب، أتت كاورو أوتسومي، فكان أول ما أخبرته به أنّ هيرومي واكاياما ليست المجرمة.

شعر كوساناغي بالخيبة تجتاحه وهو يُنصت لزميلته، ليس لأنّ ما قالته مُجرّدٌ من أيّ فائدة، لا بالعكس، وإنما لأنّ منطق زميلته كان مُقنعاً: لماذا لم تمح هيرومي واكاياما أثر السّم من الغلاية إن كانت هي التي وضعته.

- أتقصدين أنّ شخصاً آخر هو مَن قد يكون دَسّه؟ لا تنسي أنّ هذا الشّخص لا يُمكن أن يكون هو أياني ماشيبا.

- لا أعرف مَن قد يكون قام بذلك، وربّما كان الفاعل أتى إلى منزل آل ماشيبا يوم الأحد بعد انصراف هيرومي واكاياما.

نفى كوساناغي ما سمع بحركة من رأسه.

- لم يأتِ أحد إلى بيتهما، وقد قضى يوشيتاكا ماشيبا اليوم بمفرده.

- ألا تعتقد أنّنا فقط لم نعثر بعد على هذا الشخص؟ في جميع

الأحوال، ليس لاستجواب هيرومي واكاياما أيّ معنىً، وقد يُعتبر ذلك حتى غصباً لحقوقها.

ترنّح كوساناغي من سماع نبرة صوت زميلته الذي يغدو أكثر وثوقاً ممّا سبق، لكن رنين هاتفه المحمول انتشله من حالته. وسعيداً بما أحدثته الرّنة لديه من استفاقة، نظر مَن المتّصل فانتفض وهو يقرأ اسم أياني ماشيبا.

- آسفة لإزعاجك وأنت في ذروة شغلك، لكن من الضّروري مُحادثتك...

- في ماذا تُريدين مُحادثتي؟ سأل وهو يضغط على هاتفه.

- في السّم الذي عُثر عليه في الغلاية. أعتقد أنّ ذلك لا يعني بالضرورة أن يكون شخص ما قد دسّه فيها.

بقي كوساناغي حائراً ممّا سمع، بعد أن كان ينتظر أن تترجّاه تركَ مساعِدتها وشأنَها.

- كيف؟

- كان علي ربّما أن أحدّثك في هذا قبل الآن؛ إنّ زوجي المشغول بصحته لم يكن يشرب أبداً ماء الصنبور، كما أنني كنت أستعمل في أشغال المطبخ دائماً الماء المُصفّى، من الصنبور الثاني في المِغسل، ولم يكن هو يشرب إلّا الماء المعبّأ في القناني، ويستعمله أيضاً في إعداد القهوة. ولا بدّ أن يكون هذا ما قام به عندما أعدّ القهوة لنفسه.

- أتعتقدين أنّ السّم قد يكون مصدره ماء القنينة؟

سمعت كاورو ما يقوله فرآها ترفع أحدَ حاجبيها.

- تماماً، وبذلك تضلّون السبيل إن اشتبهتم فقط في هيرومي. إنّها ليست الوحيدة التي كان بإمكانها دسّ السّم.

- مفهوم...

- كان بإمكان شخص آخر، مثلي أنا، أن يقوم بذلك أيضاً.

11

كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة مساء بقليل عندما غادرت كاورو وكالة شرطة العاصمة وهي تقود سيارتها لتُعيد هيرومي واكاياما إلى بيتها. دام استجواب المرأة الشابة قُرابة الساعتين، أي أقل بكثير ممّا كان يتوقعه ماميا.

وإن كان قد قصّر من زمن الاستجواب فبسبب مكالمة زوجة الضحية تحديداً. فزوجها، بحسب ما ادّعت، كان قد أمرها ألّا تستعمل إلّا ماء القنّينة في إعداد القهوة. وإن كان ما تقوله صحيحاً فإنّ هيرومي واكاياما ليست الشخص الوحيد المشتبه في أنه قد دَسّ السّم في الغلاية، لأنه كان بالإمكان القيام بذلك من قبل.

لم يكُن ماميا قد أفلح على ما يبدو في العثور على طريقة فعّالة لمهاجمة المرأة الشابة التي ما انفكّت تُؤكد باكية أنها ليست الفاعلة، وقد قبل على مضض تركها تنصرف، كما اقترحت عليه كاورو أوتسومي.

ظلَّت جالسة إلى جانب المفتشة الشابة، غارقة في صمتها. لم تجد كاورو أدنى صعوبة في تخمين أنها مُرهَقَة عصبياً، فقد سبق لها أن رأت رجالاً ينهارون بعد استجوابٍ قام به رجل شرطة مُحنّك. تحتاج المرأة الشابة بالتأكيد بضع ساعات كي تستعيد هدوءها بعد أن

استُثيرت مشاعرها. ما كانت هيرومي لتتخلّف عن مُحادثة كاورو لو كانت في حال أحسن، لكن الآن وهي تعرف أنّ الشرطة تعتبرها واحدة من المشتبه بهم فإنه ليس لديها أيّ سبب لتكون لها مشاعر وُدّية تجاه المفتشة التي تُعيدها إلى بيتها.

أخرجت هيرومي بغتة هاتفها، لأنّ أحدهم يتّصل بها.

- آلو، أجابت. نعم انتهى الاستجواب للتو. أنا في طريق عودتي إلى البيت... لا، تكرَّمت المفتّشة الشابة بمصاحبتي... كلّا، ليس في مفوضية ميغورو وإنما في وكالة شرطة العاصمة، لذلك سأستغرق وقتاً أكثر... نعم، شكراً لك، أضافت بصوت خفيض قبل أن تُقفل الخط؟

- هل هي السيدة ماشيبا؟ سألت كاورو بنبرة هادئة.

تشنّجت المرأة الشابة وهي تسمع صوتها.

- أجل، فهل يطرح هذا مشكلاً؟

- لقد حدّثَت عنك كوساناغي قبل قليل. هي مهمومة من أجلك.

- أتعتقدين؟

- أنتِ حدّثتها عن علاقتك بالسيد ماشيبا، أليس كذلك؟

- كيف عرفتِ؟

- أخبرني كوساناغي بعد أن حدّثته السيدة ماشيبا عن ذلك لمّا كنتِ أنت في مكاتبنا.

وبما أنّ هيرومي التزمت الصمت، ألقت عليها كاورو نظرة من طرف خفي. كانت الرّاكبة تبدو مُعتكرة المزاج وقد نكّست بصرها. لم يسرّها بالتأكيد أن يكون شخص آخر قد اطّلع على علاقتها بالسيد ماشيبا.

- قد تُصدمين من كلامي، لكنني أجد الأمر غريباً. فبدل أن ينشب بينكما شجار تواصلان علاقتكما وكأن شيئاً لم يقع.

- أعتقد أنّ ذلك عائد إلى كون السيد ماشيبا قد فارق الحياة.

- لكن مع ذلك. . . واعذريني على صراحتي.

ران الصمت لحظة، ثمّ أضافت هيرومي أنها تتّفق معها، فحصل لدى المفتشة انطباع بأنها هي أيضاً لا تُكلف نفسها عناء استيضاح الطابع الغريب لهذه العلاقة.

- أودّ أن أطرح عليك سؤالين أو ثلاثة إن تفضّلتِ بالموافقة.

تنهّدت هيرومي بصوت مسموع.

- ألا تزال في جعبتكِ أسئلة؟

- أعلم أنّكِ مُرهَقَة، لكنني سأكون موجزة، ولا أعتقد أنكِ ستجدين أسئلتي جارحة.

- في أيّ موضوع؟

- يوم الأحد صباحاً، ألم تكوني قد شربتِ القهوة مع السيد ماشيبا؟ وأنتِ مَن أعدَدْتِها؟

- من جديد! صاحت هيرومي بصوت بكائيّ. أنا لم أفعل شيئاً. السّم لستُ أنا مَن دسّه.

- أنا لا أُحدّثك عن السّم وإنما عن الطريقة التي كنت قد أعددتِ بها القهوة. أيّ ماء كنت قد استعملت؟

- أيّ ماء؟

- أقصد، هل استعملتِ ماء القنينة أم ماء الصنبور؟

- آه! صوّتت هيرومي بصوت ضعيف، ماء الصنبور.

- هل أنت متأكّدة؟

- أجل. هل يُغير هذا من الأمر شيئاً؟

- ولماذا كنت استعملت ماء الصنبور؟

- ليس لسبب بعينه. كي أُعدّها بسرعة استعملت ماء ساخناً.

- ألم يكن السيد ماشيبا معك في تلك اللحظة؟

- بلى، ألم يسبق لي أن قلت لكم ذلك؟ كنت قد أريته الطريقة الجيدة لإعداد القهوة، أجابت وقد شابَ صوتها بعضُ الغيظ.

- فكّري. أنا لا أُحدّثك عن لحظة صبّ الماء على القهوة وإنما عن اللحظة التي عبّأتِ فيها الغلاية. هل كان معك؟

لم تُجب هيرومي على الفور. لقد طرح عليها ماميا أسئلة كثيرة، لكنه لم يطرح على الأرجح هذا السّؤال.

- إنني أتذكّر... تمتمت بالقول. نعم أنا متأكدة. لم يكن في المطبخ لحظتها. كانت الغلاية على النار سلفاً عندما طلب مني أن أُريه الطريقة الجيدة لإعداد القهوة.

- أنت متأكدة؟

- أجل، فأنا أتذكّر جيداً.

أرست كاورو السيارة على حافة الرصيف وسحبت الكابح اليدوي ثمّ التفتت نحو راكبتها لتنظر مباشرة في عينيها.

- ماذا تُريدين؟ سألت بخجل وهي تنكمش على نفسها في كرسيها.

- أتذكّر على ما أعتقد أنّ السيدة ماشيبا هي التي علَّمتكِ كيف تُعدّين القهوة، أليس الأمر هكذا؟

- بلى، أجابت مع هزّ خفيف لرأسها.

- لقد أخبرَت السيدة ماشيبا زميلي أنّ زوجها لم يكن يشرب ماء الصنبور لأنه كان شديد الحرص على صحته، فكان يفرض عليها

أن تستعمل الماء المصفى في أشغال المطبخ والماء المعبّأ في القناني للشرب. هل كنتِ على علمٍ بذلك؟

جحظت عينا هيرومي ورفّت رموشها.

- أجل، حدَّثتني في ذلك مرّة، وأضافت أنّه ليس لذلك أهمية.

- هكذا!

- نعم، فاستعمال ماء القناني يقتضي مصاريف لا ضرورة لها، علاوة على أنّ ذلك يتطلّب وقتاً أطول لغلي الماء. ولو كان السيد ماشيبا قد سألني لكنت قلت له إنني استعملت ماء القنينة، قالت وهي تُمسك برأسها بين كفّيها.

- كانت السيدة ماشيبا إذاً تستعمل ماء الصنبور.

- أجل، ولذلك السبب لم أتردّد أن أفعل مثلها ذاك الصباح عندما كنت قد أعددتُ القهوة، قالت وهي تنظر مُباشرة في عينَي المفتّشة.

هزّت كاورو رأسها مُصدرة ابتسامة خفيفة.

- كلّ شيء واضح الآن. شكراً لك، قالت في الأخير وهي تُطفئ أضواء الوقوف الاضطراري قبل أن تُرخي الكابح اليدويّ.

- معذرة، لكن هل يُغيّر ما قلتُ شيئاً؟ أما كان عليّ أن أستعمل ماء الصنبور؟

- بلى، البتّة. أنت تعرفين أنّ السيد ماشيبا كان على الأرجح ضحية تسميم، ومن المفروض إذاً أن نتثبّت من كلّ شيء ابتلعه.

- آه، أجل. . . من فضلك يا آنسة أوتسومي، صدّقيني! أنا لا دخل لي في ذلك أبداً.

ازدردت كاورو ريقها من دون أن تحيد ببصرها عن الطريق

قُدّامها، وكادت تُجيبها أنها تُصدّقها، لكنه جواب ليس من حقّها تقديمه لها بصفتها شرطية.

- أنت لست المشتبه بها الوحيدة. الناس جميعاً مشبوهون في نظرنا، وهو الجانب السلبيّ من هذه المهنة.

غرقَت هيرومي من جديد في صمتها، وقالت كاورو في سرّها إنّ ما قالته ليس هو ما كانت تودّ سماعه.

أرست كاورو السيارة أمام بناية قريبة من محطة غاكوغيدايغاكو، وتابعت ببصرها هيرومي وهي تقترب من المدخل فإذا بها تلمح خيال أياني ماشيبا، فأسكتت المحرّك على الفور.

كانت المفاجأة بادية على هيرومي. شملتها أياني بنظرة عطوفٍ، لكنّ عينيها سرعان ما أصبحتا عدوانيتين عندما رأت المفتّشة الشابة تقترب بخطىً واسعة. انتبهت هيرومي لمقدمها فالتفتت نحوها بإهاب مُنزعج.

- ألا يزال لديكِ شيء آخر؟ سألتها.

- كلّا، لكن عندما رأيت السيدة ماشيبا قلت أُحيّيها، أجابت كاورو. معذرة على احتفاظنا بمساعِدَتك إلى هذه الساعة المتأخرة!

- أعتقد أنكم ما عُدتم تشتبهون بها؟

- لقد أخبرتنا بأمور كثيرة، وأنا أشكركِ على تقديم تلك المعلومة المهمة لزميلي.

- آمل أنني كنت مُفيدة لكم، لكن اتركوا الآن هيرومي وشأنها! إنها بريئة ولا مغزىً أبداً لطرح هذا الكمّ من الأسئلة عليها.

- سنُقرّر ما إن كان الأمر كذلك أم لا، لكنّني آمل أن تواصلي تقديم يد العون لنا.

- بالطبع! لكن كفّوا من فضلكم عن إخضاع هيرومي للاستجواب!

كانت نبرتها أكثر حيوية من المعتاد فبدت كاورو مُتفاجئة من ذلك وهي تنظر إليها.

التفتت أياني نحو هيرومي.

- هيرومي، عليك أن تُخبريهم بالحقيقة كلّها. لن تجِدي أحداً يحميك إن لم تقومي بذلك. أنت تعرفين عمّ أتحدّث، أليس كذلك؟ ليس جيداً لكِ أن تقضي هذا الوقت كلّه عند الشرطة.

انقبض وجه المرأة الشابة، كما لو كانت رئيستها قد وضعت إصبعها على نقطة حسّاسة. لاحظت كاورو ذلك فراودتها فكرة.

- إن أجدتُ الفهم، فأنت... شرَعَت تقول وهي تنظر إليها.

- ماذا لو أخبرتها بكلّ شيء؟ ولحسن حظّك، فأنت أمام امرأة، وأنا على علم بكلّ شيء.

- لكن، هل كان السيد ماشيبا قد حدّثكِ في ذلك؟

- كلّا، لكنّني خمّنته. فأنا أيضاً امرأة.

أصبح كلّ شيء الآن واضحاً عند كاورو، لكنها تحتاج إلى تأكيد.

- هل أنتِ حامل يا آنسة واكاياما؟

تردّدت هيرومي لحظة قبل أن تُجيب بالإيجاب.

- في الشهر الثاني.

رأت كاورو بطرف عينها أنّ أياني قد ارتعدت، فحصل لديها اليقين بأنّ يوشيتاكا ماشيبا لم يُحدّث زوجته في أمر الحمل. إنها لا تكذب إذ تقول إنّ غريزتها الأنثوية هي التي جعلتها تُخمّنه، ولذلك فقد صُدمت أن تسمع به من فم هيرومي رغم أنّها كانت تتوقّعه.

لكن أياني التفتت نحو المفتّشة بوجهٍ صارم.

- هل اقتنعتِ الآن؟ على هيرومي أن تنتبه لصحّتها من الآن فصاعداً. أنت أيضاً امرأة ويُمكنك فهم ذلك، أليس ما أقول صحيحاً؟ على الشرطة أن تكفّ عن استجوابها كل هذا الوقت؟

ما كان بإمكان كاورو إلّا أن تُصادق على ما سمعت، لأنّ هناك بنوداً خاصّة يجب الالتزام بها في أثناء استجواب النساء الحوامل.

- سأخبر رؤسائي وسيأخذون هذا في اعتبارهم من الآن فصاعداً.

- شكراً لك، قالت أياني قبل أن تشمل مُساعِدتها بنظرة. الأمر أحسن هكذا، وسيكون بإمكانك أن تُتابعي حملك عند الطبيب ما دمت قد أعلنتِهِ الآن.

حرّكت هيرومي شفتيها، على حافة الإجهاش بالبكاء. لم تسمع كاورو ما قالته لكن حصل لديها الانطباع أنّها تشكر أياني.

- لديّ شيء أخير أريد أن أُضيفه، قالت أياني. إنّ زوجي هو أبو الجنين الذي في بطنها. وأعتقد أنه كان قد قرّر الانفصال عني لأنه أخذ علماً بذلك، فكيف أمكنكم تصوّر أنها تُريد موته؟

ورغم أنّ كاورو كانت متّفقة معها، فقد لزمت الصّمت، فبدا أنّ أياني انتبهت لذلك لأنها واصلت القول، مُحرِّكة رأسها:

- إنّ منطق الشرطة يتجاوزني حقّاً، فهيرومي ليس لها من داعٍ لقتله، بينما لا يُعوزني أنا.

لمّا عادت أوتسومي إلى وكالة الشرطة في العاصمة، لم يكن كوساناغي وماميا قد غادراها بعد. وجدتهما يشربان القهوة، وقد تمَغّر وجهاهما.

- ماذا قالت هيرومي عن الماء؟ سألها زميلها وهو ينظر في اتّجاهها. أقصِد ماء إعداد القهوة التي شربتها معه، فأنت قد حدّثتها فيه أليس كذلك؟

- بلى، استعملت ماء الصنبور.

وحكت لهما ما عرفته منها.

أمال ماميا رأسه إلى الجانب.

- لذلك لم يحصل شيء في تلك اللحظة. وإن كان السّمّ قد خُلط بماء القنينة فإنّ الأمور تستقيم.

- لا شيء يضمن أنّ واكاياما تقول الحقيقة، قال كوساناغي.

- بالتأكيد، لكن بما أنّ تصريحاتها ليست مُتناقضة، فلا حجج لنا. لم يعد لنا من أمل سوى أن يُنوّرنا التقنيون.

- هل طلبت منهم تحليل ماء القنينة؟ سألت كاورو.

أمسك كوساناغي برزمة أوراق موضوعة على مكتبه.

- يقولون إنه لم يكن في الثّلاجة سوى قنينةٍ واحدة مفتوحة، وقد حلّلوها من دون أن يعثروا فيها على أثر للزرنيخ.

- الأمر هكذا! لكن يبدو لي أنّك قد قلت لتوك إنّ التقنيين لم يُسلّموا بعد إجابتهم النهائية، على ما أعتقد.

- الأمور ليست بهذه السهولة، قال ماميا مُقطّباً وجهه.

- ماذا تقصد؟

- القنينة الموجودة في الثلاجة هي من سعة لتر واحد، فسّر ماميا وهو ينظر في التقرير. وقد بقي فيها ما يقترب من تسعين سنتيلتراً، أتفهمان معنى ذلك؟ معناه أنه كان قد فتحها للتّو، وعشر سنتيلترات لا تكفي لإعداد قهوة، علاوة على أنّ كمية مسحوق القهوة الموجود في المصفاة تُعادل فنجانَي قهوة.

خمّنت كاورو إلامَ يرمي.

- ما يعني إذاً أنّ هناك قنينة أخرى نفدت، ولذلك فتح الثانية، وهذه الثانية هي التي كانت في الثلاجة.

- نعم، أنا أتّفق، قال كوساناغي.

- وبالنتيجة، فمن الممكن أن يكون السّم قد دُسّ في التي فرغت من قبل، قالت كاوور.

- لم يكُن للمجرم من خيار، قال ماميا. يفتح الثلاجة ليدسّ السّم فيرى فيها قنينتين إحداهما مفتوحة. لا يُمكنه أن يضعه في المسدودة إلّا بفتحها مُجازفاً بأن ينتبه الضحية إلى ذلك، فلم يجد أمامه من خيار إلّا أن يدسّه في الأولى المفتوحة.

- لا بدّ من تحليلها.

- بالطبع، قال كوساناغي وهو ينظر في أوراقه، وعلى أيّ حال، فقد قام التقنيون بذلك. لكن...

- هل هناك مشكل؟

- لقد حلّلوا كلّ القناني الفارغة التي عثروا عليها في بيت آل ماشيبا ولم يعثروا على أثر للزرنيخ. غير أنّ ذلك لا يقوم دليلاً على أنّها لم تُستعمل بغاية تنفيذ الجريمة.

- كيف؟

- بعبارة أخرى، هم ليسوا متيقّنين من ذلك بعد، أضاف ماميا. العيّنات التي أخذوها من هذه القناني لم تكن كافية، وهو أمر مفهوم ما دامت قناني فارغة. إنّ على هذه النّتائج على ما يبدو أن تُدقَّقَ أكثر باللجوء إلى معهد الشرطة العلمية، وليس أمامنا إلّا انتظار تقريره.

هضمت كاورو هذه المعلومات ففهمت حينها لماذا كان وجهاهما على تلك الحال من الاحمرار.

- وحتّى لو أشارت هذه التّحاليل المتقدّمة لوجود السّم فإنّ ذلك لن يُغير من الأمر الشيء الكثير، على ما يبدو لي، قال كوساناغي وهو ينظر من جديد في اتجاه الوثائق.

- لستُ متأكّدة ممّا تقول، أفلن يُوَسّع هذا من لائحة المشتبه بهم؟

أبدى كوساناغي ردّ فعله على هذه الحجّة برمي زميلته بنظرة مُتعالية.

- ألَم تسمعي ما قاله الرئيس قبل قليل؟ إن كان المجرم قد وضع السّم في القنينة فليس إلّا في التي كانت مفتوحة سلفاً، والضّحية لم يشرب من هذا الماء إلّا لحظة إعداده للقهوة، وبالنتيجة، كان وقت قصير قد انصرم ما بين لحظة دسّ السّم ووفاة الضحية.

- من وجهة نظري، ليس لأنّ الضحية لم يشرب ماءً فقد مرّت الأمور بهذه الطريقة. كان في المنزل بالتأكيد شيء آخر يُشرب لريّ العطش.

نفخ كوساناغي منخاريه قليلاً كما لو أنه سعيد بتسجيل نقطة.

- يبدو أنّك نسيت أنّ السيد ماشيبا سبق له أن أعدّ القهوة بنفسه قبل مساء يوم الأحد؛ كان قد أعدّها بنفسه قبل ذلك، أي يوم السبت، كما أخبرتنا هيرومي واكاياما. وهي أرَته يوم الأحد صباحاً كيف يُعدّها بطريقة أحسن لأنّ قهوة الأمس كانت مُرة. لم يكن بالقنينة سمّ إذاً يوم السبت مساء.

- لا شيء يسمح لنا أن نقول إنه كان قد استعمل يوم السبت ماء القنينة.

ألقى كوساناغي برأسه إلى الخلف وهو يستمع إليها، ثمّ وضع وجهه بين كفّيه.

- أنت ترفضين المقدّمات المنطقية لاستدلالنا؟ أنسيت أنّ السيدة ماشيبا أكّدت لنا أنّ زوجها كان يستعمل دائماً ماء القنينة؟ أليس المنطق في جانبي إذاً؟

- يبدو لي أنّ من الخطير استعمال لفظ «دائماً»، قالت كاورو مُواصلة حديثها بنبرة واثقة. نحن نجهل إلى أيّ حدّ كان السيد ماشيبا مُلتزماً بذلك، ربما ما كان استعمالُه لماء القنينة سوى عادةٍ غير مُؤكّدةٍ يلتزم بها أحياناً وأحياناً لا، وزوجته لم تكن تحترم بالضرورة تعليماته، وهو نفسه لم يكن قد أعدّ القهوة منذ مدّة فيكون قد نسي واستعمل ماء الصنبور غفلة منه، أو قد يكون استعمل ماء الصنبور المصفّى بالمطبخ.

أصدر كوساناغي صوت تعجّب رنّاناً.

- كُفّي عن الزجّ بالاستدلال في الاتجاه الذي يُوافق هواك!

- لستُ أفعل إلّا أن أُلحّ على ضرورة التزام الموضوعية، قالت له مُعارِضة وهي تلتفت نحو رئيسهما. فما دمنا لم نعرف مَن شرب من ماء القنّينة عند آل ماشيبا، لن نستطيع من وجهة نظري تحديد وقت دسّ السّم فيها.

حكّ ماميا ذقنه باسماً.

- من المفيد المناقشة. كنت في البداية على رأي كوساناغي، لكن وأنا أُنصت إليك، أجدني أكاد أميل جهة رأيك.

- أيها الرئيس! قال كوساناغي مُتنهّداً، بادية عليه الخيبة.

- بيد أنّ بإمكاننا تحديدُ هذه اللحظة في حدود معينة، بدأ ماميا القول، وقد عاد محياه لجديّته. فأنتِ لم تنسَي ما حصل في بيت آل ماشيبا يوم الجمعة مساء.

- بالطّبع لم أنسَ. كانا قد أقاما عشاء، أجابت كاورو، ولا بدّ أن يكونا قد قدّما من ماء القناني لضيوفهما.

- كان السّم إذاً قد دُسّ بعد هذا العشاء، صرَّح ماميا وهو يرفع سبّابته.

- أوافقك رأيك لأنّني أعتقد أنّه لم يكن لآل إيكاي من داعٍ للقيام بذلك. وقد كان مُستحيلاً ذهابهما إلى المطبخ في غفلة من الجميع.

- لم يكن إذاً بإمكان سوى شخصين أن يقوما بهذا.

- أستوقفك هنا! قال كوساناغي بصوت حيوي. نتفهّم أن يتمّ الاشتباه بهورومي واكاياما، لكنّ الأمر ليس كذلك بالنسبة إلى السيدة ماشيبا. فهي التي أخبرتنا أنّ زوجها كان من عادته أن يُعدّ القهوة بالماء المعدنيّ، فلماذا تُخبرنا مُعرّضة نفسها للاشتباه بها لو لم تكن بريئة؟

- ربما لأنها تعلم أنّنا سنعرف ذلك في كلّ حال، قالت كاورو. فإن كانت تتوقّع أنّنا سنعثر عاجلاً أم آجلاً على آثار للسّم في قنينة فارغة، فقد تكون فكّرت أنّ اشتباهنا بها سيكون أقلّ إن حدّثتنا هي عن ذلك منذ البداية.

رفع كوساناغي أحد جانبَي فمه وقد بدا عليه التّعب.

- كلما استمررتُ في الاستماعِ إليكِ تَواصَلَ ضياعي. أتصرّين حقّاً على جعل السيدة ماشيبا مُجرمة؟

- كلّا، فمنطقها لا يزال مُتماسكاً، قال ماميا مُعلّقاً. غير أنّ لوجهة نظر كاورو ما يُبرّرها فكرياً، لأنّ وجود الزرنيخ في الغلاية بينما كان بإمكان واكاياما أن تتخلّص منه ليس له معنىً. كما أنّ السيدة ماشيبا هي المشتبه بها الأولى من حيث الدافع إلى للقتل.

- لكن. . . بدأ كوساناغي القول.

- وعن الدّافع إلى القتل، قالت كاورو مُقاطِعَة، فقد أخذتُ علماً لتوي بأمر يُعزّز دافع الزّوجة.

- ممّن عرفت ذلك؟ سأل ماميا.

فسّرت كاورو لهما ما حصل لهيرومي، فبدا أنّ ذلك لم يكن يدخل في نطاق ما يشكّ فيه الرّجلان.

12

وقف تاتسوهيكو إيكاي أمام المكتب مُمسِكاً هاتفه المحمول بكفّه اليُسرى، وباليمنى سمّاعَةَ الهاتف الثّابت وهو يتحدّث لمخاطبه.

- أجل، أنا أُحبّ أن تقوم بهذا، والبند الثاني من العقد يُدقّق ذلك، على ما يبدو لي... نعم، بالطبع، سنهتمّ بهذه النقطة... ممتاز، أنا أُعوّل عليك، قال ثم أقفل الخطّ وألصق محموله بأذنه قائلاً:

- المعذرة. لقد حدّثت الآن الطرف الآخر وهو موافق... حسناً، ستتصرّف إذاً وفق ما اتفقنا عليه من قبل... أجل، لقد سجّلت ذلك.

ومن دون أن يجلس، شرع يكتب في كرّاسة موضوعة على المكتب الذي كان يوشيتاكا ماشيبا يستعمله إلى زمن قريب.

وضع الورقة في جيبه ورفع بصره نحو كوساناغي.

- معذرة أنني جعلتك تنتظر.

- كنتَ تقوم بما يلزم.

- إنّما هي تفاصيل. فمع الاختفاء المُباغت للرّئيس المدير العامّ جعل مرؤوسوه يُعطون أوامر مُتناقضة. كان ماشيبا يتصرّف

بطريقة انفرادية، وكان عليّ إبداء تحفّظي على ذلك ومعالجتُه، قال إيكاي شاكياً وهو يجلس أمام كوساناغي.

- أنت الآن تقوم مقامه؟

- أبداً! قال إيكاي مُرفقاً نفيه بحركة من كفّه. لا أملك خصال المدبّر، لأنّ ذلك ليس في ملك الجميع. إنّ تحريك الخيوط في العتمة يُناسبني أحسن بكثير. أنا أنوي تعيين مَن يخلفه بسرعة، وإذاً. . . وتوقّفَ عن الكلام من دون أن يُغادر كوساناغي ببصره، عليك أن تتصوّر أنّ قتلي لماشيبا كي أخلفه ليس له معنىً.

وأبدى بسمة عندما رأى كوساناغي يفتح عينيه واسعتين.

- اغفِرْ لي هذه المزحة التي لا ذوق فيها. لقد فقدتُ صديقاً، لكنّ أشغالي الكثيرة جعلتني لا أجد الوقت كي أُعيّن أحداً مكانه، وهذا يُغيظني.

- أنا آسف على إزعاجك في هذا الوقت المتأخر.

- أبداً. أنا آمل أن يتقدّم التحقيق بسرعة. هل جدّ جديد منذ أن تحادثنا آخر مرة؟

- نعم، بدأنا نرى الأمور بوضوح أكبر. فقد عرفنا مثلاً كيف دُسّ السّم في القهوة.

- أنا توّاق لمعرفة ذلك.

- هل أنت على علم بأنّ السيد ماشيبا كان يُعنى بصحته فلا يشرب من ماء الصنبور؟

أمال إيكاي رأسه جانباً.

- أَتُعزون شُربَه ماءَ القنينة إلى انشغاله بصحته؟ أنا أيضاً لا أشرب ماء الصنبور منذ سنوات خلَت.

بدا كوساناغي مذهولاً، فالأمر يبدو من باب تحصيل الحاصل عند الأغنياء.

- حقّاً؟

- لكنني لا أعرف لماذا أقوم بذلك، على أيّ حال، ولم أُفكّر أبداً في أنّ طعم ماء الصنبور سيئ. ربما أكون ضحية مُنتجي الماء المعدنيّ. لنقل إنّ ذلك غدا عادة، قال وهو يرفع ذقنه كما لو كانت فكرة قد راودته. أيكون السّم قد خُلط بالماء؟

- لسنا متأكّدين من ذلك تماماً. لكن الأمر ممكن. هل كنتم شربتم ماءً معدنياً في أثناء العشاء؟

- أجل، بالطبع، وبكمية وافرة. أيكون هو الماء الذي...

- وقد علمنا أيضاً أنه الماء الذي كانت السيدة ماشيبا تُعدّ به القهوة، هل كنت على علم بذلك؟

- نعم، كان قد أخبرني. ثم رفع إيكاي رأسه وهو يسأل: ومن ثمة وجود السّم في القهوة؟

- يكمن المشكل في تحديد الوقت الذي دسّ فيه المجرم السّم في الماء. هذا هو السبب الذي كنت من أجله أهمّ بسؤالك عمّا إن كان بإمكانكَ التفكيرُ في شخص أتى لرؤيته خفية يوم الأحد.

ألقى عليه إيكاي نظرة فاحصة، لأنه فهم مغزى سؤاله.

- خفية؟

- نعم، فنحن لا نعرف إلى حدّ الآن ما إن كان قد زاره أحد في هذا اليوم. ومن الممكن أن يكون شخص قد أتى بيته خفية، شريطة أن يكون مجيئه يحظى بموافقة السيد ماشيبا.

- بمعنى آخر، قد يكون ترك امرأة أُخرى تدخل بيته في غياب زوجته؟

- نحن لا نستبعد أيضاً هذا الاحتمال.

أنزل إيكاي ساقه من على ساقه ومالَ قليلاً إلى الأمام.

- ألا تُريد مُحادثتي بصراحة؟ أنا أعرف الطابع السرّي لتحقيقكم، لكن وكما تعلم أنت نفسك، أنا لست غِرّاً، وأعرف كيف أحتفظ بالسّر. كما أنّ من شأن علمي بذلك أن يجعلني أكثَرَ مُباشرةً ووضوحاً في كلامي.

التزم كوساناغي الصمت لأنه لم يعرف إلى أيّ شيء يرمي مُخاطبُه.

- لا شكّ أنك قد اكتشفت اتّخاذَ السيد ماشيبا عشيقةً، أليس الأمر كذلك؟ قال إيكاي مواصلاً حديثه وهو يتّكئ على المسند من جديد.

تردّد كوساناغي لأنه لم يكن ينتظر أن يتطرّق إيكاي إلى هذا الموضوع.

- ما الذي تعرفه عن ذلك بالضبط؟ سأل بتحوّط.

- فاتحني ماشيبا في الأمر منذ أسابيع وقال لي إنّه يعتزم تغيير شريكة حياته قريباً. وقد حصل لدي الانطباع أنّ في حياته امرأة أخرى، قال مُفسراً وهو ينظر في عيني كوساناغي. لكن لا بدّ أنّ الشرطة على بيِّنة من ذلك، وما وجودك هنا إلّا لعلمك به. أأكون مُخطئاً؟

حكّ كوساناغي جبهته، وأصدر بسمة مُفتعلَة.

- لا، لم تُخطئ. كان للسيد ماشيبا امرأة أُخرى في حياته.

- أنا لا أطلب منك ذكر اسمها، وإن كانت لي فكرتي الخاصة عن ذلك.

- هل عرفتها تخميناً؟

- وصلت لمعرفتها بتصرّفي وفق منهجيةِ الإقصاء. كان مبدأ ماشيبا ألّا يهتمّ بفتيات الحان ولا بالنساء اللائي يلتقي بهنّ في حياته العملية، فلا يَفضُلُ عن هذا إذاً سوى احتمال واحد، قال مُتنهّداً. أنا لم أُخطئ إذاً، وتيقّن أنه لن يكون بإمكاني مُحادثة زوجتي في ذلك.

- نحن نعلم أن هذه السيدة أتت إلى بيته نهاية الأسبوع لأنها أخبرتنا بذلك. ما أُريد معرفته هو ما إن كانت الوحيدة التي زارت بيته يومئذٍ.

- تقصد أنّه قد يكون استقبل في غياب زوجته امرأتين؟ يا له من بذخ! قال وهو يتأرجح في مقعده. لكن ذلك مستحيل. كان من عادة ماشيبا أن يُدخن سيجارة عقب أُخرى لكن لم يكن من عادته أن يُدخّن سيجارتين في وقت واحد.

- ماذا تقصد؟

- كان يُغير شريكاته باستمرار، لكن لم يكُن له أبداً شريكتان في الأوان ذاته. وأتصوّر أنه إن كان قد اتّخذ عشيقة فليتخلى عن زوجته، وأنا أتحدّث عمّن في علمكم. كان قد قال لي بأنه ما عاد في ريعان الشباب حتى يُعاشر النساء فقط من أجل اللّذة والمتعة.

- تقصد أنّه كان يفعل ذلك بغاية الإنجاب؟

- أجل، بمعنىً من المعاني، أجاب إيكاي مُقطّباً.

تذكّر كوساناغي أنّ هيرومي واكاياما حامل.

- هل تُريد أن تقول إنّه إن كان قد تزوج فمن أجل إنجاب الأطفال أوّلاً؟

مال إيكاي إلى الخلف وثبَتَ في مكانه.

- لا، ليس أوّلاً، وإنّما من أجل ذلك لا غير. فحتّى قبل أن يتزوّج كان كثيراً ما يُحدّثني عن رغبته في أن يغدو أباً، وقد بذل

جهداً جباراً للعثور على المرأة المناسبة. كانت حياته تعجّ بالنساء حتى جعل الناسُ يعتبرونه زير نساء، بيد أنه كان في الحقيقة يبحث عن المرأة المثالية التي ستصير أمّ أبنائه.

- ولم يكن يحفَل البتة بمعرفة ما إن كانت هذه التي سيختارها صالحة لأن تكون زوجة مثالية؟

هزّ إيكاي كتفه.

- لم يكُن ماشيبا يبحث عن زوجة. وعندما كان أخبرني بأنّه ينوي تغيير شريكته، هذا ما كان قاله لي: أريد امرأة تُنجب لي أطفالاً، لا خادمة أو قطعة ديكور نادرة.

لم يستطع كوساناغي منع نفسه من فتح عينيه على سعتهما.

- لو كان قد جهرَ بهذا للاقى متاعب مع النساء. يُمكنهنّ تجاوز اعتبار الزوجة خادمة، لكن أن تكون قطعة ديكور. . .

- لقد استعملتُ تعبير قطعة ديكور نادرة احتراماً لإخلاص أياني لزوجها. كانت زوجة ممتازة، أوقفت كلّ أنشطتها الخارجية لتُكرّس نفسها لبيتها. ولمّا يكون ماشيبا في بيته تكون هي أيضاً حاضرة، جالسة دائماً على أريكة غرفة الاستقبال، في يدها عمل من الفسيفساء النّسيجية، مُستعدّة لتلبية كلّ رغباته. لكن ذلك كله لم تكن له أيّ قيمة عنده. وأنا أعتقد أن المرأة التي لا تُنجب له الأطفال لم تكن في نظره سوى حضور لا يقلّ تفاهة عن قطعة ديكور.

- إنها كلمات رهيبة. لكن لماذا كل هذا الإصرار على أن يُصبح أباً؟

- حسناً. . . لا يُمكنني القول إنّني، من جانبي، لم أكُن أريد أطفالاً، لكن الأمر كان يحظى عندي بأهمية أقل ممّا عنده. أما الآن

وقد أصبحت أباً، فأنا مفتون بطفلي، قال مُعترفاً مُتبسماً قبل أن يُضيف، جادّ الملامح: أعتقد أنّ للأمر علاقة بتاريخه الشخصيّ.

- ماذا تقصد؟

- أعتقد أنّكم لا تجهلون أنه بلا أبوين ولا عائلة؟

- أجل، علمنا بذلك، قال كوساناغي وهو يهزّ رأسه.

- انفصل أبواه في صغره، وعُهد به إلى أبيه الذي كان يعمل كثيراً ولا يقضي في بيته سوى وقت يسير. ويبدو لي أنّ جدَّيه من أبيه هما اللّذان ربّياه، لكنهما ماتا وهو بعد حديث السّن، وعندما أدرك العشرين توفّي أبوه جرّاء نوبة عصبية. وبهذا وجد نفسه وحيداً في الدنيا باكراً. بيد أنّه لم يعِشْ قطّ أزمة مادية، بفضل الإرث، فاستطاع إنشاء شركته الخاصة، لكنه كان دائماً محروماً من حياة عائلية عادية.

- ومن ثمة رغبتُه في أن يصير أباً...

- أعتقد أنه كان يُريد أن تكون له روابط دموية، لأن الزوجة أو العشيقة، مهما يكن حبّكَ لهما، تظلّان من غير دمك.

كان إيكاي يتحدّث بضرب من البرود، لأنه ربما كان ينظر إلى الأمور بالطريقة نفسها، فكان بذلك يُقوّي وقع كلماته في مسمع كوساناغي.

- في المرة السابقة قلتَ لنا إنّك كنت حاضراً عندما تعرّف السيد ماشيبا على السيدة ماشيبا، في حفل استقبال أو في مُناسبة من هذا النّوع...

- بالضبط. كان حفلاً هدفه الرسمي هو تجميع أشخاص من أوساط مهنية مختلفة من أجل تسهيل التّبادل فيما بينهم، لكن في

الحقيقة، كان المشاركون قد حضروا ليلتقي كلّ منهم بشخص في مستواه قصد الزواج. كنت أنا مُتزوّجاً عندها لكن السيد ماشيبا طلب منّي مُصاحبته، وكان هو قد حضر الحفل ترضيةً لبعض زبائنه، لكن ذلك لم يمنع من أنه قد التقى هناك بالمرأة التي تزوجها. إن الحياة تجعل المرء أحياناً يجد نفسه أمام فُرص لم يكن يتوقّعها! وكان ذلك قد حصل في الوقت المناسب...

- الوقت المناسب؟

عبَر تعبير مُنزعج ملامح إيكاي، كما لو كان قد انتبه إلى أنه قال أكثر ممّا ينبغي.

- عندما ذهب إلى هذا الحفل، كان قد قطع قبل أيام علاقته بالمرأة الشابة التي كان على صلة بها. وأعتقد أنه أرادَ أن يُسرع بالزواج لأن علاقته السابقة كانت فاشلة، قال المحامي مُفسّراً وهو يضع سبّابته على شفتيه. لا تتحدث في هذا للسيدة ماشيبا، من فضلك. لقد طلبت منّي عدم إفشاء هذا السّر.

- وهل أنت على علم بسبب انفصاله عنها؟

- حسناً... جعل يقول بنبرة مُتردّدة. كانت القاعدة الضّمنية التي نتصرّف وفقها ألّا نتبادل بيننا هذا الضرب من الأسرار، لكنني أتصوّر أنهما انفصلا بسبب عجزهما عن الإنجاب.

- حتى وهما غير متزوّجين؟

- ألم أقل لك إنّ ما كان يُهمّه هو الإنجاب لا غير؟ الزواج المثاليّ عنده هو الذي يكون بامرأة حامل منه سلفاً.

ومن ثمة اختياره لهيرومي واكاياما... أسرّ كوساناغي لنفسه وهو يُفكّر أن الرجال عملياً ليسوا من طينة واحدة. هو يعلم أنهم مختلفون، لكنه لا يستطيع فهم سلوك يوشيتاكا ماشيبا الذي كان

بإمكانه، من وجهة نظره، أن يعيش حياة سعيدة إلى جانب امرأة كمثل أياني، حتى ولو من دون أطفال.

- أتعرف شيئاً عن تلك التي كان على علاقة بها قبل تعرّفه على السيدة ماشيبا؟

نفى إيكاي برأسه.

- لا أعرف عنها أيّ شيء. كان أخبرني أنّ في حياته امرأة، هذا كلّ ما في الأمر، فهو شديد التكتّم، ولا أستغرب في شيء أن يكون قد قرّر الانتظار قبل أن يأخذ قراره بتقديم زوجته المستقبلية لأصدقائه.

- وهذا الانفصال، ألم يسبّب له مُشكلاً؟

- لا أعتقد. لكننا لم نتحدّث في ذلك قطّ، قال ثم واصل، كما لو كان قد انتبه لأمر: أيكون لها دخل في وفاته؟

- ليس بالضرورة، لكنّنا نأمل الحصول على أكبر قدر من المعلومات عنه.

أصدر إيكاي بكفّه إشارة نفي مع بسمة مُتكلّفة.

- لا يجب عليك بالخصوص تصوّر أن يكون ماشيبا قد استقبلها في بيته يوم الأحد الماضي. ما كان ليفعل هذا، أبداً. أنا متأكّد ممّا أقول.

- لأنه لم يكن من النوع الذي يُدخّن سيجارتين في الآن ذاته؟

- تماماً، أجاب إيكاي وهو يهزّ رأسه.

- سجّلتُ هذا وسأتذكّره، قال كوساناغي ناظراً في ساعته ونهض. أنا أشكرك على تفضّلك بتخصيص هذا الوقت للإجابة عن أسئلتي.

واتجه نحو الباب، فالتحق به إيكاي وفتح له.

- أشكرك. . .

- سيد كوساناغي! قال إيكاي وهو يُدير نحوه نظرة حادّة. لا نية لي البتة في التدخّل فيما لا يعنيني، لكنّ لي طلباً لديك.

- ما هو؟

- لم يكن ماشيبا قديساً. وإن حقّقتَ عنه ستكتشف بالتأكيد أموراً مُختلفة، لكنني لا أعتقد أنّ ثمة علاقة بين ماضيه والجريمة. سأكون مُمتنّاً لك لو تصرَّفتَ بحذر، لأنّ شركته تمرّ بمرحلة صعبة.

كان يخشى أن تُسيء وفاة المدير للشركة.

- اطمئنّ، لن يُسرّب شيء إلى الصحافة، مهما يكن ما سنكتشفه، ردّ كوساناغي وهو يُغادر القاعة.

جعلته شخصية القتيل يشعر بالاستياء، وكره بعمق نظرته إلى النساء بوصفهنّ بطوناً منذورة لإنجاب الأطفال. ولربّما كان ماشيبا يقف هذا الموقف نفسه من باقي البشر، وقد لا يكون عمّاله في نظره سوى تُروسٍ تُشغّل شركته، ولا يرى في المستهلكين إلّا حبات ليمون للعصر.

شخصٌ من هذه الطّينة قد يكون جرح عدّة أشخاص في حياته، وليس مُستبعداً أن يكون من بينهم شخص أو شخصان يكرهانه حدّ الرغبة في تصفيته.

هيرومي واكاياما نفسها ليست مُنزّهة عن الاشتباه بها، بيد أنّ كاورو أوتسومي لا تستطيع أن تتصوّر إمكانية قتلها لأب الطفل الذي تحمله في بطنها. أمّا الآن، وبعد أن أجرى هذا الحديث مع إيكاي، فقد حصل لديه الانطباع أنّ الوقت لا يزال باكراً كي يتمّ التأكّد من ذلك. ويبدو أنّ يوشيتاكا كانت له النية في الانفصال عن أياني

والاقتران بهيرومي واكاياما لأنها حامل وليس لأنه يُحبّها، وقد يكون أثار حنق هيرومي وهو يُقدّم لها اقتراحاً يعكس أنانيته.

لكن كوساناغي لم يكن يملك أيّ حجّة يُواجه بها زميلته أوتسومي وهي تُنبّهه إلى أنه من الغريب إحجامُ هيرومي، التي عثرت على الجثّة، عن محو آثار الجريمة إن كانت هي مُرتكبتها، ومن العبث الاعتقاد بأنها لم تُفكّر في ذلك.

قرّر أن يعثر في البداية على المرأة الشابة التي كان الضحية على علاقة بها قبل لقائه بأياني، فغادر شركة ماشيبا وهو يُفكّر في الوسيلة التي من شأنها تمكينه من ذلك.

فتحت أياني ماشيبا عينيها على سعتهما من المفاجأة، فانتبه كوساناغي إلى ترنّح نظرتها وما أصابها من صدمة جرّاء ما قاله لها.

- تقول الصديقة القديمة لزوجي؟

- أنا آسف على طرح سؤال قبيح مثل هذا عليكِ، أجابَ وهو يُطرق برأسه.

كانا يجلسان في بهو الفندق الذي تُقيم فيه أياني، بعد أن اتّصل بها ليُخبرها أن لديه سؤالاً يُريد طرحه عليها.

- ألهذا علاقةٌ بما حصل؟

حرّك كوساناغي رأسه.

- لا نعرف حتى الآن ما إن كان ذلك كذلك. فبما أنّ زوجكِ قد قُتل على الأرجح، نهتمّ بالأشخاص الذين قد يكون لهم داع لقتله. لهذا نجد أنفسنا مُلزمين بالبحث في ماضيه.

نظرت إليه أياني بملامح هادئة قليلاً، وأصدرت في اتّجاهه بسمة حزينة.

- قد تكونون تُفكّرون في أنّه كان قد انفصل بفظاظة عن هذه المرأة، كما كانت حاله معي أنا.

- كلّا... أجاب كوساناغي، غير قادر أن يُضيف أنّه لا يعتقد بذلك. لقد أخبرَنا شخصٌ أنّ زوجك كان يبحث عن امرأة قادرة على الإنجاب، وقد يكون جرحَ امرأة حسّاسة فأثار حنقها عليه، أضاف وهو يرفع بصره إليها.

- كمثلي أنا، تُريد أن تقول؟

- كلّا، فأنت...

- بلى، بلى، قالت مواصِلَة كلامها. أتصوّر أنّ زميلتك، الآنسة أوتسومي، إن لم أكن مُخطئة، قد حكت لك كلّ شيء، أليس الأمر كذلك؟ لقد حقّقت هيرومي لزوجي حلمه الأغلى، فانتخبها وقرّر التخلّص منّي. وسأكون كاذبة لو ادّعيتُ أنني لم يكن لي مأخذ عليه.

- ما كان بإمكانك أن ترتكبي هذه الجريمة.

- أأنت متأكّد؟

- نحن لم نعثر حتى الآن على أيّ شيء في القنينة الفارغة. المُرجّح أنّ السّم دُسّ في الغلاية، والحال أنه ما كان بإمكانك أنت القيام بذلك. وتوقّف عن الحديث، لكنّه سُرعان ما واصل: لا بدّ أن يكون شخص ما قد أتى إلى بيتكم يوم الأحد. إنها الإمكانية الوحيدة. شخص يعرفه زوجك ففتح له الباب. بحثنا سدىً بين مَن يرتبطون به بعلاقات مهنية. إنّ عدد الأشخاص الذين نشكّ في أنهم قد يكونون زاروا منزلكم في غيابك محدود بالضرورة.

- ولا يمكن لهذا الشخص من وجهة نظركم أن يكون إلّا

عشيقته أو صديقته القديمة؟ سألت وهي تدفع بشعرها إلى الخلف. أنا آسفة، لكن زوجي لم يُسرّ لي قطّ بشيء في هذا الموضوع.

- أدنى مُؤشّر قد يكون ذا نفع لنا. ألم يسبق له قطّ أن ذكر اسم شخص، عرَضاً، في مُحادثته؟

- أوه... قالت وهي تحني رأسها. قليلاً ما كان يتحدّث عن ماضيه، ربما بسبب حذره. وأنا أعتقد أنّه لم يكن يعود قطّ إلى مطعم أو حانة سبق أن شُوهد فيها مع امرأة انفصل عنها.

- هكذا إذاً! قال كوساناغي مُحبطاً، لأنه كان يأمل أن تذكر له أسماء المقاهي التي كان زوجها يرتادها فيما مضى.

ربما كان يوشيتاكا ماشيبا شديد الحذر حقاً، فالشرطة لم تعثر في منزله ولا في مكتبه، بين أشيائه، على ما يُشير إلى حضور امرأة أُخرى في حياته غير هيرومي واكاياما. وأرقام الهواتف المسجّلة في محموله كانت أرقام رجال، باستثناء أرقام علاقاته المهنية، ولم يكُن من بينها أيضاً رقم هيرومي واكاياما.

- آسفة على عجزي عن تقديم العون لك.

- لا داعي للأسف!

ولمّا همّت بإضافة شيء، جعل محمولها يرنّ في حقيبتها فأخرجته مُسرعة وسألت كوساناغي إن كان بإمكانها الردّ. بالطّبع، أجاب.

بدأت تتحدّث هادئة في البداية لكنّ عينيها جحظتا بعد ذلك، وتشنّجت ملامحها.

- كلّا، هذا لا يُزعجني، لكن... آه، حقاً؟ حسناً، أنا أشكرك، قالت ثمّ أقفلت الخطّ ناظرة إليه، باديةَ التوتر. ربما كان عليّ أن أقول إنك موجود هنا، أضافت.

- من اتّصل بك؟
- الآنسة أوتسومي.
- آه! في ماذا اتّصلت بك؟
- طلبت منّي الإذن بزيارة المنزل لتفتيش المطبخ من جديد. وقد دقّقَت أنها ذاهبة للتأكّد من تفصيلٍ ما.
- تفتيش المطبخ... أتساءل ما الذي تُريد فعله هناك، قال وهو يُمرر كفّه على ذقنه، مائل النظرة.
- تسعى بالتأكيد لفهم كيف دُسّ السّم.
- ممكن، أجاب كوساناغي وهو ينظر في ساعته، فمدّ كفّه إلى المفكرة الموضوعة على المائدة. سألتحق بها. ألديكِ مانع أن أفعل؟
- بالطبع لا مانع لدي، أجابت. ثمّ غيرت من نبرة صوتها وكأن فكرة ما قد راودتها. هل يُمكنني أن أطلب منك خدمة؟
- ما هي؟
- أنا خجلة من ذلك.
- لكن ما هو طلبك؟ أنا أستمع إليك.
- يجب ريّ الورود، فأنا عندما أتيت إلى هذا الفندق لم أكن أنوي البقاء أكثر من يوم أو يومين، لكن...
- آه! وهزّ كوساناغي رأسه مُوافقاً. نحن الآسفون على ما نصبناه أمامك من عوائق. لكن بإمكانكِ العودة إلى بيتك إن رغبتِ في ذلك، فقد أنهى التّقنيون عملهم. وسأُخبرك ما أن نُنهي عملنا في بيتك اليوم.
- لا داعي لذلك. سأبقى هنا بعض الوقت لأنني لا أتصوّر وجودي بمفردي في هذا البيت الواسع.

- مفهوم.

- أعلم أنه لا مندوحة لي من العودة إليه، وسأقوم بذلك ما إن يُحدّد تاريخ الجنازة.

- سيُسلّم لكم جثمان زوجك قريباً.

- آه. . . سيكون علي أن أهتمّ بهذا كلّه، قالت وهي ترفّ برموشها. كانت لديّ النّية في المرور إلى البيت غداً لأخذ بعض الأغراض وسقي الورود بالمناسبة، فهي بحاجة ماسّة إلى ذلك ولا أكفّ عن التفكير فيها.

فهم كوساناغي ما تُريد قوله، فضرب برفق على صدره.

- حسناً، لا عليك، سأهتمّ بها. ورود الحديقة والشرفة، أليس كذلك؟

- ألا يُزعجك هذا؟ أنا خجلة من طلبي.

- أنتِ دؤوبٌ على التّعاون معنا، ونحن مُمتنّون لك بذلك. سيتكلّف بالأمر أحد زملائي، ثقي بي.

نهض كوساناغي ووقفت هي أيضاً مُتفحّصة وجهه.

- لا أُريدها أن تذوي، قالت بتفخيم.

- أهي بهذه الأهمية عندكِ، أجاب كوساناغي وهو يتذكّر أنّ أوّل ما كانت قامت به لدى عودتها من سابورو هو سقيها.

- التي في الشّرفة، كنت أملكها قبل الزواج، وهي تُذكّرني بأشياء كثيرة، لهذا أنا مُرتبطة بها إلى هذه الدرجة.

ثبّتت بصرها على أمر ما في البعيد قبل أن تُدير من جديد عينيها في اتجاهه. كان بريقهما من القوة حتى أنّ كوساناغي غضّ بصره.

- يُمكنكِ الاعتماد عليّ. لا تحملي همّها، قال قبل أن يذهب ليُؤدي ثمن ما استهلكاه.

استقلّ سيارة أُجرة بعد خروجه من الفندق عاجزاً عن أن يُبعد من ذاكرته صورة أياني لحظة فراقهما.

جعل يتأمّل المشاهد المستعرضة أمامه فوقع بصره على يافطةِ محلّ لبيع الأشياء القديمة.

- معذرة، أُريد النّزول هنا.

عثر فيه على بُغيته فغادر المحلّ بسرعة واستقلّ سيارة أجرة أخرى. كان فرحاً بما اشتراه حتى بدا كأنه مفتون به.

كانت سيارة شرطة راسية أمام منزل آل ماشيبا، فاغتاظ كوساناغي من ذلك. فبهذا سيبقى المنزل مجلبةً لأنظار ساكني الجوار.

وجد شُرطياً بملابسه الرسمية واقفاً بالباب، وهو نفسه الذي كان بهذا المكان مساء يوم الأحد. بدا أنّ الرجل عرفه فأدّى التحية صامتاً.

رأى كوساناغي ثلاثة أحذية بالبهو، واحد خفيف فعرف أنّه لكاورو أوتسومي، والآخران ذكوريان، أحدهما عادي وبالٍ والآخر جديد تظهر علامته التّجارية آرماني مُثبتة بداخله.

مضى في اتجاه غرفة الاستقبال التي كان بابها مفتوحاً ودخل لكنّه لم يرَ أحداً. تناهى إلى سمعه صوت قادم من المطبخ.

- لا شيء يدلّ على أنّ أحداً لمسه.

- الأمر كما تقول، فالتّقنيون بدورهم قدّروا ألّا أحد وضع كفّه عليه منذ ما لا يقلّ عن سنة.

تعرّف صوت زميلته.

ألقى كوساناغي نظرة في المطبخ فرأى كاورو أوتسومي مع رجل جاثمين أمام المِغسَل. وبسبب الباب المفتوح للدّولاب الواقع تحت المغسل، لم يتبيّن وجه الشخص المجهول. غدا كوساناغي واقفاً بجانبهما.

- كوساناغي! طاب يومك، قال الرّجل وهو ينتبه لوجوده دون أن يلتفت نحوه.

التفتت زميلته، مُبلبلة.

- ماذا تفعلان؟ سأل.

رفّت عيناها.

- لم أكن أتوقّع أن أراكَ هنا.

- أجيبي عن سؤالي. ماذا تفعلان؟

- يا لها من طريقة غريبة في مُخاطبة زميلة تفيض حماسة! قال الرّجل وهو يلتفت نحو كوساناغي.

تعرّف كوساناغي صديقه، فعَلَت الدّهشة وجهه.

- يوكاوا، كيف حصل أن أتيت إلى هنا؟ قال قبل أن ينظر في اتّجاه زميلته. ذهبتِ للتشاور معه من دون أن تُخبريني بذلك؟

عضّت على شفتها السفلى من دون أن تُجيب.

- أتمزح؟ هل ترى أنّ على الآنسة أوتسومي أن تحصل على إذنٍ منك قبل أن تُقرّر لقاء من تُريد؟ ردّ يوكاوا مع بسمة واسعة. مرّ وقت طويل! وأنا سعيد أن أراك في كامل لياقتك.

- كنت أعتقد أنّك قد قرّرت الكفّ عن مُساعدتنا في تحقيقاتنا.

- لم أُغيّر رأيي، لكن لكلّ قاعدة استثناءَها، كأن تكون للأمر مثلاً صلةٌ بلغز يُهمّني بوصفي رجلاً ذا منزع علمي. بيد أنّني سأكون كاذباً إن قلت إنّ هذا هو الدّاعي الوحيد لوجودي هنا اليوم. لكن لا

حاجة إلى إخبارك بباقي الدّواعي، قال وهو يُلقي على كاورو أوتسومي نظرة مُتواطئة.

لم يحِد كوساناغي بصره عن زميلته.

- أمِنْ أجل هذا تحدّثتِ عن تفتيشٍ جديد للمطبخ؟

فُوجئت ممّا سمعت فلم تردّ على الفور.

- حدّثتكَ السّيدة ماشيبا عن ذلك؟

- كنت معها لمّا اتّصلتِ. آه، كدت أنسى أمراً غاية في الأهمية. كيشيتاني، يبدو لي أنّك لا تقوم بشيء.

انتصب زميله الشاب.

- أمرني الرّئيس بمُرافقتهما لأنه يخشى أن تغفل أوتسومي عن شيء فلا تُخبره به.

- سأقوم مقامك. اذهب واسقِ ورود الحديقة.

رفّت رموش كيشيتاني مرّات عديدة.

- أسقي الورود؟

- لقد قرّرت السيدة ماشيبا الإقامة في مكان آخر لتُسهّل علينا مهمّتنا، ولن يلومك أحد على تقديم هذه الخدمة لها. لا تهتمّ بأغراس الشرفة، سأتولّى أمرها.

عقد كيشيتاني حاجبيه، ظاهراً عليه عدم الارتياح، لكنّه أطاع وغادر المطبخ.

- حسناً، من اللّازم الآن أن تُفسّرا لي سبب هذا التفتيش الجديد للمطبخ، قال كوساناغي وهو يُشبّك ذراعيه على صدره من دون أن يَحيد ببصره عن يوكاوا.

رام رجل الفيزياء تفادي نظرته مُدخلاً إبهاميه في جيبي سرواله الذي يبدو أنّه من علامة حذائه التّجارية نفسها.

- لقد طرحَت عليّ زميلتك الشابة المشكل التّالي: هل يُمكن لشخص أن يدسّ السّم عن بعد في مشروب يتناوله شخص بعينه؟ ويكون ذلك وفق إجراء لا يترك أدنى أثر. فحتّى في مجال الفيزياء، نادراً ما توجد ألغاز بهذا التعقيد كلّه، قال مُعلّقاً مع هزّه لكتفيه.

- عن بُعد.. . كرّر كوساناغي وهو يرمي زميلته بنظرة غاضبة. لا تزالين تشتبهين بزوجة الضحية، وزُرتِ يوكاوا لتكتشفي بأيّ خدعة أمكَنَها أن ترتكب الجريمة، ألم يكُن هذا هو غرضك؟

- لا أشتبه بها وحدها. أنا إنّما أسعى إلى التأكّد من أنّ الأشخاص الذين لهم حُجّة خاصّة بنهاية الأسبوع تُبرّئهم، لا إمكانية لهم لارتكاب الجريمة.

- أليس هذا من باب تحصيل الحاصل؟ أنت تستهدفين الزّوجة، عقّب كوساناغي قبل أن يلتفت جهة يوكاوا. عمّاذا كنت تبحث تحت المِغسل؟

- أخبرتني أوتسومي أنّ آثاراً للسّم عُثر عليها في ثلاثة أماكن، أجاب يوكاوا وهو يرفع ثلاثة أصابع في قفاز. في القهوة التي شربها الضّحية، وفي تفل القهوة على المصفاة، ثمّ في الغلاية. هذا كلّ ما وصل إلى علمي. وبالنتيجة فإنّ السّم إمّا أن يكون قد دُسّ مُباشرة في الغلاية أو قد يكون مُزج بالماء. لكن أيّ ماء؟ هنا تَمثُل أيضاً إمكانيتان: ماء القنينة أو ماء أحد الصنبورين.

- ماء أحد الصنبورين؟ تُريد أن تقول إن ذلك تمّ بواسطة جهاز مُركّب في الأنبوب؟ سأل كوساناغي وهو يتنفّس بصوت مُرتفع.

- عندما تكون ثمة عدّة احتمالات، يكون الإجراء الأكثر عقلانية هو التصرّف بالإقصاء، واصل يوكاوا القول، ثابتاً. لقد بيَّن تقنيوكم أنّه لا يُوجد في الصنبور ولا في أداة التصفية المركَّبة إلى

الصنبور الثاني للمغسل شيء غير عادي. وأنت تعرفني وتعلم أنّني أُريد دائماً التثبّت من كلّ شيء بنفسي. هذا هو السبب في إصراري على تفتيش أسفل المغسل الذي هو المكان الوحيد الذي يُمكن أن يُثبت جهاز ما فيه.

- وبعد؟

حرّك يوكاوا رأسه قليلاً.

- لا الأنبوب الذي ثُبّتت إليه المصفاة ولا المصفاة نفسها بهما أثر لأيّ جهاز. ربّما كان من الأجدى تفكيك كلّ شيء، لكنّني أشكّ في أن يتمّ التوصّل إلى نتيجة مُختلفة. وأخذاً لكلّ هذا بعين الاعتبار، يكون من باب التعقّل استنتاج أنّ السّم إن كان قد خُلط بالماء، فبماء القنّينة.

- لم نعثر فيها على أيّ أثر له.

- لم نتوصّل بعد بنتائج معهد الشرطة العلمية، قالت كاورو أوتسومي.

- لن يعثروا على شيء. تقنيونا يُتقنون عملهم، علّق كوساناغي وهو يفكّ اشتباك ذراعيه مُواصِلاً تثبيت بصره على يوكاوا الواضع كفّيه على وركيه. أهذه هي خُلاصاتك؟ كان عليك إذاً أن تُوفّر على نفسك مشاقّ هذه الزيارة!

- أنا الآن ينحصر اهتمامي في الماء، وقد بقي أن أتأكّد من الغلاية، إذ ليس مُستحيلاً أن يكون السّم قد دُسّ فيها.

- تلك هي فرضيتي. واسمح لي مع ذلك أن أقول لك إنّه لم يكن بها يومَ الأحد صباحاً أيّ شيء غير عادي، على الأقلّ من وجهة نظر هيرومي.

لم يُبد واكاوا أيّ ردّ فعل، لكنّه أمسك بغلاية موضوعة بجانب المغسل.

- ما هذا؟ سأل كوساناغي.

- غلاية مُماثلة للمُستعملة في إعداد القهوة التي شربها الضّحية، أتتني بها زميلتك.

أزاح غطاءها وملأها ماءً ثمّ أفرغها.

- إنّها غلاية عادية، لا خُدعة فيها.

ملأها ماء من جديد وأشعل فرن المطبخ.

- ماذا ستفعل؟

- انظُر وستَفهم، أجاب يوكاوا وهو يستند من جديد إلى المغسل. أنت تعتقد أن القاتل أتى هنا يوم الأحد واستغلّ الفرصة فدسّ السّم في الغلاية، أليس هذا ما تعتقده؟

- أليس هذا هو الاحتمال الوحيد؟

- لو فعلَ ذلك لكان قد جازف. هذا علاوة على أنّ السيد ماشيبا كان مُمكناً أن يُحدّث شخصاً ما عن هذه الزيارة، أم أنّك ترى أنّ المجرم كان بإمكانه ولوج المطبخ من دون علم الضّحية مُستغلاً غيابه لحظة ما؟

- يبدو لي هذا بعيد الاحتمال. فرضيتي هي أنّ الزّائر شخص لم يكن السيد ماشيبا يُريد الإعلان عن زيارته.

- أفهم قصدك. شخص كان يلتقيه سرّاً، أليس هكذا؟ قال يوكاوا هازّاً رأسه قبل أن يلتفت نحو كاورو أوتسومي. إنّ زميلكِ لم يفقد عقله، أنا متأكّد من ذلك.

- ما قصدك بالضّبط؟ سأل كوساناغي وهو يتفرّس فيهما تباعاً.

- لا شيء ذا بال. فطالما بقيتما مُتعقّلين معاً، فإنّ اختلاف رأييكما لن يُفسد للودّ قضية.

حدج كوساناغي يوكاوا بنظرة وهو يراه يعود إلى وقاحته المعتادة. لم يستأ مُخاطبُه من ذلك وأصدر بسمة واسعة.

كان الماء قد جعل يغلي فأطفأ يوكاوا النّار وأزاح غطاء الغلاية.

- نتيجة باهرة، قال مُعلّقاً وهو يُميل الغلاية فوق المغسل.

انتفض كوساناغي وهو يرى الماء يتدفّق منها. كان ماء الصنبور قد تلوّن بلون أحمر فاقع.

- ما الذي حدث؟

وضع يوكاوا الغلاية ونظر إليه من دون أن تُفارقه بسمته.

- لقد كذبتُ عندما قلت إنّ لا شيء مُضافٌ إلى الغلاية. وضعتُ مُلوِّناً أحمر تحت طبقة خفيفة من الجيلاتين داخلها، فأذاب الماء الساخن الجيلاتين واختلط الملوّن بالماء. اختفت البسمة من وجهه والتفت نحو المفتّشة الشابة. ألم تقولي إنّ الغلاية كانت قد استُعملت على الأقلّ مرّتين قبل وفاة الضحية؟

- أجل، يوم السبت مساءً ويوم الأحد صباحاً، أجابت.

- بحسب طبيعة الجيلاتين وكميته، يُمكن ألّا يذوب إلّا في المرة الثالثة. عليكم أن تطالبوا تقنييكم بالقيام بأبحاث في هذا الموضوع. ويجب التفكير أيضاً في أيّ موضع من الغلاية وُضع، كما يُمكن تصوّر مُكوّن آخر غير الجيلاتين.

- سُجّل، قالت وهي تكتب تعليمات يوكاوا في كرّاستها.

- ألست على ما يُرام، يا كوساناغي؟ تبدو مُرهقاً! قال بنبرة ساخرة.

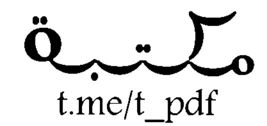
- لست مُرهقاً أبداً. أتعتقد حقّاً أنّ بإمكان إنسان عادي أن يُفكّر في طريقة هي على هذا القدر من التّعقيد؟

- تعقيد؟ أبداً! إنّها لا تكتسي أيّ صعوبة بالنسبة إلى شخص اعتاد استعمال الجيلاتين، كمثل امرأة تُجيد أشغال المطبخ مثلاً.

لم يستطِعْ كوساناغي تفادي صرّ أسنانه وهو يستمع إليه. يعتقد رجل الفيزياء أنّ أياني ماشيبا جانية، وما اعتقد بذلك إلّا لأنّ زميلته أجّجت الشّك فيه.

جعل هاتف كاورو أوتسومي يرنّ فأجابت ثمّ نظرت في اتّجاه كوساناغي بعد أن تبادلت مع مُخاطَبها جملتين أو ثلاثاً.

- سُلّم تقرير معهد الشرطة العلمية ولا أثر للسّم في قنينة الماء.



13

- أطلب منك الآن التّفكُّرَ.

استجابت هيرومي واكاياما وهي تُغمض عينيها. سادت الموسيقى البهو الذي يجري فيه الحفل الجنائزيّ. انتفضت وهي تتعرّف أغنية The long and winding road، لفرقة البيتلز. إنّ معنى العنوان هو «**الطريق الطويل المتعرّج**»، أسرّت لنفسها. كان يوشيتاكا ماشيبا يُحبّ فرقة البيتلز، وغالباً ما كان يستمع إلى أغانيها في سيارته، وكانت أغنية The long and winding road ذات اللّحن البطيء، مع نبرة حزينة، من بين أغانيه المفضّلة. قد تكون أياني هي التي اختارتها، وهي تُؤاخذها على ذلك، لأنّ أجواء الأغنية تُناسب تماماً هذا الظّرف، فجعلتها تُفكّر في يوشيتاكا ماشيبا. أحسّت هيرومي بغتة بما يُشبه كرة في حلقومها وشعرت بالدّمع ينهمر من عينيها المغلقتين، بعد إذْ كانت ظنّت أنّ الدّمع جفّ.

هي لن تسمح لنفسها بالبكاء، لأنّ من شأن بُكاء شخص مثلها لا علاقة رسمية له بالفقيد أن يُحيّر الحضور، كما أنّها لا تُريد أن تبكي أمام أياني.

بعد لحظة التّفكُّر، بدأ وضع الورود، فجعل المشاركون في الحفل يذهبون الواحد تلو الآخر لوضع وردة على قدم النّعش.

اختارت أياني هذه المراسم لأنّ زوجها لم يكن مُتديناً، ووقفت بجانب المصطبة مُحيية برأسها الحاضرين بعد أن يضعوا وردتهم.

نقلت الشرطة أمس جثمان يوشيتاكا إلى هذا المكان الذي يجري فيه الحفل الجنائزيّ، وكان تاتسوكي إيكاي قد عمل على أن تُقام اليوم مراسم وضع الورود التي عوّضت السّهر الجنائزيّ، بينما سيتم الدّفن غداً.

أتى دور هيرومي فأمسكت بالوردة التي سلّمها لها عاملٌ وتقدّمت نحو المصطبة. نظرت في صورة الفقيد وأطبقت كفّيها. كانت الصورة تُظهره باسماً ملفوح المحيّا.

فكّرت المرأة الشابة وقتئذٍ بأنّ عليها ألّا تبكي بأيّ حال من الأحوال فانتابتها نوبة غثيان ولم تتمالك أن ترفع كفّيها إلى شفتيها لاعنة في سرّها هذه الحالة التي تفضح حملها.

ابتعدت مُقاوِمَة ضيقها، لكنّها ارتعدت ما أن رفعت عينيها، إذ وجدت أياني واقفة قُدّامها وهي تتفرّس فيها ببرود.

- هيرومي! هل أنت بخير؟

- نعم، اطمئنّي!

- حسناً، قالت أياني مُديرة رأسها في اتّجاه المصطبة.

غادرت هيرومي الحفل الجنائزيّ شاعرةً ألّا رغبة لها في المكوث لحظة واحدة.

ولمّا كانت مُتوجّهة نحو باب الخروج شعرت بكفّ تُربّت كتفها فالتفتت ورأت يوكيكو إيكاي فسارعت بتحيتها.

- الأمر ليس سهلاً بالنّسبة إليك... مع كلّ هذه الأسئلة التي طرحتها عليك الشرطة، قالت المرأة الشابة، على ملامحها آثار تعاطف، وقد لمعت عيناها فُضولاً.

- أجل، لكن. . .

- يبدو أنّ الشرطة تنقصها الفعالية، فهم لم يعثروا بعد على أيّ خيط يقودهم إلى الجاني.

- هذا ما سمعته.

- زوجي يخشى انعكاسات هذه القضية على سير شركة السيد ماشيبا، إن لم يعثروا بسرعة على القاتل. وقد قرّرت أياني ألّا تعود إلى بيتها ما لم يعثروا على المجرم، وأنا أتفهّم قرارها. الأمر رهيب!

لم يكن بوسع هيرومي إلّا أن تُصدّق على قولها، ثمّ سمعتا صوتاً ذكورياً يصيح:

- هيه! كان تاتسوهيكو إيكاي يقترب منهما. لكن ما وجهتك؟ ألا تدرين أنهم سيُقدّمون وجبة خفيفة هناك؟

- لم أكن أعلم. أتصحبيننا يا هيرومي؟

- أشكركما، لكنني لا أُريد البقاء هنا.

- ولمَ لا تبقين؟ ألن تنتظري أياني؟ إنها لن تستطيع الانصراف فوراً مع هذا الحضور الغفير.

أنّب إيكاي زوجته وهو يعقد ما بين حاجبيه.

- أراك اليوم مُبالغة في إلحاحك. كلّ واحد حرّ في التصرّف بالطريقة التي تحلو له.

ارتعشت هيرومي من داخلها. التفتت نحوه، لكنه تجنّب نظرتها.

- آمل أن أسعد برؤيتكما قريباً، قالت مُحنية هامتها قبل أن تذهب في اتجاه باب الخروج.

ما عاد من مجال للشّك، فتاتسوهيكو إيكاي يعلم بالعلاقة التي جمعتها بيوشيتاكا. ما كانت أياني لتُخبره، وقد يكون عرف من

الشرطة، كما يبدو أنّ المحامي لم يُخبر زوجته بذلك، لكن الظاهر أنه يستهجن هذه العلاقة.

اجتاحتها الحيرة من جديد. ما سيكون مآلها؟ لن تلبث إشاعة علاقتها بالفقيد أن تنتشر. كلّا، هيرومي ليس بمستطاعها أن تستمرّ في العمل لصالح أرملته.

وعلى أيّ حال فإنّ أياني نفسها ستفكّر في ذلك لأنها لن تستطيع أن تغفر لها خيانتها.

لا تزال تُلاحقها نظرتها التي رمتها بها قبل قليل. فقط لو لم تكن قد حملت كفّيها إلى شفتيها! من المؤكّد أنّ أياني خمّنت سبب غثيانها، فلذلك سألتها ببرود إن كانت بخير.

كان بإمكان أياني ربّما أن تغُضّ الطّرفَ لو كانت مُساعِدتها مجرّد عشيقة لزوجها المتوفّى، أمّا وقد حملت منه فإنّ ذلك يُغيّر كل شيء.

قد تكون أياني انتبهت لحملها باكراً، حتّى ولو لم تكن مُتيقّنة، وهو ما يعني أنّ الأمر كان حينئذٍ مُختلفاً جدّاً عنه الآن وقد أصبح الحمل حقيقة ماثلة.

لقد انقضت بضعة أيام على اعترافها بحملها لهذه المفتّشة المسمّاة أوتسومي، وأياني لم تُحدّثها في ذلك منذئذٍ. وهيرومي التي لم تكن لها نية في إخبارها، لا تدري ما يدور في رأسها الآن.

ما الذي عليها القيام به الآن؟ إنّ التفكير في ذلك يُصيبها بالدّوار.

هي تعلم أنّ عليها أن تُجهض ما في بطنها، لأنّها ليست متيقنة من قدرتها على إسعاد هذا الطفل الذي سيولد من دون أب. وعلاوة على ذلك، فهي مُهدّدة بفقدها عملها في كلّ لحظة. وكي تُقال

الأمور بوضوح كامل، هي متأكّدة من أنّ أياني لن تُمكّنها بعدَ الآن من عمل إن قرّرت الاحتفاظ بالجنين في بطنها إلى أن يولد.

ما عادت لهيرومي خيارات أخرى، ومهما كانت الطريقة التي تتصور بها الوضعية، تجد نفسها غير قادرة على الاحتفاظ بما في بطنها، بَيْدَ أنّها لا تستطيع مع ذلك الوصول إلى حلّ. إنّها عاجزة عن تحديد ما إن كان سبب رغبتها في الإبقاء على الطفل هو تعلّقها بيوشيتاكا وعدمُ رغبتها في فقد الشيء الوحيد المتبقّي لها منه، أم هو غريزة المرأة فيها.

هي متأكّدة من أمر واحد، وهو أنّ الوقت محدود، ويجب عليها أخذ قرار في غضون الأسبوعين المقبلين.

نادى باسمها صوتٌ ذكوريّ وهي تنتظر سيارة أُجرة بعد خروجها.

ازداد إحساسها بالإرهاق وهي ترى المفتّش كوساناغي مُقبِلاً نحوها بخطوات واسعة.

- كنت أبحث عنك، هل ستنصرفين؟

- أجل، أنا متعبة.

لا بدّ أن يكون على علم بحملها، ومن صالحها تذكيره بذلك الآن.

- أنا آسف على إزعاجك في لحظة مثل هذه، لكن هلّا تفضّلتِ بقبول الإجابة عن بضعة أسئلة؟ لن أُطيل عليك.

- تعني الآن؟

- أجل، إن تفضّلتِ بالقبول.

- وهل أنا مُلزَمَة بمُرافقتك إلى مقرّكم؟

- كلّا، لنذهب بالأحرى إلى مكان هادئ، أجابها.

نادى سيارة أجرة مرّت أمامهما دون أن ينتظر جوابها وقدّم للسّائق عنواناً قريباً من شقّة هيرومي. فهمت أنّه لا يعتزم الإطالة فاطمأنّت لذلك.

طلبت هيرومي حليباً ساخناً لأنّ القهوة والشّاي كانا مُتاحين يُمكن لمن أراد أن يُفرغ لنفسه منهما، وطلب كوساناغي شوكولاتة، للسّبب نفسه على الأرجح.

- في هذا الضّرب من المقاهي أصبح التّدخين ممنوعاً دائماً تقريباً، أليس كذلك؟ إنه أمر جيّد لشخص في وضعيتك، قال وهو يبتسم لها بودّ.

هو يُريد بلا شكّ إفهامَها أنّه على علم بحملها، لكن وقع كلماته لم يكن سائغاً في سمع هيرومي التي لم تستطِعْ بعد أن تُقرّر ما إن كانت ستُجهض ما في بطنها.

- حسناً. . . فيمَ كنت تريد سُؤالي؟ قالت من دون أن ترفع رأسها.

- أنا آسف على إزعاجكِ وأنت على هذه الحال من التّعب، واصل قائلاً وهو يميل نحوها. أودّ أن أطرح عليك بعض الأسئلة عن العلاقات النسائية للسيد ماشيبا.

رفعت رأسها مُتفاجئة.

- ماذا تقصد؟

- لا شيء غير ما سمعتِ. هل كانت له نساء أخريات في حياته غيركِ أنت؟

انتصبت هيرومي بجذعها ورفّت عيناها، بادٍ عليها اضطراب طفيف، لأنّ السؤال كان قد أخذها على حين غفلة.

- لماذا تطرح عليّ هذا السؤال؟

- ماذا تقصدين؟
- هل حدّثوكَ عن امرأة ما؟ سألت بنبرة لاذعة أكثر ممّا ينبغي.
أبدى كوساناغي بسمة مُكشّرة ونفى بكفّه.
- لا دليل لنا البتّة. لكنني أطرح عليكِ هذا السؤال لأنني أرى الأمر مُمكناً.
- لا علم لي بشيء. ولماذا ترى ذلك مُمكناً؟
اختفت بسمة كوساناغي وشبّك كفّيه على المائدة.
- كما تعلمين، فالسيد ماشيبا مات مسمّماً في ظروف جعلتنا نُفكّر في أنّ شخصاً ما قد يكون تسلّل إلى بيته يوم وفاته. ولذلك كنّا على أيّ حال قد اشتبهنا أوّل الأمر بكِ أنت.
- لكنني لم أقترف شيئاً...
- أنا أعرف ما ستقولينه لي. فإن كنتِ أنتِ غيرَ مُذنبة فمَن ذا الذي قد يكون أتى إلى بيته؟ نحن حتى هذه اللحظة لم نعثُر على أحدٍ من بين معارفه في المهنة أو في حياته الخاصة يُمكن أن يكون قد أقدَمَ على ذلك. لهذا تصورنا إمكانية أن يكون الفاعل شخصاً كانت له علاقة سرية بالسيد ماشيبا.
استطاعت في الأخير تمثّل ما أراد المفتّش قوله، غير أنها لم تجد سبباً للتعبير عن اتفاقها مع هذا الاحتمال، بل بدت لها الفكرة مدعاة للسخرية.
- أنت تُخطئ في حقّه، وأنا أعرف سبب تفكيرك في هذا. بيد أنه لم يكن كتوماً دائماً إلى هذه الدرجة وكانت علاقتنا جديّة. إنكَ مُخطئ إذ تعتقد أنّه كان زير نساء.
بدا له أنها قد تحدّثت بالأحرى بجدية، لكن ملامح الشرطي لم تتغيّر.

- لم يحدث لك قطّ أن شعرتِ أنّ في حياته امرأة أخرى؟
- لم أشعر بذلك قطّ.
- في هذه الحال، ما شأن النساء اللاتي كانت له بهنّ علاقة في الماضي؟ أتعرفين شيئاً عن هذا الموضوع؟
- تقصد النساء اللاتي كانت له بهنّ علاقة قبل زواجه؟ أنا أعلم أنه كان على علاقة بنساء بطبيعة الحال، لكنه قليلاً ما كان يتحدّث في ذلك.
- أقلّ تفصيل قد يُفيدنا. ألا تتذكرين شيئاً؟ ما كنّ يصنعنه أو مهنتهن أو المكان الذي تعرَّفَ فيه عليهن؟

بحثت هيرومي مُرغَمَة في ذاكرتها كما طلب منها. كان يوشيتاكا بالفعل قد ذكر أشياء عن صداقاته القديمة، وهي تتذكّر الآن مثالاً أو مثالين.

- كان قد حدّثني عن علاقة أقامها مع امرأة من عالم النّشر.
- عالم النّشر؟ تقصدين مُحرّرة؟
- كلّا، بل عن امرأة تكتب، أعتقد.
- روائية؟

أمالت هيرومي رأسها جانباً.

- لا أدري. كان قال لي إنها عندما تنشر كتاباً يُصبح الأمر مُملّاً لأنّها تنتظر منه تعليقاً. كنت سألته عن نوع الكتاب لكنّه لم يُجبني لأنه لم يكُن يُحبّ أن أطرح عليه أسئلة في هذا الموضوع، فلم أُلحّ.
- لا شيء آخر؟
- أتذكّر أيضاً قوله إنه لم يكن يشعر بأي انجذاب لنساء الليل أو نساء عالم الفرجة. وكان قد ذهب مرّات مُتعدّدة لحفلات مُخصّصة

لتيسير العلاقات بين الأشخاص الذي يُريدون الزّواج، فاكتشف أنّ من بين المشاركين فيها مهنيون استدعاهم المنظّمون.

- وكان قد التقى بزوجته في حفل استقبال من هذا النّوع؟

- بحسب علمي، ذلك ما كان حصل، قالت مُنكِّسة بصرها.

- ولم يحصل لديك الانطباع قطّ بأنّه كان حينئذٍ على علاقة بامرأة عرفها في الماضي؟

- لا، لم يكن الأمر كذلك، على الأقلّ بحسب ما أعرف، أجابت ناظرة إليه من فوق. أتعتقد أنّ إحدى صديقاته القديمات قد تكون قتلته؟

- هذا ليس مُستبعداً من وجهة نظري. لهذا سأكون مُمتنّاً لك لو قمتِ بمجهود لتذكّر الأشياء بأكبر قدر ممكنٍ من الدّقة. الرجال أقلّ حذراً من النساء في العلاقات الغرامية، فيكونون ربّما أكثر ثرثرة منهنّ فيما يخصّ ماضيهم.

- ربّما، لكن. . .

وبعد أن رشفت من فنجان الحليب تأسّفت على أنها لم تشرب الشّاي. لم تكن تُريد أن يسود فمها طعم الحليب.

راود ذهنَها أمرٌ فرفعت رأسها من جديد.

- نعم؟ سأل كوساناغي.

- كان يُفضّل القهوة، لكنّه كان يعرف أشياء كثيرة عن الشّاي. وعندما كنت سألته في ذلك، أجابني أنّ السبب يعود إلى صديقة قديمة كانت تُحبّ الشاي وتشتريه من المحلّ نفسه، أعتقد أنه قاعة شاي بحي نيهونباشي.

أخرج كوساناغي مُفكّرته.

- أتعرفين اسمه؟

- آسفة، لم أعُد أذكر. كنت أودّ مُساعدتك، لكن...

- تعاونكِ سند كبير لنا. لقد طرحت هذه الأسئلة نفسها على السيدة ماشيبا لكنّها أجابت بعدم علمها بشيء. لربّما كان السيد ماشيبا يثقُ فيك أكثر منها.

بعثت فيها هذه الكلمات غيظاً بهيماً، ولم تفهم ما إن كان يسعى إلى شدّ أزرها أم إلى مواساتها، لكنّه يُخطئ إن ظنّ أنّه يُسعدها بقوله هذا.

- أوه... أهذا كلّ ما كنت تودّ سؤالي فيه؟ أحبّ أن أعود إلى حال سبيلي، أتدري...

- أشكركِ على تكرّمك بمنحي هذا الوقت للإجابة عن أسئلتي رغم تعبك. وإن تذكّرتِ أمراً آخر، سأكون مُمتناً لكِ بأن تُخبريني به.

- حسناً، سأتّصل بك إن تذكّرتُ شيئاً.

- سأُرافقكِ.

- لا داعي، أستطيع العودة راجلة.

غادرت هيرومي المائدة من دون أن تعبأ بالفاتورة، ولم تكُن لها أدنى رغبة في شكره.

14

خرجَ بُخار من فم الغلاية فحمَلَها يوكاوا وشرع يُفرِغ الماء المغلي في المغسل، زامّاً شفتيه. رفع بعد ذلك غطاءها وأزاح نظّارته، حتى لا تتغمّم من دون شكّ، ونظر في داخلها.

- وبعد؟ سألت كاورو.

أعاد وضع الغلاية على النار، وحرّك رأسه ببطء.

- لا يحدث شيء، تماماً كما حصل قبل قليل.

- الجيلاتين...

- لم يذُب.

سحب يوكاوا نحوه مقعداً معدنياً وجلس وشبّك ذراعيه خلف رأسه وجعل يتأمّل السّقف. لم يكن يرتدي وزرته البيضاء وإنّما قميص بولو أسود يُبرز جسده الرقيق وعضلات ذراعيه.

أتت المفتّشة الشّابة إلى المختبر كي تحضر عملية تأكّده ممّا إن كانت الخدعة التي سبق له أن فكّر فيها ممكنة.

لم تكن النتائج للأسف إيجابية. لقد ألصق داخل الغلاية طبقة سميكة من الجيلاتين حتى لا تذوب خلال غليان الماء مرّتين، فلا ينتشر السّم، لكن هذه الطّبقة لم تذب حتى بعد ذلك بصفة كاملة

وبقي منها على الجدار الداخليّ للغلاية، وهي النّتيجة نفسها التي كان قد توصّل إليها تقنيو الشرطة.

- الأمر لا يستقيم مع الجيلاتين، قال يوكاوا مُعلّقاً وهو يهزّ رأسه.

- هذه أيضاً هي وجهة نظر تقنيينا. ويعتقدون أنه حتى لو ذاب بالكلية تبقى آثار منه بالداخل. بيدَ أنهم، كما قلت لك قبل قليل، لم يعثروا على أيّ شيء منه في تفل قهوة المصفاة. وقد بدت لهم الفكرة مهمة، فجرّبوا موادّ أخرى.

- كنت حدّثتني عن رقائق، أليس كذلك؟

- بلى، وفي هذه الحالة يبقى نشاء في تفل القهوة.

- لم يكن الأمر إذاً كما افترضنا، قال يوكاوا وهو يضرب على ركبتيه قبل أن ينهض واقفاً. أعتقد أن علينا التخلي عن هذه الفكرة.

- كانت تبدو مع ذلك ممتازة.

- لو كانت استقامت لأصيب المفتّش كوساناغي بالامتقاع، قال رجل الفيزياء مُلاحظاً وهو يرتدي وزرته البيضاء التي كانت موضوعة على مُتّكأ المقعد. لكن ماذا يفعل صديقنا الآن؟

- يسعى إلى التعرّف على الصديقات القديمات للسيد ماشيبا.

- مفهوم. هو، بمعنى آخر، يتأكّد من فرضيته. لكن الآن وقد فشلنا في تجربة الغلاية، يحسن بك أن تنضمّي إليه في نظريته.

- أتعتقد أن السيد ماشيبا قد تكون قتلته إحدى صديقاته؟

- لا أعرف ما إن كان الفاعل صديقة قديمة، لكن يبدو لي أنّ من المنطقي الآن التّفكير في أنّ المجرم قد تسلّل إلى بيت آل ماشيبا يوم الأحد صباحاً بعد انصراف هيرومي واكاياما فوضع السّم في الغلاية.

- أتتخلّى عن فكرتك؟

- لا يتعلّق الأمر بالتخلي، فأنا إنّما اكتفيتُ بإلغاء إمكانية واحدة من ضمن إمكانيات. قد يكون لكوساناغي ميل خاص للسيدة ماشيبا، لكنّ مُقاربته ليست بعيدة عن المنطق، ويبدو لي أنّ طريقته في تدبير التّحقيق صحيحة. ثمّ عاد للجلوس على كرسيه ووضع ساقاً على ساق. ألم يكن السّم المستعمل هو الزرنيخ؟ أفلا يُمكنكم إذاً الوصول إلى المجرم اعتماداً على المصدر الذي جُلب منه الزرنيخ؟

- الأمر أشدّ تعقيداً ممّا نتصور. لقد كُفّ منذ حوالي خمسين سنة عن صناعة وبيع الأدوية الفلاحية التي تتّخذ الزرنيخ قاعدة لها، لكن استُمرّ في استعماله في مخُتلف المنتجات.

- مثل ماذا؟

- مُعالجةُ الخشب ومبيدات الحشرات وعلاج الأسنان وأشباهُ المُوَصِّلاَت، في كلّ شيء تقريباً.

- ما قلتِه يكفي! ولماذا يستعمله أطبّاء الأسنان؟

- لقتل العروق الحيّة للأسنان، ويكون في شكل عجينة تتحلّل بصعوبة في الماء بنسبة أربعين بالمئة. يبدو أنّ من المستبعد أن يكون هو المادة المستعمَلَة في الحالة التي تهمّنا.

- وما هو المصدر الذي يبدو لكم أكثر رجحاناً؟

- مُستعملو مبيدات الحشرات. هم مُلزَمون بتقديم اسمهم وعنوانهم عندما يشترونها، وقد بدأنا بحثنا في هذا الجانب. لكنّ المموّنين ليسوا مُلزمين بالاحتفاظ بجذاذات المشترين إلّا لمدّة خمس سنوات، ولن نستطيع العثور على شيء إن كان الاقتناء قد تمّ قبل ذلك. وعلاوة على هذا فنحن لن نصل إلى شيء إن كان المجرم قد حصل على الزرنيخ بطريقة غير قانونية.

- لا أعتقد أنّ الجاني قد يكون ارتكب خطأ في هذا الجانب، قال يوكاوا مُعلّقاً وهو يُحرّك رأسه. ويحسن بالشرطة ربّما أن تُراهن على ما يقوم به المفتّش كوساناغي.

- لا أستطيع تصوّرَ أن يكون الجاني قد وضع السّم مُباشرة في الغلاية.

- لماذا؟ ألأنّه لم يكن في إمكان زوجة الضحية أن تقوم بذلك؟ أنا لا اعتراض لي على اشتباهك بها، لكن يبدو لي غير منطقيّ أن تبني تحقيقك على مُقدّمة تعتبرينها فيها الجانية.

- ليس هذا ما أقوم به. أنا لا أستطيع تصديق أن يكون شخص ما قد أتى إلى بيت آل ماشيبا ذلك اليوم. لم نعثر على أيّ أثر لهذه الزيارة. خُذْ هذا المثال: إن كانت صديقة قديمة قد زارته، كما يرى كوساناغي، ألا تعتقد أنه كان سيُقدّم لها على الأقلّ فنجان قهوة؟

- ليس بالضرورة. فربّما ما كان ليفعل ذلك إن استقبل زائرته على مضض.

- لكن في هذه الحال، كيف كان بإمكان هذا الشخص أن يدسّ السّم في الغلاية؟ أما كان بإمكان السيد ماشيبا أن ينتبه لذلك؟

- ألا يُمكننا تصوّر أن يكون قد ذهب إلى الحمام؟ تلك اللحظة تكفي.

- سيكون مُرتكب الجريمة في هذه الحال قد عوّل على طريقة غير مضمونة. فماذا كان سيفعل لو لم تكن للسيد ماشيبا حاجة في الذهاب إلى الحمام؟

- ربما كانت له خطة بديلة، أو قد يكون أخذ القرار في هذه الحالة بالتّخلي عن تنفيذ خطّته إن لم تكن الظروف مواتية، مُلتجئاً إلى مخرج لا مُجازفة فيه.

- إلى أيّ جانب تميل أنتَ؟ سألت وهي ترفع رأسها لتتفرّس فيه.

- يا له من سؤال غريب! أنا لست من جهة أيّ كان. إنّما أحلّل الوضعية وأقوم بتجارب عندما يقتضي الأمر ذلك، وأسعى للحصول على الجواب الأكثر عقلانية. ووجهة نظركِ أنت في هذه اللحظة هي الأقلّ قوة.

عضّت المفتّشة الشابة على شفتيها.

- اسمَح لي بتصحيح ما قلتُه قبل قليل. أنا أعترف باشتباهي بالسيدة ماشيبا، وأنا على يقين من أنّ لها يداً في موت زوجها، لكنني أنتبه أيضاً إلى أنّ قناعتي هذه تكاد تُستقبل على أنها مجرّد عناد.

- أتتراجعين؟ أنا أستغرب هذا منكِ! قال وهو يهزّ كتفيه كما لو كان ذلك يُسلّيه. أليست كؤوس الشامبانيا هي الأصل في شكوكك؟ أنت تعتبرين أمراً غريباً ألّا تكون ربة البيت قد أعادتها إلى مكانها، أليس الأمر كما أقول؟

- بلى، لكن هناك أمراً آخر. لقد علمت السيدة ماشيبا بالجريمة في الليلة الفاصلة بين يومَي الأحد والاثنين. كانت الشرطة قد تركت لها رسالة نصية. وقد حدّثتُ الشرطي الذي اتّصل بها فأكّد لي أنه كان يُريد إخطارها بالخبر في أقرب وقت وطلب منها أن تتّصل به عندما تُشغّل محمولها، فقامت بذلك حوالي مُنتصف الليل وأخبرها بما كانت الشرطة تعرفه. وهو لم يُشِرْ طبعاً إلى أنّ الوفاة قد تكون ناتجة عن جريمة.

- امممم! وبعد؟

- عادت إلى طوكيو في أوّل طائرة صباح اليوم التالي. ذهبنا أنا

وكوساناغي لاستقبالها في المطار وفي أثناء عودتنا بالسيارة اتّصلت بهيرومي واكاياما وقالت لها: «يا هيرومي المسكينة! من المؤكد أنّ ذلك كان رهيباً!»، واصلت قائلة مُتذكّرة تلك اللحظة، فوجدتُ قولها غريباً على الفور.

- «من المؤكد أنّ ذلك كان رهيباً!» كرّر يوكاوا وهو ينقر بأصابعه على ركبتيه. بهذا يكون بإمكاننا أن نستنتج أنّها لم تكن قد سبق لها أن اتصّلت بهيرومي وأنّ تلك كانت المرّةَ الأولى التي تُحدّث فيها مُساعِدتها منذ علمها بوفاة زوجها.

- هذا تماماً ما أُريد قوله! قالت وقد تلطّفت ملامحها، سعيدة أن ترى يوكاوا يُقاسمها شُكوكها. كانت السيدة ماشيبا قد عهدت لها بمفتاح بيتها، وكانت قد خمّنت علاقتها بزوجها، لكن هذا ليس كلّ شيء؛ فقد كانت تجمع آل ماشيبا علاقةٌ بآل إيكاي، لكنّها لم تتّصل بهما هما أيضاً. إنني لا أفهم كيف أحجمت عن الاتصال بهيرومي وبآل إيكاي.

- وما النّتيجة التي تستنتجها المفتشة أوتسومي من ذلك؟

- أعتقد أنّ عدم اتصالها لا يعود إلى عدم شعورها بأهمية ذلك وإنما لأنّها كانت تعرف حقيقة موت زوجها فلم تسعَ لمعرفة تفاصيل أكثر عن هذا الموضوع.

تبسّم يوكاوا ومرّر كفّه على ذقنه.

- هل حدّثتِ أحداً في هذا؟

- السيد ماميا، رئيسي.

- لكن لم تُحدّثي كوساناغي.

- كلا، لأنه سيتّهمني بالانحياز ولن يستمع إليّ.

اختفت البسمة من مُحيّا يوكاوا الذي نهض واقترب من المغسل.

- لا مُبرّر لهذه الفكرة المسبقة التي لكِ عن كوساناغي. لستُ ربما مُخوّلاً لقول هذا، لكنّه شرطي ممتاز. فحتى لو كان يُبدي بعض الحساسية تُجاه المشتبه فيها فإنه لن يتخلّى عن رزانته، كما أنني لا أعتقد أنه سيُغير رأيه على الفور إن أخبرتِه بهذا كلّه. أتصور أنّه سيبدأ بمعارضة رأيك، بيد أنه ليس ممّن يتجاهلون رأي الآخرين، وسيُفكّر فيما ستقولين له. ربما ليست استنتاجاتك هي ما كان يتمنّاه لكنني على يقين من أنه لن يستبعدها بشكلٍ كامل.

- أنت تثقُ فيه ثقة كاملة.

- وإلّا لما كنتُ قد تعاونت قطّ معه في تحقيقاته، قال يوكاوا مُفسّراً وأبدى في اتّجاهها بسمة واسعة في أثناء صبّه مسحوق القهوة في الإبريق الكهربائي.

- لكن ما رأيك أنت؟ أيبدو لك ما أقوله غريباً؟

- كلّا. تبدو لي فكرتك منطقية للغاية. كان من الطبيعيّ أن تسعى لمعرفة تفاصيل أكثر عن وفاة زوجها، ويبدو غيرَ طبيعيّ ألّا تكون قد اتّصلت بأحد.

- ها أنذا قد اطمأننت.

- لا تنسَي أنّني ذو منزع علميّ، وإن خُيّرت بين نظرية لا تبدو طبيعية بالكلية من وجهة نظر التحليل النفسي ونظرية مُستحيلة على المستوى الفيزيائيّ، سأجدني مضطرّاً لاختيار الأولى وإن أدّيت ثمن ذلك غالياً بعض الشيء. هذا عدا أن تكون ثمة وسيلة لم أُفكِّر فيها لإعداد الغلاية حتى لا يفعل السّم فعله إلّا متأخّراً، قال وهو يملأ من ماء الصنبور خزّان إبريق القهوة الكهربائيّ. بلغني أنّ الضحية لم

يكن يُعدّ قهوته إلّا بالماء المعدنيّ. لا أدري إلى أيّ درجة يُغيّر ذلك طعم القهوة.

– لم يكن يفعل ذلك من أجل المذاق وإنّما لأنه كان يعتقد أنّ فيه فائدة صحية. وقد اعترفت زوجته بأنها كانت تستعمل ماء الصنبور عندما لا يراها وهي تُعدّ القهوة. ولا أدري إن كنتَ على علم بأنّ الآنسة واكاياما قد صرّحت بأنها هي أيضاً كانت قد استعملت ماء الصنبور يوم الأحد صباحاً.

– كان إذاً الوحيد الذي لا يستعمل إلّا الماء المعدنيّ.

– ولهذا كنا نرى أننا سنعثر على آثار للسمّ في القنينة.

– إن كان معهد الشرطة العلمية لم يعثر له على أثر وجب التخلّي عن هذه الفرضية.

– إنّ غياب أثره لا ينفي هذا الاحتمال كُلّياً. فقد اعتاد الناس في الغالب غسل القنينات القابلة للتدوير قبل أن يُلقوا بها، ويُقدّر المعهد أنّ العثور على أثر للسّم في هذه الحالة داخل القنينة المستعملة أمر مُستحيل.

– لكن الناس لا يغسلون إلّا القناني التي كانت تحوي شاياً أو عصير فواكه، أليس كذلك؟ إنهم لا يغسلون قناني الماء!

– بلى، جرياً على العادة.

– أنت مُحقّة على الأرجح، وسيكون الحظّ قد وقف في جانب السيدة ماشيبا إن كانت هذه العادة عند زوجها قد أخفَت الطريقة التي دُسّ بها السّم في القهوة.

– هذا في حالة انطلاقنا من فرضية أنها الجانية، قالت قبل أن ترفع نحوه نظرة مُتسائلة. أترى هذا الاستدلال مُناسباً؟

أبدى يوكاوا بسمة.

- لا أرى فيه ما يعيبه. نحن أيضاً نشتغل دائماً انطلاقاً من فرضيات غالباً ما يتّضح في النهاية أنها خاطئة. هل ينفع في شيء أن ندفع بكون الزوجة جانية؟

- هي التي كانت قد أخبرتنا أن زوجها لم يكن يشرب إلّا الماء المعدنيّ. يُدافع كوساناغي عن أنها لو كانت قد دسّت السّم فإنه لم يكن لها من داعٍ لإخبارنا بذلك، لكنّني أرى خلاف رأيه. أعتقد أنها كانت تسعى بقولها هذا لأن تجعل اشتباهنا بها يقلّ، لأنها على بيّنة من أننا سنعثر طال الزمن أم قصر على أثر للسّم في القنينة. وها قد حصل أننا لم نعثر على شيء، وأنا أعترف أنّ ذلك قد بلبلني. فإن كانت جانية، وإن كانت قد تصورت طريقةً مُعينة لدسّ السّم في الغلاية، فإنه لم يكن لها من داعٍ البتّة لإخبارنا بأنّ زوجها لم يكن يستعمل إلّا ماء القنينة. لقد فكّرتُ في ذلك ووصلت إلى خلاصة مفادها أنّها لم تكن تنتظر ألّا نعثر على أثر للسّم في القنينة.

تغيّرت ملامح يوكاوا وهو يُنصت إليها. أضحى وجهه عابساً وهو يُراقب البخار يصعد من إبريق القهوة الكهربائيّ.

- تقصدين أنها لم تُفكّر في أنّ زوجها سيغسل القنينة؟

- لا أعتقد أنها فكّرت في ذلك، حتى وإن كانت الجانية. لا بدّ أنها كانت تتوقّع أن نعثر على السّم في القنينة، لكن زوجها أعدّ قهوته بما تبقّى فيها من ماء، وفي أثناء انتظاره غليانَه غسل القنينة الفارغة. وبما أنها كانت تجهل ذلك نصحت الشرطة بالتثبّت ممّا إذا كان الجاني قد دسّ السّم في قنينة الماء، بنيَّة الاستباق. وهذا يُفسّر إسرارها لنا بأنه لم يكن يشرب إلّا الماء المعدنيّ.

هزّ يوكاوا رأسه ودفع نظارته على أنفه بأصبعه.

- يبدو ما تقولينه منطقياً.

- أنا على بينة من أنّ هذا الاحتمال لا يُفسّر كل شيء، لكنه قائم.

- بالتأكيد. وهل تعرفين وسيلة تُثبتين بها نظريتك؟

- كلّا، للأسف الشديد، أجابت وعضّت شفتيها.

أمسك بالإبريق وملأ فنجانين وقدَّم أحدهما لكاورو.

أمسكت به شاكرة.

- أنتما مع ذلك لم تُبيّتا أمراً؟

- معذرة؟

- أسألك إن لم تكونا أنت وكوساناغي قد تواطأتما لإيقاعي في فخّ.

- فخّ؟ لماذا نُوقعك في فخّ؟

- لأنّ هذه الحكاية تُدغدغ شهيتي للبحث، في حين كنت قد قرّرتُ ألّا أعود للتعاون مع الشرطة! إنّه لغز مُنكّهٌ بالشذى الخطير للحبّ الذي يُكنّه كوساناغي للمشتبه فيها، قال مُفسّراً مع ابتسامة محدودة، وهو يتذوق قهوته.

15

تقع قاعة الشاي كوزي في حيّ أودينماشو بنيهونباشي، في الطابق السفليّ لعمارةِ مكاتب، قريباً جدّاً من شارع سويتينغو الذي تصطفّ المصارف على جانبيه، ولم يكن مُستغرباً في شيء تَخيّلُها غاصّة بالنساء الشابات وقت الغداء.

كان كونتوار بيع الشاي هو أوّل ما رآه كوساناغي وهو يدفع الباب. كان قد قرأ أنّ أكثر من خمسين نوعاً من أنواع الشاي الأسود تُباع في هذا المحلّ. أمّا قاعة الشاي بالمعنى الحقيقي للكلمة فتقع في خلفية المحلّ. وبدل أن تكون القاعة خالية تماماً في مُنتصف فترة ما بعد الظهر، كما كان المفتّش يتمنى، وجد زبونات يشغَلنَ بضع الموائد، ترتدي بعضهنّ بذلة مُستخدمات كبريات الشركات. كان كوساناغي هو الرّجل الوحيد.

اقتربت منه نادلة قصيرة القامة ترتدي بذلة بيضاء.

- طاب نهارك، هل أنت بمفردك؟

لاحظ أنّها ترمقه بضرب من الحيطة رغم بسمتها. ربّما كان قد أعطاها الانطباع بأنه لا ينتمي إلى هواة الشاي الأسود. وعندما أكّد أنه لا ينتظر أحداً قادته إلى مائدة قريبة من الجدار من دون أن تتخلّى عن بسمتها.

قرأ في القائمة أسماء الشاي التي لم يكُن له بها علم إلى حدود الأمس. بيد أنّه يعرف منها اليوم عدّة أنواع، وقد سبق له أن ذاق بعضها، لأنّ كوزي كانت هي قاعة الشاي الرابعة التي يزورها.

طلب فنجان شاي من نوع أسام ممزوج بالحليب وبعض التوابل كما عرف ذلك في آخر قاعة زارها. هذا المشروب يُعجبه حتى أنه يجد نفسه مستعدّاً لشرب فنجان ثانٍ منه.

- اسمحي لي أن أُقدّم لكِ نفسي، قال وهو يعرض أمام النادلة بطاقته. أحتاج إلى بعض المعلومات وأودّ مُحادثة مسيّر مُؤسّستكم.

اختفت بسمة النادلة ما أن رأت البطاقة، فآتى كوساناغي من كفّه حركة رامَ بها طمأنتها.

- لا تحملي همّ شيء. الأمر بسيط. أُريد فقط أن أطرح بعض الأسئلة تهمّ أحد زبائنكم.

- حسناً، سأُناديها.

- شكراً لك، أجاب كوساناغي مُتخلّياً عن طلب منفضة لأنّه انتبه ليافطة تُعلن أنّ كلّ الموائد هي لغير المدخّنين.

أجال بصره من جديد في القاعة. كان الجو لطيفاً وهادئاً. لم تكن الموائد مُلتصقة بعضها ببعض فكان بإمكان رجل وامرأة أن يجلسا من دون انشغال بالمجاورين. لا بدّ أنّ يوشيتاكا ماشيبا كان يشعر هنا براحته.

لا ينتظر كوساناغي شيئاً ذا بال من زيارته، وكانت المؤسسات الثّلاث السابقة قد أحدثت لديه الانطباع نفسه.

أقبَلَت نحوه بعد لحظات امرأة ترتدي صدرية سوداء على قميص أبيض، مهمومة الملامح. كانت تبدو في الثلاثين من عمرها، وقد

وضعت أصباغاً خفيفة في وجهها وربطت شعرها الأسود الطويل في شكل ذيل فرس.

- ما المطلوب منّي؟

- أنت مدبّرة المحلّ؟

- أجل، واسمي هامادا.

- معذرة على إزعاجك وإلهائك عن شغلك. دعاها بكفّه للجلوس وأخرج من جيبه صورة عرَضَها عليها. كنت أريد، في إطار التحقيق الذي نقوم به الآن، أن أسألك إن كان قد سبق لهذا الشخص أن زار محلّكم. قد يعود ذلك إلى حوالي السنتين.

تأمّلت السيدة هامادا الصورة مُطوّلاً ثم نفت برأسها.

- يُوحي لي هذا الوجه بشيء ما، لكن الأمر يقف عند هذا الحدّ. أنت تعلم أنّ لنا زبائن كُثُر، ولا أسمح لنفسي بإطالة النّظر في وجوههم!

سبق له أن سمع مثل هذا الجواب في المحلّات الأخرى.

- مفهوم. أعتقد أنّ هذا الرجل كان يأتي هنا مرفوقاً بامرأة شابة.

ابتسمت وهزّت رأسها.

- كدأب الكثير من زبائننا! أجابت وهي تضع الصورة على المائدة.

ردّ كوساناغي على بسمتها ببسمة منه، واعياً بلا جدوى جهوده، وغير مُتفاجئ بجوابها.

- أليس لكَ أسئلة أخرى؟

- كلّا. أشكرك على تعاونك.

في أثناء نهوض السيدة هامادا مُنصرفة أقبلت النادلة حاملة

الشاي الذي طلبه. وكانت تهمّ بوضع الفنجان على المائدة عندما رأت الصورة.

- أوه! معذرة! قال المفتّش وهو يُمسك بها.

وبدل أن تضع الشاي طفِقت تنظر إليه وهي ترمّش عينيها.

- أتعرفين هذا الرجل؟ سألها.

- هل حصل له شيء؟

عرض كوساناغي الصورة عليها.

- أتعرفينه؟

- لا أقول إنني أعرفه... لكنه زبون.

بدا أنّ السيدة هامادا سمعتها لأنها عادت في اتجاهها.

- حقّاً؟

- أجل. لا أعتقد أنني مخطئة. لقد رأيته مرّات عديدة.

كانت نبرتها مُتردّدة، لكن بدا أنها واثقة ممّا تقول.

- أيُمكنني طرح بعض الأسئلة على مستخدمتكم؟

- أوه... أجل، بالطبع.

وانصرفت لاستقبال زبائن جدد.

أجلَسَ المفتّش المرأة الشابة قُبالته.

- متى رأيتِ هذا الشخص؟

- كانت المرّة الأولى منذ حوالي ثلاث سنوات. كنت قد بدأت اشتغالي في المحلّ ولم أكن أعرف أسماء كلّ أنواع الشاي فلم أفهم أيها يُريد. لهذا السبب أتذكّره.

- كان بمفرده؟

- كلّا، كان يأتي دائماً بصحبة زوجته.

- زوجته؟ ما هيأتها؟

- كان لها شعر طويل وجميلة وقد تكون امرأة خُلاسية.

لا يُمكن أن تكون أياني لأنّ جمالها يابانيّ محض، أسرّ كوساناغي لنفسه.

- في أيّ سنّ هي؟

- بداية الثّلاثينيات، أو أسنّ قليلاً.

- هما أخبراك أنهما مُتزوجان؟

نفت النادلة برأسها.

- لكنهما أعطياني الانطباع بذلك. كانا يبدوان متفاهمين جدّاً ويأتيان أحياناً بعد التسوق.

- ولا تتذكّرين شيئاً آخر بشأن هذه المرأة؟ إنّ لكلّ تفصيل فائدته.

بدا أثر انزعاج في عينيها فتساءل كوساناغي في سرّه ما إن كانت نادمة أنْ أخبرته بأنها تعرف الرجل الذي في الصورة.

- قد لا أكون إلّا مُتوهّمة، شرَعَت تقول ببطء، لكنني أعتقد أنها ترسم صوراً أو شيئاً من هذا القبيل.

- ترسم صوراً؟ رسّامة تقصدين؟

نكّست رأسها مُفكّرة.

- كانت في يوم قد أقبلت حاملة حافظة كارتونية لرسومات بهذا الحجم تقريباً، قالت وهي تُباعد كفّيها بحوالي ستّين سنتيمتراً تقريباً.

- ألم ترَيْ ما فيها؟

- لم أرَ ما فيها، أجابت وهي تُطرق برأسها.

تذكّر كوساناغي ما سبق لهيرومي واكاياما أن أخبرته به من أنّ يوشيتاكا ماشيبا كان على علاقة قديمة بامرأة لِعمَلِها علاقةٌ بالطّبع والنّشر.

قد يكون ألْبومَ رسومات، وكان السيد ماشيبا قد دقّق بأنه يعتبر التّعليق على ذلك مُتعباً، بيد أنّ التعليق على ألبوم رسومات أمر يسير، فكّر كوساناغي.

- ألا تتذكّرين أيّ شيء آخر؟

أمالت النادلة رأسها جانباً وألقت عليه نظرة فاحصة.

- ألم يكونا مُتزوّجين؟

- لا، لا أعتقد، لماذا تسألين؟

- لا شيء ذا بال، أجابت واضعة كفّها على خدّها. يبدو لي أنّني سمعتهما يتحدّثان عن الأطفال وعن رغبتهما في الإنجاب سريعاً. لكنني لستُ على يقين كامل من ذلك. قد أكون خلطت بينهما وبين رجل وامرأة آخرين.

لم تكن قد غيّرت نبرتها فأسرّ كوساناغي لنفسه أنها تتمتّع حقّاً بذاكرة قوية، وأنها لا تخلط بينهما وبين آخرَين. إنهما بالتأكيد يوشيتاكا ماشيبا والمرأة الشابة التي كان على علاقة بها عندئذٍ. ها أنذا أحصل أخيراً على شيء، فكّر بقليل من الإثارة.

شكرها وتركها تعود إلى عملها. حمل فنجان الشاي إلى شفتيه. استطابَ النكهة الرائقة للسائل الدافئ الناتجة عن التوابل وعن طلاوة مذاق الحليب.

شرب نصف الفنجان وجعل يُفكّر في الطريقة التي سيستطيع بها تحديد هوية هذه المرأة المجهولة، فسمع رنين هاتفه. قرأ مُندهشاً اسم يوكاوا على الشاشة وأجاب آخذاً في اعتباره وجودَ زبناء آخرين بجانبه.

- هذا أنا، يوكاوا. هل أجدُ لديكَ بعض الوقت؟

- أجل، لكنني في مكان أجدني فيه مُجبراً على الحديث بصوت خافت. يا للمفاجأة! أنت نادراً ما تتّصل بي، ففيمَ فعلت اليوم؟

- أنا مُحتاج للحديث معك. هل بإمكاننا أن نلتقي اليوم؟

- إن كان لذلك فائدة، فهو ممكن.

- اسمع، سأحكي لك كلّ شيء عندما نلتقي، لكن اعلم أنّ لذلك علاقة بتحقيقك.

تنهّد كوساناغي.

- هل أنت شارعٌ في تبييت أمر ما من جديد مع أوتسومي؟

- أتّصل بك لأنني لا أنوي القيام بما تقول. هل يُمكننا أن نلتقي أم لا؟

أبدى كوساناغي بسمة، فصديقه لم يستطِعْ منع نفسه من الحديث ثانية بنبرته السلطويّة.

- نعم، لكن أين؟

- أترك القرار لك، وإن كان مُمكناً ففي مكان لا يُسمح فيه بالتدخين، قال من دون مواربة.

تواعدا على اللّقاء في مقهىً قريب من محطّة شيناغاوا، غير بعيد عن الفندق الذي تنزل فيه أياني، لأنّ كوساناغي فكّر في أن يطرح عليها بعض الأسئلة حول المرأة الرسامة إن أسعَفه الوقت بذلك عقب جلسته مع رجل الفيزياء.

وصل يوكاوا قبله فجلس إلى مائدة بعمق الفضاء الخاصّ بغير المدخّنين وشرع يقرأ أمراً ما. ورغم أنّ الخريف كان في أواخره، خلع سترته الجلدية السوداء التي لم يكن تحتها سوى قميصٍ من دون كمّين.

اقترب كوساناغي من مائدته وجعل ينظر إليه صامتاً، لكن صديقه لم يرفع رأسه إليه.

- ما الذي تقرأه بكلّ هذا الاهتمام؟ سأله وهو يسحبُ مقعداً.

أشار الفيزيائيّ إلى المجلة بإصبعه، دون أن تبدو عليه أدنى مُفاجأة.

- مقال عن الديناصورات، يتحدّث عن التصوير الإشعاعي المطبّق على أحافيرها.

ورفع بصره نحو صديقه.

- هي مجلة علمية، إن أجدت الفهم. لكن في أيّ شيء ينفع تطبيق التصوير الإشعاعي على عظام الديناصورات.

- مَن تحدّث عن العظام؟ إنّها الأحافير، قال يوكاوا وقد رفع رأسه نحوه مُعدّلاً وضع نظّارته بإصبعه.

- أليس الأمر سيان؟ أُحفور حيوان أليس هو عظامه؟

ابتسم رجل الفيزياء وهو يُضيّق عينيه خلف نظّارته.

- أنت لا تُخيّب أملي أبداً! تكون إجاباتك دائماً كما أنتظر.

- لدي الانطباع كأنّك تستهزئ بي.

حضر النادل فطلب عصير طماطم.

- يا له من اختيار غريب! أتكون مهموماً بصحّتك؟

- أبداً، فقط لا رغبة لي في الشاي ولا وفي القهوة. لكن أخبرني بما تُريد قوله لي بدل أن تستمر في كلام عقيم.

- كان بودّي بالأحرى أن أُحدّثك قليلاً عن الأحافير، لكن لا حظّ لك في ذلك، أجاب يوكاوا وهو يحمل فنجانه. هل علمت بنتائج المختبر الخاصّة بموضوع إمكانية إلصاق السّم داخل الغلاية؟

- أجل، فالخدعة التي كنتَ فكّرت فيها، لو نُفّذت لكانت

تركت آثاراً. ليس مُمكناً إذاً أن يكون الأمر كما تصوّرتَ، ما يعني أنّ حتى عالِمنا غاليليو يُمكنه أن يُخطئ أيضاً.

- ليس علمياً في شيء أن يُقال إنّ احتمالاً ما لا وجود له. وأنا آسف على تأكيدك أنني قد ارتكبت خطأ، لأنني إنّما صُغت فرضية غير صحيحة. حسناً، أنا أُسامحك، ما دمتَ لست علمي الميول.

- ألا تعتقد أنّه يحسن بك أن تُقرّ بهزيمتك وتتحدّث بطريقة أكثر وضوحاً؟

- لا أعتقد أبداً أنّني قد خسرت أيّ شيء، بل على العكس أنا أعرف الآن أنّ هذه الفرضية خاطئة. لا بدّ من التصرّف بالإقصاء، وأنا الآن متأكّد أنّ السّم لم يُدسّ في القهوة بهذه الطريقة.

- أتى النادل بعصير الطماطم فشَرِبَه كوساناغي من دون استعمال القشّة. وبعد كلّ ما كان شربه من شاي وجد طعمه سائغاً في فمه.

- ليس هناك إلّا طريقة واحدة ممكنة، وهي أن يكون شخص ما قد دسّ السّم في الغلاية. إمّا هيرومي واكاياما أو شخص دعاه يوشيتاكا ماشيبا يوم الأحد.

- أتُنكر إمكانية أن يكون خُلط بماء القنينة؟

قطّب المفتش ملامحه.

- أنا أُصدّق التّقنيين والمعهد العلميّ، وهم لم يعثروا على أثر له في قنينة الماء، فالسّم لم يُخلط إذاً بالماء.

- ترى كاورو أوتسومي أنّ القنينة قد تكون غُسلت.

- أعلم. وهي تعتقد أنّ الضحية من الممكن أن يكون قد غسلها؟ أنا مُستعدّ للمراهنة على ألّا أحد يغسل قنينة ماء قبل الإلقاء بها.

- لكنّ هذا الاحتمال وارد.

تنفّس كوساناغي بأنفه بصوت مسموع، قائلاً:

- هل أنت مُستعدّ للمراهنة على هذا؟ أنت حرّ، أما أنا فأكثر تعقّلاً بالأحرى.

- أوافقك أنّ من حقّك أن ترى ذلك، ويجب على أيّ حال ألّا نُهمل أيّ شيء. هذا المبدأ موجود أيضاً في مجال الفيزياء، قال يوكاوا، وهو يحدجه بنظرة. أُريد أن أطلب منك أمراً.

- ما هو؟

- أريد العودة إلى بيت آل ماشيبا، ألا تُريد أخذي إليه؟ أنا أعلم أنّ في حوزتك مفتاحاً.

نظر كوساناغي في عيني صديقه الذي يُفاجئه هذه المرّة أيضاً.

- لأيّ غرض؟ ألم يسبق لك أن زرته برفقة أوتسومي؟

- لم تكن وجهة نظري آنذاك هي نفسها.

- وجهة نظرك؟

- طريقتي في التفكير، إن شئتَ القول. فلربّما أكون قد ارتكبت خطأ، لذلك أُريد التأكّد.

جعل كوساناغي ينقر بأصابعه على المائدة.

- فسّر لي قصدك.

- سأُخبرك بذلك إن عاينتُ خطئي في بيت آل ماشيبا. وسيكون في ذلك خيرٌ لك.

اتّكأ المفتّش على مسند المقعد وتنهّد.

- لكن ما الذي تتآمر به؟ هل اتّفقت مع أوتسومي على شيء؟

- أتّفق معها؟ فيمَ تاه خيالُك! قال يوكاوا ضاحكاً. أنت مُخطئ فيما تتصوّر. إنني أهتمّ بهذا اللغز لأنه يُؤجّج فضولي العلميّ. وإن

كَفَّ عن أن يكون كذلك لن أعود للاهتمام به، لذلك أُريد العودة إلى بيت آل ماشيبا كي أستطيع أخذ القرار.

تفحّص كوساناغي بنظرة طويلة يوكاوا الذي بدا أنه لم يُعِرْها أيّ اهتمام.

لم يفهم المفتّش شيئاً ممّا يُفكّر فيه صديقه، لكنه اعتاد على ذلك، وغالباً ما وثق فيه في وضعيات مثل هذه ولم يندم قطّ على ذلك.

- سأتّصل بالسيدة ماشيبا، قال وهو يُخرج محموله من جيبه ونهض.

ابتعد عن المائدة وركّب رقمها، ولمّا أجابته سألها وهو يُخفي فمه بكفّه إن كانت تأذن له بزيارة منزلها من جديد.

- أنا آسف على إزعاجك مرّة أخرى، لكننا نُريد التأكد ثانية من أمر.

سمع أياني تتنهّد بخفوت.

- لا داعي للأسف، ولا يُمكنني إلّا أن أُبدي موافقتي إن كان ذلك في صالح التحقيق.

- شكراً لكِ، وسأستغلّ الفرصة لسقي النبات.

- هذا لطف منك. أنا ممتنة لك.

أقفل الخطّ وعاد في اتّجاه يوكاوا الذي كان يرمقه باهتمام.

- أتريد أن تقول لي شيئاً؟

- لماذا احتجت لمغادرة المائدة حتى تتصل بها؟ هل قلت لها أشياء لم تكن تودّ أن أسمعها؟

- بالطبع لا. لقد أذنَت لي بزيارة المنزل، هذا كلّ ما في الأمر.

- امممم.

- أيزعجك ذلك؟

- بالمرة. كنت تبدو عن بُعد مثل ممثّل شركة يتّصل بزبون. هل تتوتّر أعصابُكَ إلى هذه الدرجة؟

- سأزور بيتها في غيابها، أليس من الطبيعي أن أستأذنها؟ قال كوساناغي معلّقاً وهو يمدّ كفّه للفاتورة. هيا، الوقت متأخّر.

استقلّا سيارة أجرة من أمام المحطّة، ففتح يوكاوا مجلّته العلمية.

- قلت قبل قليل إنّ أحافير الديناصورات هي كلها عظام، لكنّ الخلط بين الأمرين يمكنه أن يقود إلى خطأ فادح. إنه الخطأ نفسه الذي أدّى بعلماءِ حفرياتٍ إلى إفساد موارد ذات قيمة عالية.

ها هو ذا قد بدأ من جديد، أسرّ كوساناغي لنفسه موطّناً العزم على مسايرته.

- ومع ذلك، فما نراه في المتاحف من أحافير ديناصورات هو دائماً عظام.

- أجل، ففيما مضى لم يكونوا يحتفظون إلّا بالعظام ويُلقون بالباقي.

- ماذا تقصد بالباقي؟

- يحفر أحدهم ثقباً في الأرض فيعثر على عظام ديناصور ويُواصل المتخصصون الحفر، سعداء، ويُخرجون الأحافير من الأرض ويُنظّفونها بعناية بالغة ليُعيدوا تشكيل هياكل عظمية جميلة، ويقومون بعد ذلك بإبداء ملاحظات على فكّ التّيرانوصورات[1]

---

(1) نوع من الديناصورات.

وقوائمها القصيرة وأمور أخرى. لكنّهم كانوا بذلك يرتكبون خطأ فادحاً. وفي سنة 2000 صوّر مجموعة من الباحثين بالمسح الإشعاعي ما أخرجوه من الأرض دون أن يُزيحوا الغشاء الترابي الذي يلفّ الأحافير بهدف الحصول على صورة ثلاثية الأبعاد للبنية الداخلية للكتلة، فرأوا قلب الديناصور. كان التراب الموجود بين العظام، والذي كان من قبل يُنظّف، يحفظ الأنسجة والأعضاء، إن شئتَ، التي كانت للديناصورات في حياتها. وقد أصبح اليوم تصوير أحافير الديناصور بالمسح الإشعاعيّ أمراً روتينياً لدى علماء الحفريات.

- أوه... صوّت كوساناغي بصوت بهيم. هذا مُفيد جدّاً، أنا أعترف بذلك، لكن ما علاقته بتحقيقنا؟ أتحكي لي هذا فقط من أجل المتعة؟

- عندما قرأت هذا أوّل مرّة حصل لي الانطباع وكأنه خُدعة غريبة شُكّلت على مدار آلاف السّنين. لا أحد بإمكانه أن يلوم علماء الحفريات على استخلاصهم عظام الديناصورات من أغشيتها الترابيّة، وكان طبيعياً التفكير في أنه لا يبقى منها إلّا العظام. وبوصفهم باحثين، كان من الطبيعيّ أيضاً أن يصنعوا نماذج لهياكل عظمية مرموقة. لكن الغشاء الترابيّ يحوي معلومات كانوا يتخلّصون منها ظانّين أنها بلا فائدة، قال يوكاوا وهو يُغلق مجلّته. أقول أحياناً إنّ علينا التصرّف بالإقصاء. إنّ إقصاء الفرضيات الواحدة بعد الأخرى يسمح بكشف الحقيقة. لكنّ بناء فرضية على خطأ مركزيّ يُمكن أن يُؤدّي إلى نتائج خطيرة. بإمكان ذلك أن يُؤدّي إلى وضعية شبيهة بما كان يقوم به علماء الحفريات في حقّ أحافير الديناصورات، فيتمّ إقصاء الأهم.

استنتج كوساناغي أنّه يُحدّثه عن أمور ليست منبتّة الصّلة بتحقيقه.

- تُريد أن تقول إننا لا نُقارب بالشاكلة المطلوبة مُشكلة دسّ السّم؟

- أُريد التحقّق من ذلك، فمُرتكب الجريمة على ما يبدو يملك خصالاً علمية حقيقية، قال يوكاوا وكأنّه يُحدّث نفسه.

كان منزل آل ماشيبا يبدو في مظهر المسكن المهجور. أخرج كوساناغي المفتاح من جيبه. كان يوجد منه نسختان فعهدت له أياني بواحدة عندما حَمَلهما لها إلى الفندق قائلة إنّ الشرطة قد تحتاج المفتاح من جديد وهي لا تتوقّع في الأمد القريب أن تعود إلى بيتها.

- لقد تمّت مراسم الدفن، أليس كذلك؟ أليست لها نية في إقامة شعائر في منزلها من أجل راحة روح زوجها؟ سأل يوكاوا وهو يخلع نعله في المدخل.

- لم تُحدّثني في ذلك، كما أنّ زوجها لم يكن ينتمي إلى أيّ معبد، ولم تُقم له جنازة دينية. لقد أُحرق جُثمانه وهي لم تُرتّب لطقسٍ يُقام في اليوم السّابع لوفاته.

- هكذا... يبدو سلوكها عقلانياً، وأرجو أن يتصرّفوا معي هكذا عندما أموت.

- لمَ لا؟ لا تحمل همّ ذلك، سأهتمّ بالأمر.

ما أن دخلا المنزل حتى تقدّم يوكاوا في الممر من دون أدنى تردّد. صعد كوساناغي السّلم وفتح باب غرفة نوم الزوجين ماشيبا. دفع بعد ذلك باب النّافذة المفضي إلى الشّرفة وأمسك بالرّشاش الكبير الموضوع بقرب الأغراس والذي كان قد اشتراه من محلّ الأشياء القديمة يومَ أن كانت أياني قد طلبت منه سقي نباتاتها.

عاد إلى الطابق السفلي يحمله في يده ومرّ من غرفة الاستقبال إلى المطبخ فرأى يوكاوا يُفتّش تحت المغسل.

- ألم يسبق لك أن نظرتَ في هذا المكان من قبل؟ سأل واقفاً خلفه.

- ألا يُقال في مهنتكم إنّ العودة لا تتمّ بكثرة إلى مكان الجريمة؟ أجاب صديقه وهو يُنقّل ضوء مصباح الجيب الذي حرص على الإتيان به. لا وجود بالفعل لأيّ أثر يدلّ على أنّ شخصاً ما لمس المكان.

- ما الذي تبحث عنه بالضبط؟

- أنا أبدأ من جديد حتى أتفادى الوقوع في خطأ إقصاء الغشاء الترابيّ. التفت نحوه وبدا التساؤل في عينيه لمّا لمح الرشاش. ما هذا؟

- ألم يسبق لك أن رأيت رشّاشاً؟

- آه، صحيح أنّك كنت طلبت في المرة السابقة من كيشيتاني ريّ النباتات. أيكون غدا لك شعار آخر من أجل الشرطة؟ شيء من قبيل: «نحن نُحسّن باستمرار خدماتنا»؟

- تعتقد أنك خفيف الظّل... أجاب كوساناغي وهو يُزيحه كي يملأ الرّشاش من الصنبور.

- إنه ضخم! ألا يوجد أنبوب بالحديقة؟

- سأستعمله لسقي أغراس الشّرفة.

- حظّاً موفّقاً! قال يوكاوا ساخراً.

غادر كوساناغي المطبخ عائداً إلى الطّابق العلوي لسقي النّبات. هو يجهل أسماء غالبيتها، لكنه يملك ما يكفي من المعرفة بالورود كي ينتبه إلى أنها ليست في حالتها الجيدة. يُستحسن المجيء كلّ

يومين لريها. كانت أياني قد أخبرته أنها حريصة بالخصوص على ورود الشّرفة.

أعاد إغلاق الباب الزجاجي عندما أنهى سقيها وغادر غرفة النّوم. حتّى وهو يوجد في المنزل بإذن من مالكته، لم يكن يُحبّ البتة أن يوجد في غرفة نوم شخص آخر.

كان يوكاوا لا يزال في المطبخ بالطابق السفليّ. وجده يُراقب ما أمامه، واقفاً قُدّام المغسل مُشبّكاً ذراعيه.

- أخبرني الآن عمّا تبحث عنه! قل لي فيمَ تُفكّر. إن رفضتَ أن تُجيبني لن أعود أبداً لتقديم هذا النوع من الخدمات لك.

- خدمات؟ قال الفيزيائيّ مُتعجّباً وهو يرفع إحدى حاجبيه. أنت ترى الأمور بهذه الطريقة! لو لم تكن زميلتك المفتّشة الشابة قد أتت باحثة عني لما كنتُ لأتدخّل في حكاية هي على هذا القدر من الإزعاج.

بادله كوساناغي نظرة بنظرة، وهو يضع كفّيه على وركيه.

- أجهل ما قد تكون أوتسومي حَكَته لك، لكنني لا شأن لي في ذلك، وكان بإمكانك على أيّ حال أن تطلب منها مُصاحبتك اليوم إلى هنا، لماذا اخترتني أنا؟

- لأنّ من المفيد تبادل الحديث مع شخص يختلف معنا في الرّأي.

- تختلف معي في الرّأي؟ لكن ألم تقُل لي قبل قليل إنك تجد اختياري عقلانياً؟

- أنا لست مُعترضاً على الطريقة التي تتصرف بها، لكنني لست مُتفقاً على فكرة استبعاد خيار لا يبدو معقولاً. لا يجب إقصاء

احتمال حتى لو كان يبدو قليلَ احتمالِ الوقوع. من الخطورة بمكان ألّا نرى إلّا الهيكل العظميّ للدينوصور والإلقاءُ بالغشاء الترابي.

حرّك كوساناغي رأسه مُغتاظاً.

- لكن ما هو الغشاء في حالتنا؟

- الماء! قال يوكاوا. به مُزج السّم، وأنا لم أُغيّر رأيي في هذا الموضوع.

- تقصد أنّ الضحية كان قد غسل القنينة؟ سأل كوساناغي وهو يرفع كتفيه.

- لا دخل لقنينة الماء في هذا. الماء يوجد في أشكال أُخرى، قال يوكاوا مُفسّراً وهو يُشير إلى المغسل بإصبعه. فهذان الصنبوران بإمكانهما مدُّنا بما نشاء منه أيضاً.

- هل أنت جادّ؟ قال كوساناغي وهو يُميل رأسه جانباً مُتحمّلاً النظرة المثلجة لصديقه.

- الأمر ليس مُستحيلاً.

- لقد أكّد التقنيون أنّ ماء الصنبورين كان عادياً.

- أنا لا أُنكر أنهم حلّلوه، لكنهم قاموا بذلك ساعين للتأكّد مما إذا كان ماء الغلاية من ماء القنينة أم من ماء الصنبور. ولم يستطيعوا الوصول لذلك على الأرجح لأن الغلاية كثيراً ما استُعملت فغدا جدارها الداخلي مُغشّىً بترسّبات ماء الصنبور.

- أجل، لكن لو كان السّم قد خُلط بماء الصنبور أما كانوا ليُلاحظوا ذلك؟

- إن دفعنا بأنّ السّم كان قد دُسّ في ماء الصنبور، من الممكن أن يكون قد اختفى لحظةَ أخذِ التقنيين للعينات.

فهم كوساناغي لماذا كان يوكاوا يولي كلّ ذلك الاهتمام لما هو موجود أسفل المغسل؛ كان يسعى للتحقّق مما إذا لم يكن السّم قد دُسّ في الأنبوب المؤدّي إلى الصنبور.

- لم يكن الضحية يستعمل إلّا ماء القنينة في إعداد قهوته.

- أجل، أعرف. لكن مَن بإمكانه تأكيدُ ذلك.

- زوجتُه، قال كوساناغي قبل أن يعضّ شفتيه وهو يتفرّس في وجه رجل الفيزياء. لكن أتشتبه بها أنت أيضاً؟ بيد أنّك لم يسبق لك قطّ أن التقيت بها. هل انسقت مع تأثير أوتسومي؟

- أنا لا أُنكر أنّ لأوتسومي وجهةَ نظرها في هذا الموضوع، لكنني لا أبني فرضياتي إلّا على حقائق موضوعية.

- وهل زوجة الضحية، في فرضيتك، جانية؟

- أتساءل عن سبب حديثها لكم عن ماء القنينة، وأرى أنّ هناك حالتين مُحتملتين. هي على حقّ في الحالة الأولى وأنّ الضحية لم يكن يشرب إلّا ماء القنينة، وهي كاذبة في الثانية. إن كانت تقول الحقّ، فلا مُشكل، لأنّ ما قالته إنّما يعكس انشغالها الوحيد وهو التعاون في التحقيق، غير أنّ المفتّشة أوتسومي مُستعدة للاستمرار في الاشتباه فيها حتى لو لم تكن تكذب، لكنني لست مُتحيّزاً بقدر تحيزها. بيد أنّ المشكل الحقيقيّ يكمن فيما إذا كانت تكذب، لأنّ ذلك سيعني أنها متورّطة في الجريمة وأنّ من صالحها أيضاً أن تكذب. ففكّرتُ إذاً في الطريقة التي تصرّفَت بها الشرطة عندما علمت أنّ الضحية لم يكن يشرب إلّا ماء القنينة.

قطع يوكاوا كلامه ليُمرّر لسانه على شفتيه، ثم واصل قائلاً:

- بدأتم بالتأكّد من أنه ليس في الماء المعدنيّ أثر للسّم، في حين عثرتم على شيء منه في الغلاية، فاستنتجتم من ذلك أن

احتمالية أن يكون الفاعل قد وضع السّم مباشرة في الغلاية مُرتفعةٌ، وهو ما يُمكّن السيدة ماشيبا من حجّة لا تُضام.

حرّك كوساناغي رأسه بقوة.

- ما تقوله ليس صحيحاً إلى تلك الدرجة. فتقنيونا لم ينتظروا شهادة السيدة ماشيبا لتحليل ماء الصنبورين وماء القنينة. وما كانت قد صرّحت به لنا من كون زوجها لم يكن يشرب إلّا من ماء القنينة يُضعف حجّتها، وأوتسومي لم تتخلَّ عن فكرة كون السّم قد خُلط بماء القنينة.

- هذا بالضبط ما أريد قوله، وأوتسومي ليست الوحيدة التي تتبنّى هذه الفكرة. وقد حصل لي أن فكّرتُ في أنّ هذه الشهادة حول ماء القنينة قد تكون فخّاً نُصب لأوتسومي وللأشخاص الذين يتفقون معها فيما تراه.

- فخّ؟

- إن الذين يشتبهون في زوجة الضحية لا يستطيعون التخلّي عن احتمال أن يكون السّم قد خُلط بماء القنينة، لأنهم لا يرون احتمالاً آخر. لكن إن كانت قد استعملت طريقة أخرى فإنّ الأشخاص المركّزين على الماء المعدنيّ لن يصلوا إليها أبداً. ما هذا إن لم يكن فخّاً؟ وقد قلت لنفسي، إنها إن لم تكن قد استعملت ماء القنينة، فإنها إذاً. . .

قطع يوكاوا كلامه وفتح عينيه على سعتهما وهو ينظر إلى مكان خلف كوساناغي.

التفت المفتّش فغدا اندهاشه كاندهاش رجل الفيزياء.

كانت أياني واقفة في مدخل غرفة الاستقبال.

16

أحسّ كوساناغي أنّ عليه قولَ شيء، ففتح فاه:

- طاب نهارك سيدة ماشيبا. . . معذرة على الإزعاج. .

لكنّه سُرعان ما ندم على ما قاله.

- هل أتيتِ لتُعايني ما نقوم به؟

- كلّا، أبداً. . . فقط احتجت بعض الملابس. مَن هذا السيد؟

- اسمي يوكاوا، أُدرّس الفيزياء في جامعة تايتو.

- أستاذ جامعي؟

- نحن صديقان، ويُساعدني أحياناً في التحقيقات العلمية. وقد طلبت منه مُصاحبتي اليوم.

- آه. . . مفهوم.

لم يبدُ عليها الاقتناع الكامل بتفسيرات كوساناغي، لكنها لم تطرح أسئلة أخرى بخصوص يوكاوا، ثم سألت:

- هل يُمكنني الآن التصرّف كما أشاء في المنزل بلا خشية من أن أُعرقل التحقيق؟

- بالطبع. تصرّفي كما تشائين. وأُكرّر اعتذاري على استمرارنا في إزعاجك.

- لا إزعاج أبداً، أجابت أياني وقد توقّفت في اللحظة التي

كانت تهمّ فيها بمغادرة الغرفة، والتفتت نحو كوساناغي. لا أدري إن كان يحقّ لي أن أسأل عن هذا، لكن لَمَ أتيتم اليوم؟

- أوه... حسناً... ومرّر كوساناغي لسانه على شفتيه. نحن لم نصل بعد إلى تبين الطريقة التي دُسّ بها السّم، فأردنا التحقّق من جديد. أنا آسف حقّاً على الاستمرار في إزعاجك.

- لا إزعاج البتة. لا تعتقد بالخصوص أنني ألومكم على هذا. حسناً، سأصعد ولا تتردّدا في المناداة عليّ إن احتجتماني.

- سأفعل. شكراً لك، قال كوساناغي وهو يُنكّس رأسه.

- هل تسمحين لي بسؤال؟ قال يوكاوا بغتة وهو يقف بجانب كوساناغي.

- أجل، بالطبع، أجابت أياني بملامح مُتسائلة.

- هناك مصفاة في الصنبور الثاني، أليس كذلك؟ أعتقد أن من الضروري تغييرها بانتظام، فهلّا تفضّلت بإخباري متى قمتم بذلك آخر مرة؟

- أوه، في الحقيقة... شرعت تقول، عائدة في اتجاههما، عيناها مُحوّلتان جهة المغسل، بادٍ عليها الانزعاج. لم أُغيّرها أبداً.

- هكذا! ولو مرة واحدة! قال يوكاوا مُتعجّباً، ما أدهش كوساناغي.

- كنت أقول إنّ وقت تغييرها حان. تعود المصفاة الحالية إلى تاريخ انتقالي لهذا البيت منذ سنة، وكان التّقني الذي ركّبها قد أخبرنا بضرورة تغييرها مرّة كلّ سنة.

- وهذه توجد هنا منذ سنة... مفهوم.

- أيطرح هذا مُشكلاً؟

- لا، لا، أجاب يوكاوا مُرفقاً نفيه بحركة من كفّه. سألتك عن

ذلك فقط كي أتأكّد. لكن عليك استغلال هذه الفرصة لتغييرها لأنه ثبت أنّ المصافي القديمة قد تكون ضارّة.

- سأهتمّ بالأمر. عليّ قبل ذلك تنظيف أسفل المغسل لأنني متأكّدة من أنّه وسخ.

- كلا، هكذا يكون الأمر دائماً أسفل المغاسل! ففي هذا المكان من مختبري تُقيم الصراصير أعشاشها. أوه! معذرة على مُقارنة مختبري بمنزلك، لكن... وقطع كلامه وألقى نظرة على كوساناغي. لو سلّمتِنا هاتف الشركة وعنوانها لَجَعلهُم كوساناغي بالتأكيد يأتون حالاً. من الأحسن التعجيل بتنظيف أسفل المغسل.

ألقى المفتّش نظرة اندهاش على صديقه، لكنّ يوكاوا لم يحفَل به وبنظرته، مُثبّتاً بصره على أياني، وسألها:

- هل أنت موافقة؟

- تقصد الآن؟

- أجل، والحقّ أنّ ذلك سيكون في صالح التحقيق. علينا ألّا نُضيع مزيداً من الوقت.

- إن كنت متأكّداً من ذلك، لا أرى بأساً فيه.

أصدر يوكاوا بسمة وولّى بنظرته تُجاه كوساناغي.

- أسمعت؟

رشقه كوساناغي بنظرة صاعقة، بيد أنّه يعلم أنّ رجل الفيزياء لا يتحدّث من فراغ ومن الفروض أن يكون أمر ما يدور في دماغه، ورُبّما كان ذلك في صالح التحقيق حقّاً.

التفت المفتّش جهة أياني.

- هل يُمكنك تسليمي هاتف الشركة وعنوانها؟

- حالاً، سآتي بهما.

غادرت المطبخ وتبعها كوساناغي ببصره قبل أن يرمي صديقه بنظرة سوداء جديدة.

- أرجوك ألّا تعود إلى التقدم بمثل هذه الطلبات المباغتة من دون استشارتي.

- لم يكن أمامي وقت للقيام بما تقول، لا حيلة لي في ذلك. وبدل أن تتذمّر يحسن بك أن تقوم بما يجب عليك القيام به.

- وما هو؟

- اتّصل بتقنييك. أنت لا تُريد على ما أعتقد أن يُدمر الرجال الذين يُغيّرون المصفاة قطعة هي بهذه القيمة. يُستحسن أن يُزيح المصفاة رجال من تقنييكم.

- تُريد أن يأخذوها لتحليلها؟

- أجل، هي والأنبوب، قال يوكاوا.

وبينما كان كوساناغي يُجهد نفسه ليعثر على كلماته، مصعوقاً بالالتماعة الباردة لنظرة صديقه، أقبلَت أياني.

بعد ساعتين كان تقنيا الشرطة العلمية قد فكّكا المصفاة والأنبوب المتّصل بها. كان كوساناغي قد راقبهما وهما يقومان بعملهما، واقفاً إلى جانب يوكاوا. وضع التقنيان العنصرين المغبرّين في علبة بلاستيكية شفّافة.

- سنحملهما إلى المختبر، قال أحد التّقنيين.

- حسناً، أجاب كوساناغي.

كان المستخدم المكلّف بتركيب المصفاة الجديدة قد أقبل سلفاً. تابعه كوساناغي وهو يبدأ عمله ثم عاد إلى قاعة الاستقبال حيث جلست أياني بادٍ عليها الإرهاق وقد وضعت إلى جانبها حقيبة

السّفر بملابس أخذتها من غرفتها، فبدا ألّا نية لها في العودة للاستقرار في بيتها الآن.

- لم أكن أعلم أنّ الأمور ستتخذ هذا المنحى. أنا آسف.

- لا داعي للأسف. أنا سعيدة أن تكون المصفاة قد غُيّرت في نهاية المطاف.

- لقد حدّثت رُؤسائي عن التكلفة.

- لا داعي، فأنا أحتاج المصفاة، قالت محتجّة، مع إبداء بسمة هاربة اختفت بالسرعة نفسها التي أقبلت بها. أنتم ترون أنها قد تكون استُعملت لدسّ السّم؟

- لا علمَ لنا بشيء. غير أننا سنتأكّد من ذلك لأنه لا يبدو مُستحيلاً.

- إن كان الأمر هكذا، فكيف كان مُمكناً وضع السّم في المصفاة؟

- حسناً... الحقّ أنّ... تمتم كوساناغي وهو ينظر إلى يوكاوا الواقف بباب المطبخ يُراقب عامل التركيب.

ناداه فرأى صديقه يلتفت ليسأل أياني:

- أصحيح أنّ زوجك لم يكن يشرب إلّا الماء المعدنيّ؟

أدار كوساناغي عينيه في اتّجاهها وهو يرى في سرّه أنّ صديقه وقح حقّاً.

- أجل، ولذلك كنت أحرص على أن يكون موجوداً باستمرار في الثلاجة، قالت مُفسّرة وهي ترفع رأسها.

- وإن أجدتُ الفهم، فإنّه كان قد طلب منك أن تستعمليه في إعداد القهوة أيضاً، أليس الأمر هكذا؟

- بلى.

- تناهى إلى مسمعي أنك لم تكوني تفعلين ذلك.

شكّك كوساناغي في سمعه. لا بدّ أن تكون أوتسومي قد أبلغتها بهذه المعلومات السرّية، فطفا المحيا الوقح لزميلته أمام عينيه.

- نعم لم أكن أفعل لأنّ التّكلفة مرتفعة، ألا توافقني رأيي؟ أجابت بطيبة. كما أنني لم أكن أعتقد بأن ماء الصنبور سيئ للصّحة كما كان هو يُؤكّد. وعلاوة على هذا فإنّ إغلاءه يأخذ وقتاً على خلاف ماء الصنبور، ولا أعتقد أنه قد سبق له أن لاحظ شيئاً.

- أنا أتّفق معك. فطعم القهوة من وجهة نظري لا يتغير سواء أُعدّت بماء الصنبور أو بالماء المعدنيّ.

رماه كوساناغي بنظرة ساخرة. فصديقه لم يكتشف إلّا الآن أن القهوة المعدّة على عجل لا حظّ لها. لكنّ يوكاوا لم ينتبه لنظرته، أو قرّر أن يتجاهلها، لأنه واصل بالطريقة نفسها في التعبير:

- ذكّريني باسم تلك المرأة الشابة التي أعدّت القهوة يوم الأحد، أجل، مُساعِدتك.

- هيرومي واكاياما، قال كوساناغي.

- قالت الآنسة واكاياما إنّها قد استعملت ماء الصنبور، مثلكِ، ولم يحدث شيء حينها، ما يجعلنا نفترض أنّ السّم قد يكون دُسّ في الصنبور الثاني لأنّ في مطبخكم صنبورين، أحدهما للماء المُصفّى الذي قد يكون زوجك استعمله لهذا السبب أو ذاك، كأن يكون مثلاً رام اقتصاد الماء المعدنيّ. ومن هنا ضرورة التحقّق من المصفاة.

- أفهم ما تقول، لكن هل تعتقد أنّ بالإمكان وضعَ السّم في جهاز التصفية؟

- الأمر ليس مُستحيلاً على أيّ حال، وسيُخبرنا التقنيون ما إن كان الأمر كذلك.

- إن افترضنا وجود شيء مثل هذا، ففي أيّ لحظة كان بإمكان مُرتكب الجريمة أن يدسّه؟ سألت أياني وهي تُحوّل نظرتها الجادّة في اتّجاه كوساناغي. سبق لي أن أخبرتكم أننا كنا قد استدعينا ضيوفاً للعشاء يوم الجمعة مساء، ولم يكن في جهاز التصفية شيءٌ وقتئذٍ.

- أجل، هذا صحيح، قال يوكاوا. قد يكون السّم دسّ إذاً بعد هذا العشاء. وإن دفعنا بأنّ الشخص المستهدَف بالسّم كان هو زوجك، فلا بدّ أن يكون الجاني قد انتظر غيابك.

- تقصد أنه قد يكون قام بذلك بعد انصرافي، أليس كذلك؟ ما عدا أن يكون الجاني هو أنا.

- بالضبط، قال رجل الفيزياء موافقاً.

- نحن حتى هذه اللحظة نجهل ما إن كان السّم قد دُسّ في جهاز تصفية الماء. أنا لا أعتقد أنّكِ مُلزمة بالتفكير في هذا كله، قال كوساناغي مُتدخّلاً قبل أن ينهض طالباً من صديقه أن يتبعه.

وقف الرجلان في بهو المدخل.

- ما مُرادك ممّا قلته؟ سأل المفتش دون أن يُخفي امتعاضه.

- ماذا تقصد؟

- لا تتظاهر بالغباء. أنت تُحدّثها كما لو كنتَ تشتبه بها. أعلم أنّ أوتسومي طلبت عونك، لكن ليس لك أن تقف في صفّها!

عقد يوكاوا ما بين حاجبيه كأنّه تفاجأ بموقف صديقه واستقبحه.

- أنت تُبالغ! متى وقفتُ في صفّها؟ أنا إنما أتّبع المنطق. اهدأ! السيدة ماشيبا أكثر رباطة جأش منك.

عضّ كوساناغي شفتيه. وعندما أراد أن يُجيب سمعا صوت انفتاح الباب، فخرج العامل الذي ركّب المصفاة الجديدة، ووراءه أياني.

- لقد رُكّبت المصفاة الجديدة، قالت.

- شكراً سيدي، قال كوساناغي للعامل. أما الفاتورة...

- لقد سويتها، لا تحمل همّها، قالت أياني مُقاطعة.

- هكذا! قال بصوت خافت.

انتعل يوكاوا حذاءه ما أن خرج العامل.

- سأذهب، وأنت؟

- سأبقى بعض الوقت. لدي أمر أُريد سؤال السيدة ماشيبا فيه.

- حسناً، إلى اللقاء إذاً، قال وهو ينحني أمامها.

انصرف دون أن يترك له الوقت للرّد، فتنهّد كوساناغي.

- أرجوكِ أن تتجاوزي عن كلماته الرديئة. هو ليس شريراً لكنّه يفتقد للّباقة. إنه غريب الأطوار.

- لا داعي للاعتذار! أنا لم أجده كما وصفتَه، قالت أياني بصوت يعكس مُفاجأتها ممّا سمعت.

- لحسن الحظ.

- يُدرّس بجامعة تايتو، أليس كذلك؟ وأنا التي كنت أتصوّر الأساتذة الجامعيين رجالاً قليلي الكلام، بل خجلين! إنه لا يتوافق البتة مع هذه الصورة.

- يوجد من الجامعيين جميعُ الأصناف! وهو نوع خاصّ من بينهم.

- يبدو أنّك على معرفة وثيقة به.

- أجل. أنا لم أُخبرك بذلك، لكنّنا درسنا معاً، في كليتين مُختلفتين.

عادا إلى غرفة الاستقبال حيث فسّر لها أنه صديق يوكاوا منذ دراستهما الجامعية، إذ كانا ينتميان معاً إلى نادي البدمنتون، وأنّ رجل الفيزياء سبق له أن أعانه في عمله في عدّة مناسبات.

- مفهوم، هذا رائع! يا له من حظّ أن تشتغل مع رفيق دراسة!

- هي الأقدار، بالأحرى.

- ماذا تقول! أنا أغبطك.

- كأن تقضي الليلة عند عودتك لسابورو في نبع ماء حارّ برفقة صديقة طفولة!

- أجل، قالت مُصدّقة على قوله مُصدرة بسمة. أنت يا سيد كوساناغي زرت والديّ، أليس كذلك؟ لقد أخبرتني والدتي.

- نعم ذهبت لزيارتهما، فنحن، رجالَ الشرطة، ملزمون بالتأكّد من كلّ شيء، فلا تَرَيْ رجاءً في ذهابي لزيارتهما نية سيئة.

ابتسمت، واعية بالانزعاج الذي أحدثته لديه بكلامها.

- تفهّمتُ مغزى زيارتك. كان من الضروري معرفة ما إن كنتَ قد ذهبت حقّاً لزيارة والدَي. من الطبيعي إذاً أن تكون قد زرتهما، لا تحمل همّ ذلك.

- أشكرك.

- أمي ترى أنّك كنت ودوداً للغاية، فوافقتُها الرّأي وأخبرتُها أنك تشدّ أزري.

- لكن. . . قال كوسناغي وهو يحمل كفّه إلى أذنه، شاعراً أنّ وجهه غدا من نار.

- وقد قابلتم أيضاً ساكيكو موتوكا، أليس كذلك؟

إنه اسم الصديقة التي رافقتها إلى منبع الماء الحارّ.

- كانت زميلتي هي التي زارتها. وقد أخبرَتها أنها وجدتكِ مهمومة، وبدت لها لياقتك الجسمية أقلّ ممّا كانت عليه قبل الزواج.

ظهرت على محياها بسمة حزينة، كما لو كانت تتذكّر تلك اللحظات، فصدرت عنها تنهيدة.

- أقالت ذلك؟ وأنا التي كنت أعتقد أنّني قد أعطيتها الانطباع بغير هذا... هي تعرفني حقّ المعرفة حتى أنّها انتبهت لحقيقة حالي رغم كلّ شيء.

- ألم تكوني رأيت من المهمّ أن تُحدّثيها عمّا كان زوجك قد أخبرك به لتوّه؟

حرّكت رأسها.

- لا، أبداً. كنت أُريد المرور لشيء آخر... ثم إنّه كان يبدو لي ألّا فائدة من أيّ شيء، لأننا كنّا أنا وزوجي قد اتفقنا قبل الزواج على الطلاق إن عجزنا عن الإنجاب، ولم أكن طبعاً قد أخبرتُ والدَي بذلك.

- لقد فسّر لي السيد إيكاي أنّ زوجك كانت له رغبة قوية في الإنجاب، ولم يكن الزواج عنده إلّا وسيلة لإدراك هذه الغاية. وعليّ أن أعترف بأنني أجد صعوبة في فهم أنّ بعض الناس ينظرون إلى الأمر بهذه الشاكلة.

- أنا أيضاً كنت أرغب في الأطفال وكنت أعتقد أنّ الأمر في غاية السهولة. لكنني كنت أهملت التفكير في هذا الاتفاق، ولم أرَ لحظة واحدة أننا لأننا قضينا سنة كاملة متزوّجين علينا... يكون القدر قاسياً في بعض الأحيان، قالت بصوت خافت وهي تُنكّس

بصرها، قبل أن تعود إلى رفع رأسها نحو مُخاطبها. ألكَ أطفال، يا سيد كوساناغي؟

أصدر بسمة وبادل نظرتها بنظرته.

- أنا أعزب.

فتعجّبت بهدوء:

- أوه! أُعذرني على فضولي.

- كلا، لا بأس بذلك. الناس جميعاً من حولي يقولون لي إنّ من الأفضل أن أكفّ عن التّيه، لكنني لم أعثر بعد على المرأة المناسبة. ويوكاوا أعزب أيضاً.

- ساورني الشّك في ذلك، لأنه يوحي به.

- هو لا يُحبّ الأطفال لسبب غريب: لافتقارهم للمنطق، وهو ما يُتعبه.

- إنه رجل مُهمّ.

- سأقول له هذا. آه نعم، كنت أودّ طرح سؤال حول زوجك.

- ما هو؟

- أتعرفين من بين أصدقائه أو معارفه أحداً يشتغل رسّاماً أو واضعَ صور توضيحية؟

- فنّان، تُريد أن تقول؟

- تماماً. قد يكون شخصاً انقطعت الصّلة بينه وبين زوجك مُؤخّراً. ألم يُحدّثك قطّ في هذا؟

أمالت أياني رأسها جانباً كأنها تُفكّر، ثم رفعت نظرة مُتسائلة نحو كوساناغي.

- أتعتقد بإمكانية أن تكون لهذا الشخص علاقة بوفاته؟

- لا أذهب إلى هذا الحدّ، فنحن كما سبق أن قلت لك نحقّق

حول العلاقات القديمة لزوجك، وقد اكتشفنا أنه كان على علاقة سابقة بامرأة ترسم.

- هكذا! أنا متأسّفة حقّاً لأنّ هذا لا يُذكّرني بشيء. إلى أيّ تاريخ تعود هذه العلاقة على وجه التدقيق؟

- لسنا متأكّدين، لكن ربما إلى سنتين أو ثلاث.

هزّت رأسها ثم أمالته من جديد جانباً.

- أنا آسفة لكنني لا أتذكّر أنّ زوجي سبق له أن حدّثني عنها.

- مفهوم. أنت لا حيلة لك في هذا. ثم نظر في ساعته ونهض. تقبّلي اعتذاري عن إزعاجي لك كلّ هذا الوقت.

- أنا أيضاً سأذهب. سأعود إلى الفندق، قالت وهي تنتصب واقفة، ضاغطة حقيبة السفر بين ذراعيها.

غادرا المنزل معاً، وتكلّفت هي بإغلاق الباب.

- دعيني أحمل حقيبتك. سأُرافقكِ إلى أن تعثري على سيارة أجرة.

شكرته وسلّمته الحقيبة ثم التفتَت نحو المنزل متسائلة بصوتٍ مرتفع ما إن كانت ستعود للعيش فيه يوماً.

لم يعرف كوساناغي بما يردّ، ومشى صامتاً إلى جانبها.

17

يوجد يوكاوا وحيداً في المختبر، بحسب الجدول المعلّق إلى بابه. ووجوده هنا الآن ليس صدفة، وإنّما نتيجة اختيار اتّخذه بعناية.

طرَقَت الباب فطلب منها الدّخولَ صوتٌ حادّ. دفعت الباب فلمحت الفيزيائيّ مشغولاً بإعداد القهوة في إبريق غير الإبريق الكهربائيّ، لكن بمصفاة ورقية.

– ما كان بإمكانكِ أن تَصِلي في وقتٍ أنسب من هذا! قال وهو يملأ فنجانين.

– ألا تستعمل إبريقك الكهربائي؟ يا لها من مُفاجأة!

– أردتُ أن أتَعَالم فاستعملتُ الماء المعدنيّ، قال مُفسّراً وهو يمدّ لها فنجاناً.

شكرته كاورو وارتشفت من الفنجان. لا بدّ أنه قد أعدّها من مسحوق القهوة نفسه الذي كان قد استعمله سابقاً.

– وبعد؟

– ممتازة.

– أحسن من العادة؟

تردّدت لحظة.

– أبإمكاني مُحادثتك بصراحة؟

جلس يوكاوا في يده الفنجان، دون أن يُخفي خيبته.

- لا داعي للإجابة، رأيك مُماثل لرأيي. ثم نظر في محتوى فنجانه. حتى لا أُخفي عنك شيئاً، لقد أعددت قبل قليل قهوة بالطريقة نفسها بماء الصنبور، وكان لها الطعم ذاته، أو على الأقل لم أتبيّن أيّ فرق.

- أشكّ في أن يستطيع أحد تبين هذا الفرق.

- ومع ذلك فإنّ كلّ أساتذة إعداد القهوة يتفقون على أنّ ثمة فرقاً، واصل القول وهو يُمسك بورقة من على مكتبه. يكون ذلك بحسب كثافة الماء التي نحسبها بتحويل مجموع أَيُونَات الكلسيوم وأيونات الماغنزيوم إلى كربونات الكالسيوم. وكلّما كان الرقم أقلّ كان الماء ألطف.

- سمعت حديثاً عن هذا.

- الماء اللطيف السائغ يُلائم المطبخ أكثر، على ما يبدو. الكالسيوم لا يُلائم الأرز؛ فإن كان الماء يحوي كثيراً من الكالسيوم فإنه يذوب مع ألياف الأرز في أثناء الطبخ فيغدو الأرز أشدّ جفافاً.

عقدت كاورو حاجبيها.

- وهو أمر سيّئ.

- وعلى العكس من ذلك، فإنّ الماء الكثيف يُلائم طبخ لحم العجل، لأنّ دم اللحم والعظام يذوب مع الكالسيوم فيشكّل الدّسمَ الذي يطفو على الوجه فيكون سهلاً إزاحته. فكّري في هذا عندما تطبخين لحم العجل لاحقاً.

- أتطبخ؟

- يحصل لي أن أفعل، أجاب وهو يضع الورقة على المكتب.

تخيّلته يقف في المطبخ. من المرجّح أن تكون هيئته وهو يطبخ شبيهة بهيئته وهو يُؤطّر تجربة من تجاربه.

- هل طرأ جديد في قضيتنا؟

- توصّلنا بنتائج التحليل، وقد أتيت لإخبارك بها، قالت وهي تُخرج ملفّاً من حقيبتها المعلّقة إلى كتفها.

- كلّي آذان تُصغي إليك، قال ورشف من قهوته.

- لم يعثر المختبر على زرنيخ في المصفاة ولا في الأنبوب. وإن كان حصل ودُس فقد اختفى مع الماء المسكوب بعد ذلك. لكن المشكل لا يكمن في هذا، ثمّ توقّفت عن الكلام وراجعت ملفّها. إنّ الغبار الذي يعلو المصفاة والأنبوب يدلّ على أنّ لا أحد لمسهما منذ مدّة، ومن المستبعد أن يكون أحد قد فعل ذلك مُؤخّراً. ولو كان أحد قد لمسهما لبقيت آثار تدلّ على ذلك. وكي تَبرُز القيمةُ النّهائية لهذه النتائج، أُشير إلى أنّ التقنيين قد فتّشوا أسفل المغسل مُباشرة بعد وقوع الجريمة، وعندما حملوا في تلك اللحظة قناني المنظفات والأواني التي كانت موجودة تحت المغسل لاحظوا غياب أيّ أثر للغبار في المكان الذي كانت موضوعة فيه.

- ما يعني، بعبارة أُخرى، أنّ لا أحدَ كان قد لمس المصفاة ولا حتى حرّك شيئاً أسفل المغسل منذ مدّة.

- هذا بالضبط هو رأي تقنيينا.

- كنت أتوقّع ذلك. لقد حصل لديّ الانطباع نفسه عندما تحقّقت من الأمر بنفسي. بيدَ أنّ ثمّة أمراً آخر وجبت مُراقبته، أليس كذلك؟

- أعرف عمّ تتحدّث. تقصد وجود أو غياب السّم بداخل صنبور الماء المُصفّى، أليس هذا قصدك؟

- بلى، هذا ما أقصده بالضّبط. وما الجواب؟
- الاحتمال موجود نظرياً، لكنه مُستحيل عملياً.

ارتشف يوكاوا من قهوته وزمّ شفتيه، بيد أنّ هذه الحركة ليس من المرجّح أن يكون معناها أنه وجد مذاق القهوة مُرّاً.

- أنت ترى أنّ بإمكاننا أن نُمرّر عبر الصنبور قشة طويلة، على شاكلة منظار، لنضع سمّاً بالداخل، لكن التقنيين عجزوا عن القيام بذلك. فلا قشةَ بإمكانها أن تعبُر التقاطُعَ الذي يُشكّل زاوية شبه مستقيمة، وتمضي سليمةً في اتجاه المصفاة. بيد أن من الممكن استعمال أداة مُتمفصلة، لكن...

- هذا يكفي، قال يوكاوا وهو يحكّ رأسه. المجرم قد لا يكون قام بشيء بهذا التعقيد. أنا الذي كنت أعتقد أنها فكرة جيدة، وعليّ الآن أن أبحث عن غيرها، وإنني لأتساءل عن الجانب الذي لا يزال مُعتماً في هذه القضية.

صبّ يوكاوا لنفسه ما تبقّى من القهوة، وربما لأنّ كفّه كانت ترتعش، سقطت بضع قطرات من القهوة إلى جانب الفنجان. سمعته كاورو يُفرقع بلسانه.

حتى شخص مثله يمكن أن تتوتّر أعصابُه، أسرّت لنفسها. ربما كان مُغتاظاً من عجزه عن حلّ لغزٍ بسيط هو تحديد المكان الذي دُسّ فيه السّم.

- ما الذي يقوم به الآن المحقّق الذائع الصيت؟ سأل رجل الفيزياء.

- يُحقّق في شركة السيد ماشيبا.
- آه!
- أتُريد لقاءه؟



أجاب يوكاوا بالنّفي بحركة من رأسه وهو يرتشف من قهوته.

- التقيتُ السيدة ماشيبا عندما كنت بصحبته مُؤخّراً.

- أجل، أعرف. لقد حدّثني عن ذلك.

- كنا قد تبادلنا بعض الكلمات. إنها جميلة وجذابة.

- أنت أيضاً لك انجذاب للجمال الأنثوي؟

- هو مُجرّد تقدير موضوعي، لكنني قلق على كوساناغي.

- أحَدَث شيء؟

- عندما كنّا طالبين، كان قد أتى بقطّتين، أو بتعبير أدقّ بهُريرَتَين ولدتا لتوّهما. كانتا سقيمتين وكلّ مَن رآهما يقول إنهما لن تعيشا على الأرجح. لكن، وبالرغم من ذلك أتى بهما إلى غرفته وراح يرعاهما حتى أنه كان يتغيّب أحياناً عن الدروس من أجلهما. كان يُقدّم لهما حليباً بواسطة قارورة صغيرة فارغة لتقطير دواء العيون. وعندما كنت قد أخبرته أنّ ذلك لن ينفع في شيء وأنّ الهريرتين ستنفقان لا محالة رغم عنايته، أجابني «وماذا بعد؟». رفّ جفنا يوكاوا وشرد بصره. إنّ نظرته للسيدة ماشيبا لهي النظرة نفسها التي كان يشمل بها الهريرتين. هو حسّاس تجاه أمر ما فيها يُثير لديه الأحاسيس نفسها التي كانت الهريرتان تُثيرانها فيه.

18

كان كوساناغي يجلس على الأريكة وهو يتأمّل لوحة معلّقة على الجدار أمامه، تبدو فيها أزاهير حمراء على عمق داكن. لقد سبق له أن رأى هذه الصورة في مكانٍ ما. نعم لقد رآها بالتأكيد على بطاقة قنينة خمر غربيّ.

- ما الذي تتأمّله بكل هذا الاهتمام؟ سأله كيشيتاني الجالس إلى جانبه. ليس لهذه اللوحة أيّ علاقة بما نسعى إليه، فالتوقيع في الأسفل، يساراً، يحمل اسم رسّام غير يابانيّ.

- أتعتقد أنني لم أنتبه لذلك؟ عقّب كوساناغي وهو يُزيح بصره عن اللوحة.

والحقّ أنه لم يكن قد انتبه له.

هزّ زميله رأسه.

- أتعتقد أنه قد يكون احتفظ برسومات لصديقته القديمة؟ لو كنت مكانه لتخلّصتُ منها في أسرع وقت ممكن.

- ربّما، لكن هذا لا يعني أنّ يوشيتاكا ماشيبا قد تخلّص منها.

- أتّفق معك، لكن أن نُفكّر في أنه قد أتى بها إلى هنا لأنه لم يكن بمستطاعه الاحتفاظ بها في بيته... إنّ شخصاً عادياً ما كان ليرغب في أن يرى هذه الرّسومات أمامه باستمرار!

- وما أدراك أنّه قد علّقها إلى الجدار؟

- تقصد أنه قد يكون تجشّم المجيء بها هنا كي يُهملها؟ أجد صعوبة في الاعتقاد بذلك. في هذه الحال ما الذي كان سيُجيب به إن سأله أحد مُستخدميه عن طبيعتها؟

- أنّها هدية، مثلاً.

- سيكون الأمر مثار تساؤل أكثر فأكثر، لأنّ حسن التصرّف يقتضي أن نُثمّن اللوحات التي تُهدَى لنا، كما أنّنا لا نكون على علم أبداً بالوقت الذي قد يحضر فيه صاحب الهدية.

- كُفّ عن المماحكة. لم يكن يوشيتاكا ماشيبا من النّوع الذي يتصرّف بهذه الكيفية، قال كوساناغي بعنف.

ولجت الغرفة التي كان الشرطيان ينتظران فيها، من باب يقع إلى جانب مكتب الاستقبال، امرأة تَرتدي بذلة فاتحة، على عينيها نظارة رقيقة شعرها مقصوص قصيراً.

- معذرة على جعلكما تنتظران. السيد كوساناغي. . .

- أنا كوساناغي، قال وهو ينهض. معذرة على إزعاجكم في عزّ شغلكم.

- لا أبداً. . .

وسلّمته بطاقة زيارة قرأ فيها: «كيكو ياماموتو، مسؤولة العلاقات العامة».

- تُريد رؤية الأشياء التي في ملكية رئيسنا المدير العامّ السابق، أليس كذلك؟

- بالضبط، إن كان ذلك ممكناً.

- أجل، تعاليا معي.

قادتهما إلى غرفة مكتوب في يافطة على بابها: **غرفة الاجتماعات**.

- ألم يكن للسيد ماشيبا مكتبه الخاص؟

- لقد تقلّد خَلَفُه مهامّه، وقد خرج اليوم وكلّفني بتبليغكما سلامه.

- تقصدين أنّه أصبح لكم رئيس جديد؟

- نعم، عُيّن في منصبه عقب الجنازة، وهو يستعمل المكتب الذي كان يشغله السيد ماشيبا. وبإذنٍ من مستشارنا القانونيّ، السيد إيكاي، وضعنا هنا أشياءه الشخصية، في انتظار تسليمها للسيدة ماشيبا. لم نُضِفْ إليها شيئاً، قالت مُفسّرة دفعة واحدة، دون أن تصدر عنها بسمة، وبنبرة صارمة أوحت بأنّها تحتاط من الشرطيين.

حصل لدى كوساناغي انطباع بأنّها تُريد أن تُفهمهما أنّ وفاة يوشيتاكا ماشيبا لا علاقة لها البتة بعمله، وأنّ الشركة لم تسعَ إلى التخلّص من أشيائه ذات القيمة، لكي لا تُثير حولها الشّبهات.

حوالي عشر علب كارتونية مُختلفة الأحجام مُكدّسة في الغرفة، علاوة على أدوات للعب الغولف وكؤوس وآلة لتدليك الرّجلين. بدا لأوّل وهلة ألّا وجود للوحات فنية.

- أتسمحين لنا بتفتيش هذه الأشياء؟ سأل كوساناغي.

- بالطبع. خذا وقتكما. هل آتيكما بشيء تشربانه؟

- شكراً، لا داعي لذلك.

- حسناً، قالت قبل أن تُغادر الغرفة على وجهها التّعبيرُ ذاته.

هزّ كيشيتاني كتفيه مُباشرة بعد انغلاق الباب.

- حقّاً نحن لم نحلّ هنا أهلاً ولا سهلاً.

- لا تقل لي إنّك مُعتادٌ أن تُستقبل بالأحضان! إنّه أمر جيد حقّاً أن تكون قد قبلت طلبنا.

- كان بإمكانها أن تكون أكثر ترحيباً ولو قليلاً، ففي صالح الشركة قبل أي كان أن تُحلّ هذه القضية بأسرع ما يُمكن.

- أنت مُخطئ. الشركة تتمنّى نسيان القضية، حُلّت أم لم تُحلّ، وحضورنا هنا يُزعجهم. والآن وقد عُيّن رئيس جديد فإنّ رؤيتهم للشرطة تنزع من أفواههم كلّ رغبة في التّبسّم. حسناً، لنكفّ عن إهدار الوقت ولنبدأ العمل! قال في الأخير وهو يرتدي قُفّازين.

لم يكن لزيارتهما سوى هدفٍ وحيد هو تحديد مَن تكون الصديقة القديمة ليوشيتاكا ماشيبا. الشيء الوحيد الذي يعرفه كوساناغي عنها أنها كانت ربما رسّامة، ولم تكن له أدنى فكرة عمّا كانت ترسمه.

- ليس لأنها كانت تملك حافظة رسومات فهي بالضرورة رسّامة. مُصمّمو الأشرطة المُصورة ومُؤلّفوها يستعملونها أيضاً، أليس كذلك؟ قال كيشيتاني وهو منهمك في تفتيش محتوى إحدى العلب الكارتونية.

- بالطبع، قال كوساناغي مُوافِقاً على الفور. احتفِظْ بذلك في ذهنكَ ما بقينا هنا، وفكّر أيضاً في المهندسين وفي مصمّمي الديكورات.

وافق كيشتاني على ما سمعَ وهو يتنهّد.

- لا أراك مُتحمّساً بالقدر الكافي.

- لا يتعلّق الأمر بالحماس من عدمه، راح يقول وقد توقّف عن العمل، صارم الملامح. أنا لست مُتأكّداً من أنني أعرف ما نحن ساعون إليه هنا. إننا لم نعثر حتى هذه اللحظة على أيّ شيء يدلّ

على أنّ شخصاً آخر غير هيرومي واكاياما كان قد زار منزل آل ماشيبا يوم وقوع الجريمة.

- أتعتقد أنّ هذا يغيب عنّي؟ لكن هل بإمكاننا مع ذلك أن نبني عليه أنّ أحداً لم يكن قد فعل؟

- حسناً...

- إن لم يكن أحد غيرها قد أتى، فسّر لي كيف وُجَد السمّ في الغلاية.

ثمّ واصل كوساناغي مُثبّتاً على زميله نظرة مُكَدَّرة.

- ها أنت بلا جواب، أترى! إنّه أمر مفهوم، ويوكاوا نفسه لا تفسير له. بيد أنّ الجواب بسيط وبديهيّ. ليس هناك أيّ خدعة، لأنّ مرتكب الجريمة تسلّل إلى بيت آل ماشيبا ثمّ انصرف بعد أن وضع السّم في الغلاية. هذا كلّ ما في الأمر. ألا أكون بهذا قد فسّرت لك لماذا لم نعثر بعد على الفاعل؟

- لأنه شخص كان السيد ماشيبا يلتقي به خفية...

- أرى أنك أجدت الاستماع إليّ. عندما يلتجئ رجل إلى إخفاء لقاءاته فيجب البحث في علاقاته النسائية. إنّها قاعدة أساس في مهنتنا. أم أنّ استدلالي يبدو لك ناقصاً؟

- لا، لا، أجاب كيشيتاني وهو يُحرّك رأسه قليلاً.

- إن كنت مُتّفقاً معي، فإلى العمل! لا وقت لنا نُضيعه.

حرّك المفتّش الشاب رأسه في صمت وولّى اهتمامه من جديد شطر العلب الكارتونية. تنفّس كوساناغي بصوت مرتفع وهو يراه يفعل ذلك.

لم يسعَ كوساناغي إلى معرفة سبب الغيظ الذي يشعر به هو

نفسه، فلماذا يُزعج نفسه بما يُثيره زميله الشاب من شكوك؟ وسرعان ما انتبه إلى أنه يعرف الجواب عن هذا السؤال.

فهو نفسه ليس متأكّداً من أنّ ما يصنعه هنا سيُقدّم التحقيق في شيء، ولم يستطِعْ التخلّص من الشكّ في أنّ البحث في ماضي يوشيتاكا ماشيبا لن يقودهما إلى أي نتيجة.

لكن لا شيء في هذا كلّه غيرُ طبيعيّ في خضمّ تحقيق بوليسيّ، وليس بإمكان من يُريد الاضطلاع بشغله على الوجه الأمثل أن يسمح لنفسه بالشّك في جدوى الجهود التي يبذلها. كان القلق الذي يستشعره يتّسم بطبيعة مُختلفة.

إن لم يعثرا اليوم على شيء، سيكون لزاماً عليه توجيه شكوكه نحو السيدة ماشيبا، هذا ما كان يعتزم القيام به. لم تخطر كاورو أوتسومي على باله، لكنّه أحسّ أن اللحظة التي سيشكّ فيها في أياني قادمة.

كلّ مرة يلتقي فيها بأياني يغشاه الشعور نفسه. توتّرٌ، كما لو كان أحدٌ يضغط على حنجرته بسكّين. كانت تُعطيه الانطباع بأنها تُريد أن تحيا كلّ لحظة بعمق، كما لو كانت مُستسلمة، فكان ذلك يُبلبله ويسحره.

لكنه عندما يُفكّر في سبب هذا الانطباع كان ما يُراود ذهنه يبعث فيه قلقاً يُصيبه بالاختناق.

لقد سبق له أن قابل في مشواره بعض المجرمين الذين لم يتردّدوا في القتل رغم خصالهم الإنسانية التي لا غُبار عليها. كانوا جميعهم قد بعثوا فيه الشعور نفسه: إنهم كائنات لا حماسة لها للحياة وتتّسم بقدر وافرٍ من الفطنة، لكنها تتقاسم خصلة أخرى، هي

العيش على تُخوم فقدان العقل، وكأنّ ورقة بسيطة هي كلّ ما يفصلها عن الجنون.

كان هذا الشعور يُساور كوساناغي في حضرة أياني، فيودّ صدّه لكن غريزة الشرطي فيه كانت تمنعه من نسيانه ولو لحظة واحدة.

كانت تحقيقاته تستهدف تبديد ما يشعر به من شكوك، راغباً في ألّا يترك أفكاره المسبقة تُؤثّر على عمله، لأنه يعرف أنّ بإمكان ذلك أن يحصل فيزداد غيظاً من نفسه.

اشتغل الرجلان ساعة من دون أن يعثرا على ما له علاقة بمهنة الرسام أو أيّ مهنة أخرى تُستعمل فيها حافظة أوراق الرّسم. تكاد العلب الكارتونية لا تحتوي إلّا على هدايا قدّمتها الشركة وأشياء من هذا النّوع.

- ما رأيك في هذه؟ سأل كيشيتاني بغتة.

كان يُمسك في يده دُمية وبَريَة صغيرة تُشبه عندما نراها أوّل مرة لِفتةً ذات أوراق خضراء.

- أليست تلك لفتة؟

- بلى، لكنها أيضاً قد تُستعمل قطعة ديكور.

- آه!

ووضع كيشيتاني هذا الشيء على المائدة، ثابتاً على الأوراق، فبرز وجه على الجزء الأبيض واتّخذت الأوراق شكل مِجسّات، مُحوّلة الدمية اللبدية إلى كائن له شكل ميدوزا، كما يظهر في بعض رسومات المانغا.

- امممم. . .

- تُدقّق البطاقة أنّها اللِّفتة الصغيرة، وأنها من كوكب اللّفتة، وهي مُنتَج لهذه الشركة.

- أنا أُتابعك، لكن ما غرضُك من قولك هذا؟

- ألا تعتقد أنّ مَن أبدع هذه الشخصية كان يستعمل بالتأكيد حافظة رسومات؟

أطرف كوساناغي بعينيه وتفحّص الدّمية.

- ممكن.

- سأُنادي السيدة ياماموتو، قال زميله وهو ينهض.

أقبلت لحظات بعد ذلك.

- إنّه مُنتج كنّا نصنعه. تُمثّل الدمية الوبرية شخصيةَ رسوم متحرّكة تُذاع على الإنترنت.

- رسوم متحرّكة تُذاع على الإنترنت؟ كرّر كوساناغي، مُحيّراً.

- أجل، وكنّا نعرضها على موقعنا منذ ثلاث سنوات، أتريدان مُشاهدتها؟

- بكلّ تأكيد، أجاب وهو ينهض ليمشي في أثرها إلى مكتبها.

نقرت كيكو ياماموتو على مفاتيح حاسوبها فظهرت رسوم متحرّكة على شاشتها، مُدّتها دقيقة. كان بطل الحكاية، المبتذلة، هو شخصية الدمية اللّبدية.

- وهل كففتم عن إذاعتها؟ سأل كوساناغي.

- حازت الشخصية بعض النجاح فكنّا اشتققنا منها مُنتجات أخرى، من بينها هذه الدّمية الوبرية، لكننا قرّرنا الكفّ عن ذلك لأن المبيعات لم تتطوّر.

- وهل كان شخص من شركتكم هو مَن رسم الأصل؟

كان كوساناغي هذه المرّة هو مَن طرح السؤال.

- كلا. مصدر الشخصية مُدوّنة اسمها «اللّفتة الصّغيرة» كانت تحظى بمتابعة قراء كثيرين، فوقّعنا عقداً مع مؤلّفها.

- ومؤلّفها هل هو رسّام؟
- كلا، إنه مُدرّس مادّة أُخرى غير الفنون التشكيلية.
- حقّاً!

استرجع كوساناغي أملاً طفيفاً، لأنّ تاتسوهيكو إيكاي فسّر له أنّ يوشيتاكا ماشيبا كان يتخذ له مبدأً ألّا يُقيم علاقة غرامية مع إحدى مُستخدماته أو معارفه المهنية، وصاحب المدوّنة لا يدخل أبداً في إحدى هاتين الخانتين.

- ضاع كلّ شيء يا كوساناغي! قال كيشيتاني وهو ينقر على المفاتيح. نحن نمضي في الطريق الخطأ.
- كيف؟
- تدلّ معلومات صاحب المدونة أنّه رجل.
- ماذا؟

التفت كوساناغي نحو الشاشة وتأكّد من صدق ما قاله زميله.

- كان علينا أن نبدأ من هنا، لكنّ الشخصية لطيفة حتى أنّني فكّرت من دون تردّد أنّ امرأة هي من ابتدعتها.
- أوه... شرعت كيكو ياماموتو تقول. ألا يُواتيكما أن يكون المؤلّف رجلاً؟
- لا، لا، ذلك لا يُناسبنا في الحقيقة. إنّنا نبحث عن شخص يُساعدنا على حلّ اللّغز، وأوّل شرط في ذلك أن يكون المؤلّف امرأة.
- اللّغز؟... تقصد مقتل السيد ماشيبا، أليس كذلك؟
- بالطبع.
- تعتقدون أنّ وفاته قد تكون لها علاقة بهذا الرّسم المتحرّك؟
- ما نستطيع قولَه لك هو أنّ هذا كان ممكناً لو كان مُبدع هذه

الشخصية امرأة. وتنهّد كوساناغي ونظر نحو كيشيتاني. نكتفي بهذا اليوم.

- حسناً، قال زميله موافقاً وقد نكّس رأسه.

رافقتهما كيكو ياماموتو إلى الباب، فانحنى كوساناغي أمامها.

- معذرة على إزعاجكم. من الممكن أن نعود للقائكم في إطار التحقيق.

- أنا رهن إشارتكم... أجابت بنبرة مُتردّدة لا علاقة لها البتّة بوجهها الصّارم الذي استقبلتهما به. اسمعا... قالت لهما بغتة وهما يهمّان بتجاوز باب المكتب.

استدار كوساناغي.

- نعم؟

اقتربَت منهما.

- يوجد مقهىً في الطابق السفلي للعمارة، أباستطاعتكما انتظاري فيه؟ أُحبّ أن أُحدّثكما في شيء، قالت متمتمة.

- أللأمر علاقة بهذه القضية؟

- لست مُتأكّدة، لكن له علاقة بشخصية اللّفتة الصّغيرة هذه. له علاقة على أيّ حال بالشخص الذي ابتدعها.

تبادل الرجلان نظرة وأجابا بالإيجاب بحركة من رأسيهما.

- حسناً.

كان المقهى يحتلّ جزءاً من سُفليّ العمارة. طلب كوساناغي قهوة، لاعناً في سرّه اليافطة التي كُتب فيها: «شكراً على عدم التدخين».

- أتساءل عمّا تُريد إخبارنا به، قال كيشيتاني.

- سنعرف ذلك، وإن كنت لا أرى كيف بإمكان رسّام هاوٍ أن يكون ذا جدوى لنا.

لم يطُل انتظارهما، فأقبلت كيكو ياماموتو نحوهما مُلتفتة يُمنة ويُسرة، حاملة في يدها غلافاً من حجم A4.

- شكراً على قبولكما لقائي هنا، قالت وهي تجلس أمامهما.

أتت نادلة إلى مائدتهم فأشارت إليها بكفّها ألّا رغبة لها في شيء. ليست لها النيّة على ما يبدو في البقاء مدّة طويلة.

- وعمّاذا كنتِ تُريدين مُحادثتنا؟ قال كوساناغي مُشجّعاً.

أجالت من جديد بصرها في بهو المدخل ومالت نحوهما.

- أودّ أن أطلب منكما عدم الإشارة إلى هذا الحديث الذي سيدور بيننا. وأضافت وهي ترفع عينيها نحوهما خجلة: أمّا إن لم يكن لكما بدّ من ذلك فإنّه سيُسبّب لي متاعب.

- آه... صوّت كوساناغي.

كان من المفروض أن يُجيبها، كما يفعل في العادة، بأنه لا يستطيع أن يَعِدَها بشيء قبل أن يعرف فحوى كلامها، مُغامراً بأن يحرم نفسه من معلومة مهمّة. لكنّ الشرطي يعرف دائماً كيف يُغيّر كلامه عندما يرى لذلك ضرورة.

- حسناً، ألتزم بذلك، قال.

مرّرت كيكو ياماموتو لسانها على شفتيها.

- أتدريان، إنّ شخصية الرسوم المتحركة هذه... الحقيقة، أنّ امرأة هي التي وضعت تصوّرها.

- ماذا؟ جحظت عينا كوساناغي. أحقّاً ما تقولين؟

واعتدل في مقعده، لأنّ المعلومة كانت غاية في الأهمية.

- أجل، لكنّه كان من صالحنا أن نُمرّر ذلك تحت اسم رجل.
هزّ كيشيتاني رأسه وهو يُخرج مفكّرته.
- أجل، يُمكننا على الإنترنت أن نختار لنا اسماً وقامة وحتّى جنساً غير جنسنا.
- أليس صاحب المدوّنة مُدرّساً؟ سأل كوساناغي.
- بلى، الاسم الذي يظهر في المدونة موجود، وقد كُتب كما هو، لكنّ شخصية اللِّفتة نفسها ابتدعها شخص آخر، وهي امرأة لا علاقة لها بهذا المُدرّس.
عقد كوساناغي حاجبيه ووضع مرفقيه على المائدة.
- لم أفهم شيئاً ممّا قلتِ.
فتحت كيكو ياماموتو فمها، بادية التردّد.
- في الحقيقة، كنّا قد رتّبنا كلّ شيء.
- رتّبتم؟
- قبل قليل، قلت لكما إنّ شركتنا كانت قد قرّرت إنجاز رسوم مُتحرّكة باستعمال شخصية كانت تظهر في مدونة يؤلّفها مُدرّس، لكن الحقيقة أننا كنا قد قمنا بالعكس. كان مشروعُنا أن نُذيع هذه الرّسوم المتحرّكة على الإنترنت، وكانت استراتيجيتنا في ذلك تقتضي أن تبدأ هذه الشخصية في مدونة خاصّة، ثم قمنا بما يلزم كي تحظى هذه المدوّنة بالمُتابعة. وما أن تحقّق ذلك حتى مررنا إلى مرحلة توقيع العقد مع صاحب المدوّنة من أجل استغلال هذا الرّسم المتحرّك.
شبّك كوساناغي ذراعيه على صدره وأمال رأسه جانباً.
- أرى أنكم قد أتعبتم أنفسكم كثيراً.
- كان السيد ماشيبا يرى أنّ ذلك سيسمح بتأجيج اهتمام رواد الإنترنت فيُتابعون بعد ذلك الرّسوم المتحرّكة.

التفت كيشيتاني نحو زميله وهزّ رأسه.

- أتدري أنّ هذا ليس نادر الحدوث؟ إنّ رواد الإنترنت ينظرون بعين الرّضا لنجاح الشخصيات التي يبتدعها أشخاص مجهولون.

- وهذه الشخصية، هل ينتمي مُبدعها إلى شركتكم؟ سأل كوساناغي.

- كلّا. كنّا قرّرنا أن نُشغّل رسّاماً ليس معروفاً لدى الجمهور. ومن بين ما كنّا توصّلنا به من اقتراحات، اخترنا اللِّفتة الصغيرة فقَبِلَ مُؤلّفها أن يوقّع معنا عقداً يُلزمه بأن يبقى مجهولاً وأن يُسلّمنا رسومات من أجل مدوّنة المدرّس. حصل هذا، على أيّ حال، في البداية، وإلّا فإنّ رسّاماً آخر اهتمّ بالأمر بعد ذلك. وأنتما تُخمّنان بالتأكيد أنّنا كنّا قد كافأنا أيضاً صاحب المدوّنة.

لم يستطِع كوساناغي إخفاء اندهاشه.

- هكذا إذاً! أنا أفهم الآن لماذا كنتِ قلت إنّكم كنتم قد رتّبتم كلّ شيء.

- لا بدّ من أن تكون لنا استراتيجية إن أرَدْنا إطلاق شخصية جديدة، قالت كيكو ياماموتو مع إصدار بسمة قلقة. لكن المشروع لم يحظَ بالنّجاح المتوقَّع.

- ومَن كان مُبدع الشخصية؟

- امرأة تُؤلّف كتباً مُصوّرة للأطفال، قالت وهي تُخرج كتاباً من الغلاف الموضوع على رُكبتيها.

- أتسمحين لي؟ قال كوساناغي.

وقرأ العنوان: **علّها تُمطر غداً!** ثمّ تصفّح الكتاب. كانت الحكاية تتحدّث عن دمية صغيرة تتمتّع بالقدرة على حبس المطر. واسم المؤلّف هو سوميري كوشو.

- أما تزالون على اتّصال بها؟

- لا، انقطعَت صلتنا بها منذ أن سلّمَتنا حقوق استغلال الشخصية.

- وهل سبقَ لكم أن التقيتُم بها؟

- كلا. كانت رغبتنا أن نُبقي وجودها سرّياً. وحده السيد ماشيبا وشخصان أو ثلاثة من الشركة كانوا على اتّصال بها. وبحسب ما علمت، كانت قد وقّعت العقد معه مُباشرة.

- مع السيد ماشيبا؟ مُباشرة؟

- هو الذي كان شديد الحماسة تجاه هذه الشخصية، قالت كيكو ياماموتو وهي تنظر مُباشرة في عيني كوساناغي.

هزّ المفتّش رأسه وحطّ ببصره على الكتاب. لا إشارة فيه لاسم المؤلّف الحقيقي ولا لتاريخ النشر.

لكن كلّ شيء مُنسجم: امرأة ترسم وهي التي تنشر ما ترسم.

- أيُمكنني استعارتُه منكِ؟ سأل.

- بالطبع، أجابت مُخاطبته وهي تنظر في ساعتها. عليّ أن أعود لعملي. لقد أخبرتكما بكلّ شيء وأرجو أن يكون نافعاً لكما.

- كوني على يقين من ذلك. ونحن نشكرك على مُساعدتكِ، قال كوساناغي وهو يُحني رأسه.

ما إن غادرت حتّى قدّم كوساناغي الكتاب لزميله.

- عليكَ الاتّصال بالناشر.

- أتعتقد أنّنا عثرنا عليها؟

- يبدو لي هذا مُحتملاً جدّاً. كان ثمّة أمرٌ ما بين يوشيتاكا ماشيبا وهذه الرسّامة.

- تبدو لي شديد الوثوق بنفسك!

- لقد حصل لدي اليقين بذلك عندما رأيت التعبير الماثل على محيا كيكو ياماماتو. لقد كانت تشكّ في أمرٍ ما.

- ولماذا لم تُخبرنا قبل الآن؟ فالزملاء الذين سبق لهم أن أتوا للتحقيق هنا لا شكّ أنهم قد طرحوا أسئلة عن العلاقات النسائية للسيد ماشيبا.

- هي لم تقُل شيئاً على الأرجح لأنها لم تكن لها أدلة. وهي لم تُخبرنا بشيء نحن أيضاً، لكن بما أننا سألناها عن مُبدع الدمية أتصوّر أنها قد تكون قالت في سرّها إنّ من الأفضل إخبارنا بأنها امرأة. وقد أحسَّت بنفسها مُرغَمَة على الحديث عن ذلك لأنها خمّنَت أن رئيسها كان له علاقة بها.

- أرى ما الذي تقصده، وأنا آسف على أن أسأتُ القول فيها عندما صرّحتُ أنني أجدها باردة كمثل مُثلّج.

- إن كنت جادّاً، لا تُضع ثانية واحدة واتّصل بالناشر.

أخرج كيشيتاني محموله من جيبه وغادر المقهى. تابعه كوساناغي ببصره وهو يشرب قهوته التي برُدت.

عادَ زميله للجلوس إلى المائدة مُتمغّر المحيّا.

- ألا يردّ أحد؟

- بلى، بلى، أنا أعرف الآن أموراً كثيرة عن هذه الرسامة.

- لماذا إذاً تَغبّش وجهك هكذا؟

ومن دون أن يُجيبه زميله، فتح مُفكّرته.

- اسمها الحقيقي جونكو تسوكوي. صدر هذا الكتاب منذ سنة وقد نفد الآن.

- أتعلم أين يُمكننا الاتّصال بها؟

- كلا، ثم. . . ورفع كيشيتاني رأسه نحو زميله. لقد توفيت.

- ماذا؟ منذ متى؟

- منذ سنتين. انتحرت في بيتها.

19

عندما عاد كوساناغي وكيشيتاني إلى مفوّضية ميغورو وجدا كاورو منهمكة في تحرير تقرير. كانا يبدوان معتكِرَيْ المزاج.

- أين الرئيس؟ هل انصرف؟ سأل كوساناغي بنبرة غير ودّية.

- أعتقد أنّه في مكتب المفتِّشين.

غادر كوساناغي القاعة من دون أن يشكرها ورفع كيشيتاني كفّيه معاً في الهواء كما ليُشير لها أنّه لا دخلَ له في موقف زميله.

- يبدو معتكر المزاج، قالت كاورو.

- لقد عثرنا على الصديقة القديمة ليوشيتاكا ماشيبا.

- هكذا إذاً! لكن إن كان الأمر كذلك فلماذا هو على هذه الحال؟

- ذلك أنه... شرع كيشيتاني يقول وهو يجلس على المقعد المعدنيّ.

وحكى لها ما اكتشفاه، فاندهشت كاورو عندما علمت أنّ المرأة الشابة قد غادرت هذه الدنيا.

- ذهبنا في البداية لزيارة الناشر الذي وافقَ على تسليمنا صورة لها، ثمّ ذهبنا إلى قاعة الشاي التي كانت ترتادها برفقة يوشيتاكا

ماشيبا، فتعرّفتها النادلة. وهنا انتهت الحلقة، ومعها فرضية كوساناغي القائمة على أنها قاتلة صديقها القديم.

- ولهذا السّبب تعكّر مزاجه.

- أنا أيضاً أشعر بالخيبة. يوم عمل كامل لنصل إلى هذه النتيجة! أفٍّ، أنا مُتعب!

رنّ هاتف كاورو المحمول وهي تتثاءب بفمٍ واسع حتى كاد فكّاها ينخلعان. كان المتّصل هو يوكاوا الذي سبقَ لها أن التقت به هذا اليوم.

- شكراً على ما قمتَ به قبل قليل، ردّت.

- أين أنتِ الآن؟ سأل يوكاوا مُتلهّفاً.

- في مفوضية ميغورو.

- لقد فكّرت، وأُريد الآن أن أسألك عن شيء، فهل يُمكن أن نلتقي؟

- أجل، لكن فيمَ تُريد سُؤالي؟

- سأخبركِ بعد قليل. اختاري المكان، أجاب بصوت يُبدي إثارة غير معهودة لديه.

- يُمكنني المجيء إلى الجامعة.

- لقد غادرتها وأنا في طريقي إلى المفوضية، لكن قرّري أين!

قدّمَت له اسم مقهىً قريب وأقفلت الخطّ.

وضعت تقريرها في حقيبتها وأخذت سترتها.

- أهو البوفيسور يوكاوا؟ سأل كيشيتاني.

- أجل، يُريد مُحادثتي في أمر.

- أنا أغبطك! سيُساعدنا كثيراً لو استطاع أن يُخبرنا بالطريقة

التي وصل بها السّم إلى قهوة الضحية. استمعي إليه بانتباه! إنّه لا يتحدّث دائماً بطريقة بسيطة، وسجّلي رؤوس أقلام!

- أعرف، أجابت وانصرفت.

وصل يوكاوا عندما كانت هي جاعلةً تحتسي شايها في المقهى الذي تواعدا على اللقاء فيه. جلس قُبالتها وطلب فنجان شوكولاتة ساخنة.

- ظننت أنّك ستشرب قهوة!

- لا، لا رغبة لي فيها البتّة. لقد شربت منها فنجانين عندما كنتِ معي قبل حين، أجاب يوكاوا باسماً. معذرة على استدعائي لك بهذه الطريقة.

- لا يُزعجني ذلك، عمّ تُريد مُحادثتي؟

- أوه. . . صوّت.

ونكّس بصره ثم رفعه ناظراً إليها.

- بدءاً أُريد أن أعرف ما إن كنت لا تزالين تشتبهين بالسيدة ماشيبا.

- فاعلم إذاً أنّني لا أزال كذلك، من دون أدنى شكّ.

- هكذا إذاً. . . قال وهو يُخرج من جيبه ورقة مطوية على أربع ويضعها على المائدة. اقرئي هذه.

أمسكت كاورو بالورقة وبسطتها وقرأت ما فيها عاقدة ما بين حاجبيها.

- ما هذا؟

- ما أُريد منك التّحقّقَ منه. بالتفصيل وليس بالإجمال.

- وهل سيُمكّنك هذا من حلّ اللّغز؟

أطرف يوكاوا بعينيه وتنهّد.

- كلا، لا أعتقد. أنا أسعى بالأحرى إلى التحقّق من أنني لن أستطيع حلّ اللّغز. وكي أستعمل لغتكم، أن أتأكّد من حقيقة الأمور.

- ما يعني؟

- بعد انصرافك فكّرتُ مُتبنّياً فرضية تورّط السيدة ماشيبا مع وضع افتراضات عن الطريقة التي قد تكون تصرّفت بها، لكنني لم أصل إلى شيء، فكانت الخلاصة أنّ هذه المعادلة لا حلّ لها... سوى واحدٍ.

- حلّ واحد؟ هي إذاً في هذه الحالة ليست من دون حلّ.

- أجل، لكن لا يُمكن التّعبير عن الحلّ إلّا بعدد مُتخيَّل.

- عدد مُتخيّل؟

- أقصد أنّ الحلّ ممكن نظرياً لكنّه يتعذّر عملياً. طريقة واحدة هي التي سمحت للسيدة ماشيبا التي كانت في هوكايدو أن تُسمّم زوجها في طوكيو، لكنّ إمكانية أن تكون قد طبّقتها ضئيلة للغاية. أتُتابعينني؟ الخُدعة ممكنة، لكن يستحيل تطبيقها.

حرّكت كاورو رأسها.

- لستُ متأكّدة من أنني فهمتك. إن كان ما تقوله صحيحاً فإنّ هذه الطريقة لم يكن ممكناً استعمالها، أليس كذلك؟ وأنت تُريدني أن أقوم بهذه التحقيقات كي أُثبت استحالة تطبيقها؟

- إثبات ألّا جواب عن فعالية هذه الطريقة.

- أنا أبحث عن الحقيقة وليس لي ما أصنعه بالنظرية. هدف عملي هو معرفة حقيقة ما جرى.

صمت يوكاوا. أتته النادلة بالشكولاتة الساخنة فجعَلَ يشربها على مهل.

- صحيح، تمتم. أنت على حق.

- كيف...

مدّ كفّه للإمساك بالورقة الموضوعة على المائدة.

- نحن، العلميين، نتشبّث بقوة بالعثور على الحلّ حتى ولو بإدراج عدد مُتخيّل. أمّا أنتم، رجالَ الشرطة، فلستم علميين. أنتم لا وقت لكم تُضيعونه في التدليل على وجود أمور مثل هذه. ثم طوى الورقة على أربع ودسّها في جيبه مُبدياً بسمة. انسي ما قلته لك قُبيل قليل.

- أخبرني بهذه الخدعة التي كنتَ تُفكّر فيها، ثم دعني أُقرّر بعد ذلك. وسأقوم بالأبحاث التي تُريد إن رأيتُ ذلك يستحقّ.

- لا أستطيع.

- ولماذا؟

- إن اطّلعتِ على الخدعة لن تكوني موضوعية وتحقيقك أيضاً سيفقد موضوعيته. وعلى العكس من ذلك، إن قرّرتِ ألّا تقومي بهذه الأبحاث، فأنتِ لست بحاجة إلى معرفة هذه الخدعة. لذلك لا يُمكنني أن أُحدّثك عنها.

مدّ كفّه نحو الفاتورة، لكنّ كاورو كانت أسرع منه.

- أنتَ ضيفي.

- لا مجال. لقد جعلتكِ تأتين بلا فائدة.

وعرضت أمامه كفّها الأخرى وراحتها إلى الأعلى.

- هات الورقة التي جعلتني أقرأ ما فيها. سأقوم بما تطلبه.

- إنّه عدد مُتخيَّل!

- أُريد مع ذلك اكتشاف هذا الحلّ الوحيد الذي عثرتَ عليه.

تنهّد يوكاوا وأخرج الورقة من جيبه. أمسكَت بها وأعادت قراءتها قبل أن تضعها في حقيبتها.

- إن لم تتوافق هذه الخدعة مع عدد مُتخيّل، سنحلّ هذا اللّغز.

لم يُبدِ أيّ رد فعل، واكتفى بتعديل نظارته بإصبعه، مُتمتماً: «ربما».

- هل أنا مُخطئة؟

- إن لم يكن عدداً مُتخيّلاً، أضاف، عيناه برّاقتان، فلن تربحوا هذه الجولة، ولن أربحها أنا أيضاً. إننا أمام جريمة في مُنتهى الإتقان.

20

تنظر هيرومي واكاياما إلى اللوحة النسيجية المعلّقة إلى الجدار. قِطع نسيج زرقاء ورمادية تُشكّل شريطاً طويلاً يمتدّ مُتقاطعاً مع ذاته ليعود في نهاية المطاف إلى نقطة انطلاقته مُشكّلاً عُروة. غاية الشريط المعقّدة تبدو عن بُعد كأنّها هندسية. لم تكن هذه اللوحة تحظى عند يوشيتاكا ماشيبا بالتقدير لأنها كانت تُذكِّره بالشكل اللولبيّ للحمض النووي، لكنّ هيرومي لم تكُن تُشاطره الرّأي. وعندما عرضت أياني أعمالها في رواقٍ بغينزا، كانت قد اختارت تعليق هذه اللوحة قريباً من المدخل. لا بدّ أنّها كانت تروق لها وإلّا لما كانت قد حرصت على جعلها من بين أولى اللوحات التي يطّلع عليها الزّوار. أياني هي التي أبدعت تصوّر هذا الرسم، لكن هيرومي هي التي نفّذته، ما يُعدّ عملاً معهوداً في أوساط الفنّ النسيجيّ، وبالخصوص في حال الفسيفساء النسيجية التي تحتاج إلى أشهرٍ من العمل لإنتاج لوحة من الحجم الكبير. إنها الوسيلة الوحيدة لإقامة معرض. وكانت أياني تنتمي علاوة على ذلك إلى زمرة الفنانين الذين يُنتجون الكثير من الأعمال بأيديهم هم أنفسهم: ثمانون بالمئة من هذه الأعمال المعروضة كانت من إنتاجها هي نفسها. وكانت هيرومي متأثّرة بتثمين أياني لعمل إبداعي نفّذته هي، فكان هذا الاعتراف يملؤها حبوراً.

أُريد أن أستمرّ في العمل معها، كانت قالت وقتئذٍ.

أخرجها ضجيج من أحلام يقظتها. كانت أياني الجالسة قُبالتها قد وضعت قدحها على المائدة. عادة ما يكون محل **آنز هاوس**، في مثل هذه الساعة، مملوءاً نساءً يقصُصن ويخِطن، لكنهما اليوم وحيدتان فيه لأنّ المشغل لم يُعَد فتحه بعد.

- حسناً... قالت أياني وهي تضغط فنجانها بين كفّيها. إن كان هذا ما قرّرتِه فإنني لا أستطيع شيئاً حِياله.

- أعتذر عن أنانيتي، قالت هيرومي وهي تُطرق برأسها.

- أنا لا أطلب منك الاعتذار، فأنا نفسي كنت أقول في خاطري إن الاستمرار على منوال ما سبق لن يكون سهلاً. لقد كنتُ وصلت إلى الاستنتاج ذاته.

- الخطأ خطئي. تعوزني الكلمات كي...

- لنكفّ عن الحديث في هذا. لا رغبة لي البتّة أن أستمرّ في الاستماع لأعذارك.

- أوه... معذرة...

أولجت هيرومي رأسها بين كتفيها. كانت الدّموع تُراود عينيها لكنها ترفض أن تسفحها أمامها لأنها تعتقد أنّ ذلك لا يروق أياني.

كانت قد اتّصلت بأياني لتقول لها إنها تُريد مُحادثتها فضربت لها موعداً بالمشغل من دون أن تطرح عليها أسئلة، فقالت هيرومي في سرّها إنها اختارت هذا المكان من دون شك لأنها خمّنت نوايا مُساعِدتها.

ولما جعلت أياني تُعدّ الشّاي دخلت هيرومي في صلب الموضوع، فسألتها قبولَ استقالتها، لأنها ما عادت لها رغبة في أن تكون مُساعِدتها.

- وهل ستستطيعين القيام بشؤونكِ؟ سألت أياني وهي تراها تُنكّس رأسها: كيف ستصنعين؟ أقصد كي تعيشي. ألن تجدي صعوبة في العثور على عمل؟ أم أنّك تُعوّلين على عون أبويك؟

- لا أعرف بعد. أُفضّل ألّا أسألهما شيئاً، لكنني سأضطرّ لذلك ربما. لي بعض المدّخرات وسأُحاول تدبير أمري وحدي في حدود الممكن.

- لا تَبدِين واثقة من نفسك، علّقَت أياني مُرتّبةً شعرها خلف أذنها، وهي حركة اعتادت القيام بها عندما تكون مُغتاظة. أعرف أنّ هذا لا يعنيني، لكن...

- أنا ممتنّة لكِ على انشغالكِ بأمري، بيد أنّه...

- ألم أقُل لك إنّ هذا يكفي؟

جعلت النّبرة القويّة لأياني محيا هيرومي يتشنّج فأولَجَت عنقها بين كتفيها.

- معذرة، قالت أياني. لم أكُن ودوداً معك، لكنّني ما عدت أُريد سماع اعتذاراتك. حتى ولو لم نعد نشتغل معاً فإنني أتمنّى لك كلّ السعادة، من أعماق قلبي.

جعلت نبرتها الجادّة هيرومي ترفع رأسها بحذر، فبدت لها نصفُ الابتسامة الطافية على وجه أياني حقيقيةً.

- شكراً لك، قالت مُتمتمة.

- ثمّ إنّ الشخص الذي قادنا لنكون في هذه الوضعية ما عاد بيننا، فلنكفّ إذاً عن التفكير في الماضي.

لم تجد هيرومي من خيارٍ آخر غير الموافقة على كلماتها المنطوقة بصوتٍ سائغ. غير أنها كانت تعلم علم اليقين أنّ ما تقترحه أياني من كفٍّ عن التفكير في الماضي مستحيل. إنّ العلاقة المشغوفة

التي عاشتها مع يوشيتاكا ماشيبا والحزن على فقده والشّعورَ بالذّنب الذي يتأكّلها على أن خانت أياني؛ كل ذلك كان محفوراً في أعماقها.

- منذ متى تشتغلين معي يا هيرومي؟ سألت أياني بنبرة طَلقة.

- أكثر من ثلاث سنوات بقليل.

- صحيح، لقد مرّت حقّاً ثلاث سنوات، وهي مدّة الدراسة في الثانوية. ليس لك إذاً إلّا أن تُفكّري في أنّك قد أتممتِ دراساتك معي، أليس كذلك؟

لم تستطِعْ هيرومي إبداء موافقتها على ما قالت، وفكّرت في سرّها: إنّها تعتبرني بلهاء.

- بالمناسبة... ألستِ تملكين مفتاح المشغل؟

- أوه... بلى. سأُسلّمه لك، قالت وهي تحمل حقيبة يدها الموضوعة إلى جانبها.

- لا، لا داعيَ لذلك.

- بيد أنّني...

- ألستِ تملكين أغراضاً كثيرة هنا؟ سيلزمكِ بعض الوقت لتأخذي كلّ شيء. لا تتردّدي في أخذ كلّ ما يروق لكِ، كمثل هذه اللوحة النسيجية، ألا تُحبّينها؟

كان نظرها مُثبّتاً على اللوحة التي كانت هيرومي تتأمّلها قبل قليل.

- هل أنت متأكّدة؟

- بالطبع! أنتِ التي صنعتها. أتذكرين ما لاقته من نجاح في المعرض؟ لقد رفضتُ بيعها لأنني كنت أُفكّر في تسليمها لكِ طال الزّمن أم قصر.

لم تكن هيرومي قد نسيت. كانت أثمان غالبية الأعمال مُشهَرة، بيد أنّ بطاقة كانت تُعلن أنّ هذه ليست للبيع.

- كم ستحتاجين من وقت لجمع أمورك؟ سألت أياني.

- سأنتهي من ذلك هذا المساء أو غداً.

- حسناً. اتّصلي بي عندما تنتهين. سيكفي أن تضعي المفتاح في علبة الرسائل. انتبهي حتى لا تتركي شيئاً، لأنني بمجرّد فراغك من ذلك سأنادي على عمّال ليأخذوا كلّ ما لا حاجة لي به.

ابتسَمَت أياني لهيرومي التي كانت تنظر إليها مُطرِفة بعينيها حائرة.

- لا يُمكنني أن أبقى في الفندق إلى ما لا نهاية! لأنّ ذلك ليس عملياً من جهة، ويتطلّب مالاً كثيراً. لذلك قرّرتُ الاستقرار هنا.

- ألا تُريدين العودة إلى البيت؟

تنهّدت أياني وقوّست ظهرها.

- كنت أتصور أنني سأعود لكنّني عدلت. أنا لا أستطيع الآن تحمّل كلّ تلك الذكريات الجميلة التي عشتها فيه، علاوةً على أنني لستُ بحاجة إلى كلّ تلك المساحة! أنا لا أفهم كيف استطاع أن يعيش فيه وحده.

- ستبيعينه؟

- أجل، لكن الأمر لن يكون سهلاً بالتأكيد بالنظر إلى ما حدث فيه. أعتزم استشارة السيد إيكاي في ذلك، فقد يكون ربمّا على معرفة بشخص...

عجزت هيرومي عن إيجاد شيء تقوله فجعلت تتفرّس في كأسها. لا بدّ أن يكون الشاي الذي قدّمته لها أياني قد برد.

- حسناً، سأنصرف قالت السيدة ماشيبا وهي تنهض والكأس في يدها.

- اتركي الكأس على المائدة سأغسلهما معاً.

- حقّاً؟ شكراً لك، قالت ووضعت الكأس على المائدة جاعلة تنظر إليها. إنّهما كأساك، أليس كذلك؟ كانت صديقة هي التي أهدتهما لك بعد أن تزوّجَت.

- تماماً. كانت أهدتني اثنتين.

كانت هيرومي تستعمل الفنجان الثاني ككلّ مرّة عندما تشرب الشاي وهي تتحدّث عن الأمور الواجب القيام بها في المشغل.

- لا تنسي أخذهما!

- نعم، تمتمت.

ولولا أنْ أمَرَتها أياني بذلك لما فكّرت فيه. واستشعرت بعض الحزن من فكرةِ كونِ وجود بعض الأشياء التي تخصّها لا يروق لأياني.

علّقت السيدة ماشيبا حقيبتها إلى كتفها وتوجّهت نحو الباب فتبعتها هيرومي.

استدارت نحو مُساعِدتها بعد إذْ فرغت من انتعال حذائها.

- يبدو لي غريباً أن تكوني أنتِ مَن أوقفت عملك بالمشغل بيد أنّني أنا التي أنصرف.

- سأُسرع، وأتصوّر أنّ بإمكاني الانتهاءَ من جمع أموري هذا المساء.

- على مهلك. ليس هذا ما قصدته. ثمّ نظرت في عينيها مُباشرة قائلة: حظّاً سعيداً فيما أنت مُقبلة عليه.

- أنا أيضاً أتمنّى لك حظّاً سعيداً.

رفعت أياني رأسها وسحبت الباب وراءها باسمة.

جلست هيرومي مُباشرة على الأرض وتنهّدت.

تُحزنها مُغادرتُها لعملها في المشغل ويُقلقها ألّا يعود لها مصدر للكسب، لكنّها لم تكن ترى أيّ مخرج آخر أمامها. بل كان عليها بالأحرى أن تفعل هذا قبل الآن، عندما كانت قد أقرّت لأياني بعلاقتها بيوشيتاكا. وأياني لم تُطالبها بالانصراف، لكنّها قد لا تكون سامحتها.

وعلاوة على هذا... قالت في سرّها وهي تضع كفّها على بطنها، فهي تنتظر طفلاً، وكانت تخشى أن تسألها أياني ما تنوي الإقدام عليه، لأنّها هي نفسها لم تكن لها أدنى فكرة عن ذلك.

ربما كانت أياني قد عدلت عن سُؤالها لاقتناعها بأنّ هيرومي ستُجهض ما في بطنها، ولم تكن تتصوّر على الأرجح أن لدى هيرومي الرّغبة في الاحتفاظ به.

تردّدت المرأة الشابة. كلا، هذا ليس صحيحاً؛ فهي، هيرومي، تتمنّى، من أعماق أعماقها، أن تضع هذا الصّبي، وهي واعية بذلك.

لكن كيف ستكون حياته وقتئذٍ؟ هي لا يُمكنها الاعتماد على عائلتها، لأنّ أبويها على قيد الحياة حقّاً لكنّهما ليسا غنيين. وهما شخصان عاديان قد يُصدَمان ويتبلبلان من علمهما أنّ ابنتهما ستُصبح أمّاً عازبة نتيجة علاقتها برجل متزوّج.

عليها أن تُرتّب أمرها للإجهاض... كانت تلك هي الخلاصة التي تصل إليها كلّما فكّرت في حملها. عبثاً بحثت عن حلّ آخر، فجَعَل هذا الأمر يُعذّبها منذ أن توفّي يوشيتاكا.

راحت تُحرّك رأسها من تفكيرها في ذلك، فرنّ هاتفها. نهضت ببطء وعادت إلى مائدة العمل. أخرجت محمولها من حقيبتها الموضوعة على المقعد. تعرّفت رقم الشّخص الذي يتّصل بها. لم تكن لها رغبة في الإجابة، لكنّها ضغطت مع ذلك على زر استقبال المكالمة، لأنّ مُخاطَبتَها لن تتخلّف عن إعادة الاتصال بها إن لم تردّ.

- ألو، قالت بصوت حزين يعكس حالتها النّفسية.

- طاب يومك. أنا كاورو أوتسومي من وكالة شرطة العاصمة. أيُمكنني مُحادثتكِ لحظة؟

- نعم.

- أعتذر عن إزعاجك مرّة ثانية، لكن بدا أنّ لدي بضعة أسئلة أُريد أن أطرحها عليك. أيمكنني لقاؤك؟

- متى؟

- في أقرب وقت ممكن، وشكراً لك مسبقاً.

تنهّدت هيرومي بعمق، غير مُبالية بأن تسمع مُخاطبتُها تنهيدتها.

- في هذه الحال، لم لا تأتين إلى هنا؟ أنا في مشغل الفسيفساء النّسيجية.

- أي في دايكانياما. هل السيدة ماشيبا معك؟

- لا، ولا أعتقد أنها ستعود اليوم. أنا بمفردي.

- حسناً، أنا قادمة، قالت كاورو وهي تُقفل الخط.

وضعت هيرومي هاتفها في حقيبتها ونقّلت كفّاً إلى جبهتها.

لن تُغير مُغادرتُها للعمل في المشغل شيئاً؛ فما دامت القضية لم تُحلّ لن تتركها الشرطة وشأنها، فكيف يُمكنها تصوُّر أن يكون لها طفل؟

شربت ما تبقّى من شاي في كأسها. وكما كانت تتوقّع وجدته بارداً.

فكّرت في السنوات الثلاث التي قضتها ها هنا. كانت قد تفاجأت ممّا حقّقته من تقدّم خلال الأشهر الثلاثة الأولى، رغم جهلها التّام بالفسيفساء النسيجية. وعندما كانت أياني قد اقترحت عليها أن تُصبح مُساعِدتها لم تتردّد لحظة واحدة، لأنها كانت قد تعبت من الحياة الهشّة التي كانت تحياها مُنجزة بآلية أشغالاً خالية من المعنى.

التفتت نحو الحاسوب الموضوع في زاوية من الغرفة. كانت هي وأياني تستعملان موارده من الصور عندما تُفكّران في عمل ما، وكان يحصل لهما باستمرار أن تُواصلا العمل إلى وقت متأخّر من المساء للتقرير في الألوان، لكن ذلك لم يكن يُشعرهما بالتعب الشديد. وما إن كانتا تنتهيان من البحوث التمهيدية حتى تتوجهان للبحث عن الأنسجة التي ستحتاجانها، وغالباً ما كان يحدث لهما أن تفتتنا بنسيج ذي ألوان غير مُنتظرة فيحصل الاتّفاق بينهما على تغيير مشروعهما، وهما تتبادلان بسمة تجمع بين الارتياح وعدمه.

أجل، كانت هيرومي تُحبّ هذا الرّوتين، لكنّه انتهى الآن.

حرّكت رأسها. هي لا تتوهّم شيئاً. إنّ كلّ ما حصل هو من ذنبها، ولقد سرقت زوج المرأة التي هي مَدينة لها بكلّ شيء.

إنها لا تزال تتذكّر بدقةٍ اللّقاء الأول الذي كان قد جمعها بيوشيتاكا ماشيبا. كانت وحيدة في المشغل تُعدّ درساً عندما اتّصلت بها أياني طالبة منها أن تُخبر الرّجل الذي سيمرّ إلى المشغل بأنّها ستأتي متأخّرة. ولم تُقدّم لها تفاصيل أكثر من ذلك.

دقّ جرس الباب دقائق بعد ذلك، فأدخلته هيرومي وقدّمت له

فنجان شاي أخضر. فحص المشغل بعينيه وهو يطرح عليها أسئلة بنبرة هادئة لرجل راشد، وبفضول لا يُشبَع لطفل غرّ، فجعلتها الكلمات القليلة التي تبادلاها تستشعر حيويةَ ذهنه.

ولمّا أتت أياني خلال ذلك قدّمتهما لبعضهما فاندهشت هيرومي من علمها بأنّهما كانا قد التقيا في حفل استقبال، لأنها كانت تجهل أنّ أياني تحضر هذا النّوع من السهرات.

عندما أعادت التفكير في ذلك استشعرت على الفور إحساساً ما تُجاهه، وتذكّرت رعشة الغيرة التي كانت غَشيَتها عندما أخبرتها أُستاذتها أنّه صديقها.

ربما كان كلّ شيء سيتّخذ منحىً آخر لو لم يكن لقاؤهما قد تمّ بهذه الشاكلة. يحصل لديها الانطباع أنه ما كان ليُثير فيها شيئاً لو لم يكونا قد قضيا بضع لحظات وحيدين دون أن يكون لها علم بأنّه من نصيب أياني.

إنّ الأثر القليل الذي كان قد ولّده فيها لم يختفِ قطّ، وبعد زواجهما كانت قد اعتادت زيارتهما فاقتربت بذلك من يوشيتاكا، وكان يحصل لهما أحياناً أن يجدا نفسيهما وحيدين.

كانت هيرومي بطبيعة الحال قد أخفَت مشاعرها، ولو كان حصل العكس لانزعجت لأنها لم تكن لها رغبة في إقامة علاقة معه، مُكتفية بأن تُعامَل كأنها فرد من العائلة.

ورغم المجهود الذي بذلته كي تُخفي بلبالها، بدا أنّ يوشيتاكا كان قد انتبه إليه، فبدأ يُغيّر موقفه منها رويداً رويداً، وجعل أمر ما يظهر في نظرة الأخ الأكبر الذي كان يُمثّله لها، فاشتدّ خفقان قلب هيرومي عندما انتبهت للأمر.

وقبل حوالي ثلاثة أشهر كان قد اتّصل بها وهي بعد في المشغل ذات مساء.

- أخبرتني أياني أنّكما تُنهيان عملكما متأخّرتين كلّ يوم. أنتما مشغولتان، أليس كذلك؟

ودعاها لوجبة معكرونة برفقته. كان قد اشتغل يومئذٍ إلى وقت متأخّر من المساء وكانت تحدوه رغبة في تجريب مطعم راجَ الحديث عنه.

وبما أنّها كانت جائعة، وافقت على الفور، فأتى بسيارته ليأخذها.

لم تبدُ لها معكرونة هذا المطعم مُتميّزة بشيء، ربّما لأنها كانت وحيدة معه. وكلّ مرّة كان يُغطس فيها عصويه في الصّحن كان يلمس مرفقها. هي لم تنسَ ذلك قطّ.

ثمّ رافقها بعد ذلك إلى بيتها.

- أودّ أن نُكرّر هذه التجربة، قال مُتبسّماً في سيارته الواقفة أمام مسكن هيرومي.

- وأنا أيضاً. متى شئت، أجابت.

- شكراً لكِ. إنّ حضورك يُهدّئني.

- حقّاً؟

- أجل، فأنا مُتعب الآن، قال مُواصلاً وهو يُشير بإصبعه إلى صدره ورأسه قبل أن ينظر إليها. شكراً على هذه الأمسية. لقد قضيت لحظات جميلة.

- أنا أيضاً.

ما إن أنهت كلامها حتى وضع كفّه على كتفيها. لم تُعارض، يغشاها إحساس بأنها مفتتنة، فقبّلها كما لو كان الأمر بديهياً.

وفي نهاية القبلة انفصلا مُتمنّيين لبعضهما ليلة طيبة.

كانت إثارتها قوية للغاية حتى أنّ النوم تمنّع عليها ليلتئذٍ. لم تكن تشعر بأنها قد اقترفت أمراً لا يليق. كلا، كان يبدو لها ما أقدمت عليه مُجرّد سرٍّ صغير.

لكنها لم تتأخّر في الانتباه إلى الخطأ الفادح الذي اقترفته، لأنّ وجود يوشيتاكا أضحى يكتسي عندها أهمية مركزية. جعلت تُفكّر فيه من دون انقطاع، كائناً ما كان الشيء الذي تشغل به نفسها.

لو كانا كفّا عن التلاقي وحيدين لكان هوسها به قد انقطع على الأرجح، لكنّ يوشيتاكا جعل يدعوها باستمرار، وهي من جهتها اعتادت أن تتأخر في المشغل حتى لو لم يكن لها شيء مُستعجل تقوم به.

كان قلبها أمسى يُحلّق في عنان السماء بعد أن تخلّص من عقاله، وليس إلّا بعد أن أمسيَا عشيقين انتبهت إلى جريمتها، لكن ما قاله لها كان قد وضع حدّاً لقلقها.

إنه يُفكّر في الانفصال عن أياني.

- هي على علم أنّ هدف الزواج عندي هو تأسيس أُسرة. وقد اتّفقنا على الطلاق إن لم يحصل الحمل خلال السنة الأولى من زواجنا. بقي على انقضاء السنة ثلاثةُ أشهر لكنني أعتقد أنّ الحمل لن يحصل على الأرجح. لا شكّ لي في ذلك.

فكانت أنانية هيرومي على هذا القدر من التضخّم إذ طمأنتها هذه الكلماتُ الباردة.

وهي الآن على بينة من الخيانة العظمى التي اقترفتها، ومن الطبيعي أن يمتلئ قلب أياني عليها حقداً.

ولربما تكون قد قتلت يوشيتاكا بسبب ذلك، أمّا طيبتها في

تعاملها مع هيرومي فقد لا تكون سوى حيلةٍ تستهدف بها ستر جريمتها.

لكن لأياني حجّتها، وما دامت الشرطة تبدو غير مشتبهة بها فقد لا تكون ربما ارتكبت الجريمة.

هل كان لأحدٍ داعٍ لقتله غير أياني؟ غمرها حزن بلا مثيل جرّاء طرحها في سرّها هذا السؤال. هي على بيِّنة من أنّها لا تكاد تعرف شيئاً عن الرجل الذي ترغب بشدّة في وضع طفل منه.

كانت كاورو أوتسومي ترتدي بذلة داكنة، فجلست على الكرسي الذي كانت أياني تحتلّه قبل حوالي ثلاثين دقيقة من الآن والتمست من هيرومي أن تعذرها على إزعاجها لها مرّة ثانية.

- بإمكانك العودةُ لرؤيتي قدر ما تشائين، لكنّني أشك في أنك ستستطيعين بذلك حلّ هذا اللّغز. إنني لم أكن على معرفة جيدة بالسيد ماشيبا.

- كنت على علاقة به ولا تعرفينه حقّ المعرفة؟

تشنّجت شفتا هيرومي.

- أعرف أيّ نوع من الرجال كان، لكن ذلك لن يكون له نفع في تحقيقكم، ألا ترين رأيي؟ أقصد أنّني كنت أجهل ماضيه كما أجهل المشاكل التي كان ربّما يُعانيها في عمله.

- نحن في حاجة إلى معرفة أيّ نوع من الرّجال كان كي نتقدّم في تحقيقنا. بيد أنني لم آت اليوم لسؤالك في هذا الموضوع وإنما في أشياء الحياة اليومية الجارية.

- أشياء الحياة اليومية الجارية؟

- عن يومِيّاته، وأنت المؤهّلة للإجابة عن ذلك.

- ألا تعتقدين أنّ السيدة ماشيبا قد تكون أجدر مني بالإجابة؟

أمالت كاورو أوتسومي رأسها جانباً وتبسّمت.

- لا أعتقد أن رأيها سيكون موضوعياً بالكلية.

- ما الذي ترغبين في معرفته؟

- ألم تشرعي في ارتياد منزلهما مُباشرة بعد اقترانهما؟ أكنت تزورينه باستمرار؟

- لم تكن زيارتي مُنتظمة. ويُمكنني القول إنّني كنت آتي مرّة أو مرّتين في الشهر، في المعدّل.

- دائماً في اليوم نفسه؟

- كلا. لكن غالباً يوم الأحد، لأنّ المشغل يكون مُغلقاً.

- يوم الأحد، ويكون السيد ماشيبا حاضراً، على ما أتصوّر.

- بالضبط.

- وتتحدّثون جميعاً، ثلاثتكم؟

- كان يحصل أن نتحدّث ثلاثتنا، لكنّه عادة ما يكون في مكتبه يشتغل حتى أيام العطل. ثم إنّني كنت أمضي لبيتهما تحديداً للحديث في أمور المشغل مع السيدة ماشيبا، وليس لتحقيق متعة ما، أضافت بنبرة تكاد تكون عُدوانية.

كان يُقرفها أن يتصوّر المحقّقون أنّها كانت تأتي لترى يوشيتاكا.

- أين كنتما تتحادثان؟

- في غرفة الاستقبال.

- دائماً في غرفة الاستقبال؟

- أجل. هل يُغيّر هذا من الأمر شيئاً؟

- ألم تكوني تتناولين شاياً أو قهوة عندما تزورينهما؟

- بلى، بالطبع.

- أنتِ التي كنت تعدّين الشاي أو القهوة؟

- نادراً. لم أكن أقوم بذلك إلّا إن تعذّر على السيدة ماشيبا القيام به لانشغالها بالطبخ.

- كنت قلت لنا إنّها هي التي علَّمَتك إعداد القهوة بطريقة جيدة، وأنّك كنت يوم الأحد صباحاً قد أعددتها وفقاً لطريقتها.

- أجل. أتريدين الحديث من جديد عن القهوة؟ سألت مُميِّزة ملامحَها.

لم تُبد المفتّشة ردّ فعل على حركتها، ربّما لأنّها اعتادت أن يُبدي الأشخاص الذين تسألهم غيظهم.

- هل فتحتِ الثلاجة في أثناء العشاء الذي استُدعي له الزّوجان إيكاي؟

- الثّلاجة؟

- من المفروض أنّه كان بداخلها قوارير ماء معدنيّ. أُريد أن أعرف إن كنت قد رأيتها.

- أجل، رأيتها. وكنت قد استخرجت إحداها في أثناء العشاء.

- أبإمكانك إخباري بعدد القناني التي كانت فيها؟

- لا أتذكّر. كانت كثيرة.

- واحدة أم اثنتان؟

- ألم أقُل لك إنّني لا أعرف؟ ربّما أربع أو خمس، لأنّها كانت كثيرة، أجابت بنبرة قوية.

- ممتاز، قالت مُخاطَبَتُها هازّة رأسها، لا يظهر على مُحياها أيّ تعبير وكأنه قناع مسرحيّ. لقد فسّرتِ لنا أنّك قد ذهبت إلى بيتهما هذا الأحد المشهود لأنّ السيد ماشيبا كان قد اتّصل بكِ. هل سبق له أن فعَلَ ذلك من قبل؟

- كلا. تلك كانت المرّة الأولى.
- ولماذا لم يفعل ذلك إلّا في هذا اليوم؟
- حسناً... لأنّ أياني كانت في زيارة لوالديها.
- تقصدين أنّ الفرصة لم تكن قد سنحت له إلى ذلك الحين؟
- أجل، ومن المرجّح أن يكون قد استدعاني أيضاً ليُخبرني بموافقتها على الطلاق.
- مفهوم، قالت كاورو أوتسومي وهي تهزّ رأسها. أتعرفين شيئاً عن هواياتهما؟
- هواياتهما؟ كرّرت هيرومي عاقدة حاجبيها.
- أقصد ما كانا يُحبان القيام به معاً كالرياضة مثلاً والسّفر وجولات في السيارة.
بدت مُخاطبتُها مُحيَّرة.
- كان يلعب كرة المضرب والغولف، لكنّ أياني بحسب علمي لم تكن تُمارس أيّ رياضة. لا، لم أكن أعرف لها هوايات غير الفسيفساء النّسيجية والطبخ.
- وما الذي كانا يصنعانه بوقتهما الفارغ؟
- لا علم لي بالتفاصيل.
- أخبريني بما تعرفين.
- كانت السيدة ماشيبا تشتغل على لوحاتها النسيجية بينما كان هو على ما أعتقد يُشاهد أقراص فيديو رقمية.
- في أيّ غرفة كانت تشتغل على لوحاتها النسيجية؟
- في غرفة الاستقبال، أعتقد.
لم تكن هيرومي تعرف هدف هذه الأسئلة فتبلبلت.
- هل كانا يُسافران؟

- زارا باريس ولندن مُباشرة بعد زواجهما، ولا أعتقد أنّهما عادا للسفر بعد ذلك، لكن السيد ماشيبا كان كثير التنقل بسبب عمله.

- وماذا عن التّسوّق؟ هل كنت تُرافقينهما في أثناء ذلك؟

- نعم، عندما كنّا نذهب للبحث سوية عن النّسيج من أجل اللوحات.

- يوم الأحد؟

- كلا، كنّا نقوم بذلك خلال الأسبوع، قبل بداية الدروس. كنّا نقتني كميات كبيرة نأتي بها إلى المشغل.

هزّت الشرطية الشابة رأسها وسجّلت شيئاً في مفكّرتها.

- ما عاد لي شيء أسألك فيه، شكراً على تفضّلك بالإجابة عن أسئلتي.

- اعذريني، لكن في أيّ شيء ستُفيدك هذه الأسئلة؟ أنا لا أتبيّن هدفك.

- عن أيّ أسئلة تتحدّثين؟

- كلّها. أنا لا أفهم ما العلاقة بين ما وقع وبين هواياتهما أو التسوّق.

طفا تعبير غير واثقٍ على محيا كاورو أوتسومي، لكنّها طردته ببسمة.

- لا تشغلي بالك بهذا. نحن نعرف ما علينا القيام به.

- ألا يُمكنكِ أن تقولي أكثر من هذا؟

- كلا، وصدّقيني أنني آسفة، لأنني مُلزمة باحترام القواعد التي نشتغل وفقها، أجابت وهي تنتصب واقفة. تقّبلي اعتذاري على إزعاجك، أضافت قبل أن تتوجّه بخطىً واسعة نحو الباب.

21

- انزعجتُ عندما سألَتني عن الهدف من تحقيقي لأنني أنا نفسي لم أكن أعرف! أتدري، نحن لنا توجيهٌ بألّا نُغفل أبداً تدقيق أسئلتنا، قالت كاورو مُعلّقة وهي تحمل إلى شفتيها فنجان قهوتها.

كانت قد أتت لزيارة يوكاوا في مُختبره لتُبلِغه الإجابات عن لائحة الأسئلة التي كان قد سلّمها لها.

- ما تقولينه معقول، لكنه ليس مُناسباً بالضرورة، قال رجل الفيزياء مُلاحظاً وهو يجلس قُبالتها، مُتوقّفاً عن قراءة التقرير الذي سلّمته له. إنني أسعى إلى تحديد ما إن كنّا أمام جريمة خاصة جدّاً، لا سابق لها. إنّ التأكّد من ذلك مهمة في غاية الصعوبة، لأنّ المكلّفين بالتحقيق غالباً ما يكونون تحت تأثير أفكارهم المسبَقَة. أنا هنا أُفكّر في الفيزيائي روني بلوندلو.. أنت لا يمكنك أن تعرفي مَن هو.

- لا يوحي لي هذا الاسم بشيء.

- إنه اسم فيزيائي فرنسيّ عاش النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وأعلن في البدايات الأولى للقرن العشرين اكتشافه لأشعة جديدة سمّاها أشعة N، رأى أنها تُكثّف إضاءة الشرارة الكهربائية. وقد حظي كشفُه هذا باهتمام ملحوظ، إذ اعتبره زملاؤه اكتشافاً

ثورياً. بيد أنّ وجود هذه الأشعة فُنّد عندما أجرى فيزيائيون آخرون التجربة مرّات مُتعدّدة من دون أن يُلاحظوا قطّ وجودَ هذه الكثافة.

- هل كان هذا البلوندلو قد التجأ إلى التّدليس؟

- كلا، الأمر ليس كذلك. هو كان يُؤمن بوجود هذه الأشعة.

- لكن ألم تُفنّد؟

- كان مَكمَن خطئه في أنه لم يستعمل إلّا عينيه للتأكّد من إضاءة الشرارة الكهربائية. وقد أثبت باحثون آخرون أنّ تكثيف إضاءة الشرارة بفضل الأشعة N لم يكن إلّا وهماً ناتجاً عن رغبة بلوندلو في أن يرى تلك الظّاهرة.

- حقّاً؟ حتى فيزيائي مشهور يُمكنه أن يرتكب خطأ بدائياً مثل هذا؟

- أجل، ويُبرز هذا إلى أيّ درجة تكون الأفكار المُسبقة خطيرة. لهذا السبب لم أُقدّم لك أيّ معلومة أولية. وهكذا أكون قد حصلت على معلومات موضوعية للغاية، قال مُفسّراً قبل أن يعود من جديد إلى تصفّح التقرير الذي حرّرته.

- وما رأيك في هذا؟ ألا يُوجد حلّ لقضيتنا إلّا في شكل عدد مُتخيّل؟

لم يُجبها يوكاوا، مُستغرقاً في القراءة، وقد فصَلَ ما بين حاجبيه تجعيدٌ عموديّ.

- كان في الثّلاجة إذاً قوارير كثيرة، تمتم كما لو كان يُحدّث نفسه.

- أجل، أنا نفسي أجد ذلك غريباً. كانت السيدة ماشيبا قد قالت إنها تسهر على أن يكون الماء المعدني موجوداً في الثلاجة

باستمرار، بيد أنّها عندما عادت إلى بيتها في اليوم التالي لم يكن بقي من القناني إلّا واحدة، أليس الأمر هكذا؟ ما الذي يعنيه هذا؟

أغلق يوكاوا عينيه مُشبّكاً ذراعيه.

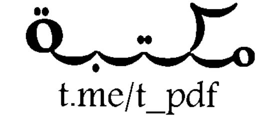
- سيد يوكاوا!

- هذا غير ممكن.

- معذرة؟

- إنّه أمر مُستحيل تماماً، غير أنّه...

أزاح نظّارته وضغط على جفنيه بأطراف أصابعه، ومكث في تلك الوضعية.



22

نزل من القطار بإيداباشي وصعد مُنحدر كاغورازاكا، ثمّ عادَ يساراً مُباشرة بعد معبد بيشامون. صعد عقبة صغيرة كأداءَ وعثر على البناية التي كان يبحث عنها، يميناً.

ولج كوساناغي مدخلها الرّئيس. رأى أسماء الشركات التي تقع مقرّاتها هنا مُصطفّة في يافطات على الجدار الأيسر. كانت منشورات كونوغي توجد بالطابق الأول.

بالبناية مصعد غير أنه فضّل السلّم ذا الدرجات التي تكاد تكون كلّها مُغشّاة بالكارتون، ما يُعد خرقاً لمعايير تجنّب أسباب الحريق. قرّر ألّا يهتمّ اليوم بهذا.

رأى من باب المكتب المفتوح عدّة عمّال منهمكين في عملهم. انتبهت المرأة الشابة الأقرب إلى المدخل إلى وجوده فأقبلَت نحوه.

- هل من خدمة أُقدّمها لك؟

- لي موعد مع السيد ساساووكا. لقد اتّصلتُ به قبل حين.

- طاب يومك! قال صوت رجل سمين وقد ظهر وجهه من الجهة الأخرى لدولاب صغير يجثم أمامه.

- أنت هو السيد ساساووكا؟

- أجل، أنا هو. أوه... شرع يقول وهو يفتح درجاً أخرج منه بطاقة زيارة مدّها إليه.

أخرج كوساناغي بطاقته أيضاً فتبادلاهما. مُخاطبه، كونيو ساساووكا، هو الرئيس المدير العام لمنشورات كونوغي.

- هذه أوّل مرة يُسلّمني فيها رجل شرطة بطاقته. سأحتفظ بها! قلب البطاقة فصاح: آه! كتبت هنا: «إلى السيد ساساووكا»، مع تاريخ اليوم. أتصوّر أنّك فعلت هذا تحاشياً لسوء استعمالها؟

- لا تذهبنّ بك الظنون هذا المذهب! هي مُجرّد عادة ألفتُها.

- كلا، أنت على صواب لأنّنا دائماً ما نتصرّف من دون حيطة أو حذر. أتريد أن نتحدّث هنا أم تُفضّل مقهىً؟

- سنكون مرتاحين هنا.

- حسناً.

قاده ساساووكا إلى فضاء صغير مُخصّص لاستقبال الضيوف أُعدّ في زاوية من المكتب.

- شكراً على قبولك استقبالي، قال كوساناغي وهو يجلس في أريكة من جلد مُقلَّد.

- إنّه أمر طبيعي. علاوة على أنّنا، عكس دور النشر الكبيرة، نملك ما يكفي من الوقت للاستقبال، أجاب مُخاطَبه مع بسمة واسعة.

أحدث لديه إحساساً بأنه رجل نزيه.

- كما فسّرتُ لك في الهاتف، أُريد طرح بعض الأسئلة عليك تخصّ جونكو تسوكوي.

اختفت بسمة ساساووكا.

- أنا مَن كنت أهتمّ بها هنا. كانت موهوبة، وأنا آسف على ما حصل لها.

- هل عرفتها زمناً طويلاً؟

- زمن طويل، لست متأكّداً من ذلك. أكثر قليلاً من السّنتين. لقد نشرت عندنا كتابين.

نهض ساساووكا وعاد بكتابين مُصورين سلّمهما له.

- اسمح لي بأن أُلقي نظرة عليهما، قال المفتّش وهو يُمسك بهما.

عنوان الأول هو **سقوط رجل الثّلج**، والثّاني **مُغامرات تارو، الكلبِ حارس المعبد**.

- كانت تُحبّ استعمال الأبطال القدامى كمثل رجل الثّلج والكلاب حارسةِ المعابد. وقد ألّفت أيضاً كتاباً مُصوّراً عن الدّمية التي تحبس هطول المطر.

- أعرفه. **علّها تُمطر غداً**! أليس هذا عنوانه؟

فبعد أن كان يوشيتاكا ماشيبا قد قرأ هذا الكتاب قرّر أن يُكلّف جونكو تسوكوي بابتداع شخصية للرسوم المتحرّكة على الإنترنت.

هزّ ساساووكا رأسه مُفتّحاً عينيه على سعتهما.

- كانت هذه الشخصيات التي يعرفها كلّ الأطفال اليابانيين تغدو تحت سنّ ريشتها جديدة. يا للحسرة أن تكون قد قضت.

- هل تتذكّر الظروف التي تُوفيت فيها؟

- بالطّبع! لقد تركت لي رسالة.

- أهكذا! أخبرتني عائلتها أنها كانت قد كتبت رسائل عديدة.

أصل جونكو تسوكوي من هيروشيما، وكان كوساناغي قد اتّصل بأمها فأخبرته أنّ ابنتها انتحرت في شقّتها بطوكيو بعد تناولها

أقراصاً منومة. وقد عُثر بالقرب منها على ثلاث رسائل موجّهة لأشخاص تربطها بهم علاقة عمل، من بينهم السيد ساساووكا.

- تعتذر لي فيها عن عدم إتمامها المشروع الذي كنّا نتعاون فيه. كنت قد عهدت لها بكتاب مُصوّر آخر، ويبدو أنّ ذلك كان يشغلها، قال مُفسّراً وقد اتّشح محيّاه حُزناً.

- ولا تقول لك فيها شيئاً عن داعيها للانتحار؟

- كلّا. هي تعتذر لي، هذا كلّ شيء.

كانت جونكو تسوكوي قد حرّرت رسالة أخرى بعثتها إلى والدتها مُباشرة قبل إقدامها على الانتحار. ولمّا توصّلت بها السيدة تسوكوي هاتفتها مُنذهلة، وإذْ لم تُجبها اتّصلت بالشرطة فتوجّه واحد من رجال أمنِ الحيّ فوراً إلى شقتها فعثر عليها جُثّة هامدة.

هي لم تُقدّم تفسيرات لأمها أيضاً، واكتفت بالإعراب لها عن امتنانها وسألتها المغفرة على وضعها حدّاً للحياة التي وهبتها إياها.

- هل لك فكرة عن سبب انتحارها؟

نفى ساساووكا برأسه، فاغراً فاه.

- طرح علي رجال الشرطة هذا السّؤال عند انتحارها غير أنني لم أحر جواباً. كنت قد التقيت بها حوالي أسبوعين قبل ذلك من دون أن أُلاحظ عليها شيئاً ذا طبيعة خاصة. قد أكون أعمى.

لم يُشاطره كوساناغي هذا الانطباع، لأنّه التقى بالشخصين اللذين أُرسلت لهما الرسالتان الأخريان فقالا له الشيء نفسه.

- هل تدري ما إن كانت قيد حياتها على علاقة برجل ما؟

- كانت جعلتني أفهم ذلك من دون أن تُقدّم لي تفاصيل. ولم أسألها لأنّ هذا الضرب من الأسئلة، في أيامنا هذه، يُمكن أن يقود إلى اتّهام بالتحرّش الجنسي، قال ساساووكا جادّ الملامح.

- هلّا قدّمت لي اسم شخص كان على علاقة جيدة بها؟ صديقة، مثلاً.

شبّك الناشر ذراعيه ذاهلاً وأمال رأسه جانباً.

- زُملاؤك أيضاً أرادوا معرفة ذلك وقلت لهم إنني لا أعرف أحداً. أعتقد أنّ الوحدة كانت تُلائمها وأن سعادتها كانت في أن ترسم في بيتها. أظنّ أنها لم تكن تُحب لقاء أناس كثيرين، لذلك أخذتني الدهشة عندما كنت علمت أنّ لها صديقاً.

هي في هذا الجانب تُشبه أياني ماشيبا، أسرّ كوساناغي لنفسه، فأياني أيضاً كانت وحدانية لا تلتقي إلّا بمساعِدتها هيرومي واكاياما أو صديقة طفولتها عندما تكون في زيارة لوالديها. كانت تقضي أيامها في الاشتغال على لوحاتها النّسيجية، جالسة في أريكتها الواسعة بغرفة الاستقبال.

هل بإمكانه استنتاج أنّ يوشيتاكا ماشيبا كان يحب هذا النوع من النساء؟

كلا، لم يكن يُحبهنّ.

أجل، لم يكن الأمر على هذا النحو البتة. تذكّر ما كان قاله له تاتسوهيكو إيكاي: «لكنّ ذلك لم يكُن له أدنى قيمة عنده. أعتقد أنّه كان يعتبر مَن لا تُنجب له امرأةً زائدة كمثل قطعة ديكور».

كان ماشيبا يختار نساء وحدانيات لأنه كان ينظر إليهنّ على أنهن آلات لإنجاب الأطفال. وربما كان يبدو له أسهلَ ألّا تكون لهنّ لواحق قد تكون مُزعجة، كمثل الأصدقاء.

- أوه... شرع ساساووكا يقول. لماذا تهتمّون الآن بانتحارها؟ لا أحد استطاع أن يُحدّد السبب الذي جعلها تضع حدّاً

لحياتها، لكنني أحسستُ وكأنّ الجميع كانوا قد ركنوا إلى أنها قضيةُ انتحار، فلم يُجرَ تحقيق حقيقيّ.

- وحتى الآن، لا أحد يقوم بذلك أيضاً، وإن كنّا نهتمّ اليوم بذلك فلأنّ اسم الآنسة تسوكوي ظهر في قضية أخرى.

- مفهوم.

كان واضحاً أنّ ساساووكا يودّ أن يعرف أكثر عن قضية تسوكوي، لكنّ كوساناغي قرّر أن يضع حدّاً لحوارهما.

- أشكرك على حسن استقبالك لي.

- أليس لديكَ أسئلة أخرى؟ لم أُقدّم لك شيئاً تشربه!

- لا داعي لذلك، شكراً. هل بإمكاني أن أستعير منك هذين الكتابين؟ سأل كوساناغي وهو يحملهما.

- بالطبع! أُهديهما إليك.

- حقّاً؟

- أجل. إنّ مُستقبلهما الوحيد هو التّلاشي.

نهض كوساناغي ورافقه ساساووكا إلى الباب.

- لقد كانت المفاجأة كبيرة. لم يُفكّر أحد في الانتحار عندما كنّا علمنا أنّها قد فارقت الحياة. وما أن كنّا عرفنا بموتها حتى شرعنا نتحدّث فيما بيننا فذهب البعض حدّ أن قال إنّها قد تكون جريمة قتل، فبدا لي ذلك في غير محلّه. لكن وجب القول بأن الطريقة التي ماتت بها...

توقّف كوساناغي ونظر في الوجه الطفوليّ لمخاطَبه.

- الطريقة التي ماتت بها؟

- أجل، أقصد حكاية السّم.

- أعتقد أنّها كانت قد استعملت الأقراص المنومة.

آتى ساساووكا حركة نفي من كفّه، فاغر الفم.

- كلّا، أبداً. ألستَ على علم بذلك؟ لقد شربت سُمّاً.

- سم؟ كرّر كوساناغي مُندهشاً.

- أجل، أتعرف السّم الذي دُسّ في كاري واكايام؟

- الزرنيخ؟

- بالضّبط.

جعل قلب كوساناغي يخفق بسرعة، فودّعه وخفّ في النّزول. وبمجرّد خروجه من البناية اتّصل بكيشيتاني طالباً منه الحصول بسرعة على تقرير انتحار جونكو تسوكوي.

- لأيّ غرض؟ ألا تزال تهتمّ بهذه الرسامة؟

- الرئيس على علم بهذا. قم بما طلبتُ منك بدل الاستمرار في الجدال.

أنهى المكالمة ولوّح لسيارة أجرة وطلب من السائق أن يقوده إلى مفوضية ميغورو.

كانت أيام كثيرة قد انقضت على تاريخ ارتكاب الجريمة، لكنّ التحقيق لا يتقدّم. لا تزال الشرطة عاجزة عن تحديد الطريقة التي دُسّ بها السّم في القهوة، ولم يعرفوا أيّ شخص له داعٍ لقتل يوشيتاكا، ما عدا أياني التي تبدو حجّتها صلبة للغاية.

وقد زعم كوساناغي لرئيسه ماميا أنّ شخصاً قد يكون انسلّ إلى بيت آل ماشيبا يوم وقوع الجريمة، كما كان قد طلب الإذن أيضاً للقيام بأبحاثه حول الصديقة القديمة للقتيل.

- بيد أنّها ماتت، أليس الأمر كذلك؟ كان ماميا قد سأله.

- هذا هو مدار اهتمامي، كان المفتّش قد أجاب. فإن كانت

قد انتحرت بسبب يوشيتاكا ماشيبا، من الممكن تصوّر أنّ أحد أقاربها كان حاقداً عليه بسببٍ من ذلك.

- أتُفكّر في انتقام؟ لكنّ انتحارها تمّ منذ سنتين، فلماذا انتظَر كلّ هذه المدّة لينتقم؟

- لا علم لي بشيء. يمكننا أن نتصوّر أنّ هذا الفارق الزمنيّ كان ضرورياً لتحاشي إقامة العلاقة بين قتله ووفاتها.

- إن كان ما تقوله صحيحاً فنحن أمام مجرم حقود للغاية وقادرٍ في الآن ذاته على عدم الانجراف مع غلّه مدّة عامين.

ورغم أنّ ماميا كان بدا غير مُقتنعٍ فقد أذِنَ له بإجراء التحقيق.

كرّس كوساناغي، منذ الأمس، وقته للاتصال بعائلة جونكو تسوكوي وللقاء الأشخاص الثلاثة الذين كانت قد تركت لهم رسائل، وكان ناشر **علّها تُمطر غداً!** قد سلّمه هاتف أبويها.

لم يتطرّق أحد من هؤلاء لعلاقة مُحتملة بين يوشيتاكا ماشيبا وانتحارها. وأكثر من ذلك، لا أحد منهم كان يعرف أنّها صديقته.

لم تكن أمّ جونكو تسوكوي قد عثرت في مسكنها على شيء يُوحي بأنّ رجلاً اعتاد زيارة بيتها، ولذلك لم تكن تُؤمن بأنّها قد انتحرت بسبب كآبتها من فشل حبّها.

كانت نادلة قاعة الشاي قد رأت ماشيبا والرسامة معاً للمرّة الأولى منذ حوالي ثلاث سنوات خلت، وقد انتحرت جونكو تسوكوي سنة بعد ذلك، ومن المنطقي الظّنُّ بأنهما كانا قد وضعا حدّاً لعلاقتهما.

وحتى لو افترضنا أنّ سبب انتحارها هو اكتئابها بسبب فشل حبّها، فإنه لم يكن في ملك أحد أن يُؤاخذ ماشيبا على ذلك ما

دامت حكايتهما كانت قد بقيت سرّية. يبدو إذاً أنّ هذا البحث الذي يجري بإذن من ماميا لا مخرج له.

في هذا السياق تمّت الإشارة إلى السّمّ.

وكان بإمكان كوساناغي أن يعرف أنها قد ماتت بالسّمّ بسهولة لو كان بدأ بمطالبة المفوضية التي تكلّفت بحالة الانتحار أن تُسلّمه الملفّ. بيد أنه كان قد بدأ، مدفوعاً برغبته في أن يعرف تفاصيل أكثر، بالاتصال هاتفياً بأمّ جونكو تسوكوي، وهو يتحسّر الآن على عدم اتّباعه الخطوات الروتينية المعتادة. فهو كان قد قال في سرّه: ما دامت حالة الانتحار واضحة فقد لا يكون في الملفّ ما يُفيد.

بلبله الحديث عن الزرنيخ.

قد لا يكون الأمر إلّا مُصادفة، فمنذ قضية الكاري المسمَّم لواكاياما، ما عاد أحد يجهل أنّ الزرنيخ سمّ زُعاف، فكَثُر الاهتمام به بين الأشخاص الذين يعتزمون قتل أنفسهم أو غيرهم.

لقد استعملت صديقة يوشيتاكا ماشيبا القديمة في قتلها لنفسها السّم عينَه الذي قتله هو أيضاً. هل هي حقّاً مصادفة؟ أفلا يحقّ بالأحرى أن نرى في ذلك نية مُبيتة؟

تلك هي الأمور التي كان كوساناغي يُفكّر فيها لمّا جعل هاتفه يرنّ، فقرأ اسم يوكاوا على شاشة محموله.

- ما الذي يحدث لك؟ لم أكن أعلم بميلك لاستعمال المحمول وكأنّك طالبة ثانوي.

- أُريد مُحادثتك، هذا كلّ ما في الأمر، فهل بإمكاننا التّلاقي اليوم؟

- قد يكون ذلك ممكناً، لكن في أيّ موضوع سنتحادث؟ أوَصَلتَ إلى الطّريقة التي دُسّ بها السّم في القهوة؟

- لن أدّعي هذا، بيد أنّني وصلت إلى وسيلة للقيام بذلك، لا دلائل لي عليها حتى الآن.

ضغط كوساناغي على هاتفه بقوة أكبر. كان صديقه يميل دائماً إلى التّعبير بوضوح أقلّ، وكان يقوم بذلك أكثر ما يقوم به عندما يكون قد توصّل إلى حلّ لغز.

- هل حدّثت أوتسومي فيما وصلتَ إليه؟

- لا، ليس بعد. وأقول كذلك إنني لا أعتزم الكشف لك أنت أيضاً عنه. وإن أتيت للقائي ظنّاً منك أنني سأفعل، فسيخيب مسعاك.

- كيف؟ لكن في هذه الحال ما الذي تُريد مُحادثتي فيه؟

- انتظاراتي من تحقيقك. أريد التأكّد من أن شروط اقتراف هذه الخدعة كانت متوافرة.

- بمعنى آخر، أنت لا نية لك في أن تُخبرني بطبيعة الخدعة التي استُعملت وإنّما تُريد أن أُقدّم لك معلومات. أنا متأكّد أنّك تعرفها عن طريقة أوتسومي، لكن دعني أُذكّرك أنّنا بنقلنا لشخص من خارج دوائر الشرطة معلومات مُحصّلة في إطار تحقيق، نكون قد ارتكبنا مُخالفة.

ران صمت برهة.

- لم أكن أنتظر أن أسمع منك خطاباً مثل هذا، لكن لا يهمّ! أنا لي سببي كي لا أُفسّر لك الخدعة وأريد اللقاء بك كي أُقدّم لك هذا التفسير.

- أنت تُتقن ألاعيبك على ما أرى. أنا في طريقي إلى مفوضية ميغورو وسأمرّ إلى الجامعة بعد ذلك، حوالي الثامنة على الأرجح.

- اتصلْ بي عندما تصل فقد لا أكون ربّما في المختبر.

- حسناً.

انتبه كوساناغي وهو يُنهي المكالمة أنّه يزداد توتّراً.

ما قد تكونه هذه الخدعة التي يُفكّر فيها يوكاوا؟ لم يكن يرى نفسه قادراً على تخمين طبيعتها لكنّه كان قلقاً على ما قد يكون لها من انعكاس على أياني.

لنفترض أنّ الخدعة التي يُفكّر فيها يوكاوا تُقوّض حجّتها القوية...

ستكون الوضعية وقتئذٍ بلا مخرج، أسرّ لنفسه، ليس لها وإنّما له هو، لأنه سيكون مُلزماً بالاشتباه بها.

ما الذي سيُحدّثه عنه يوكاوا؟ فحتى الآن، كان دائماً ما ينتظر هذا الضّرب من التفسيرات بنفاد صبر، لكنه اليوم مضغوط بشعور قريب من الاختناق.

لمّا وصل إلى قاعة الاجتماعات بمفوضية ميغورو سلّمه كيشيتاني نسخة من تقرير انتحار جونكو تسوكوي.

- أنت تهتمّ بهذا بسبب السّم، أليس كذلك؟ قال زميله مُعلّقاً.

قرأه كوساناغي بسرعة. عُثر على جونكو تسوكوي ممدّدة في سريرها، على المائدة بجانبها كأس ماء فارغ نصفُه وكيسٌ بلاستيكي مليء بمسحوق أبيض. كان هذا المسحوق الأبيض حامضاً مُزرنخاً، وبعبارة أدقّ زرنيخاً.

- لا يُشيرون إلى الطّريقة التي تناولته بها، لجهلهم بذلك على الأرجح، قال كوساناغي بصوت خفيض.

- من المرجّح ألّا يكونوا قد سعوا إلى معرفة ذلك، أجاب ماميا. وبما أنّ المحقّقين كانوا متأكّدين من أنّها قد انتحرت، لم يروا فائدة من البحث عن مصدرِ هذا السّم الذي غدا مُتداولاً نسبياً.

- إنّ هذه المصادفة مُحيّرة. هو السّم نفسُه الذي قتل ماشيبا، لذلك فقد أحسنت يا كوساناغي! قال كيشيتاني بصوت متحمّس.

- هل احتفظت الشرطة بالكيس الذي يحتوي السّم؟ سأل كوساناغي.

- سألتهم لكن الإجابة كانت للأسف سلبية. يعود هذا إلى سنتين خلتا، قال ماميا مفسّراً كما لو كان يتأسّف على ما حصل.

لو كان قد تمّ الاحتفاظ بالسّم لأمكن التحقّق ممّا إن كان هو نفسه في الحالتين.

- إنّني أستغرب ألّا تكون الأسرة قد أُخبرت بأنّ سبب الوفاة هو السّمّ، قال كوساناغي وهو يُميل رأسه جانباً.

- كيف؟

- لقد حدّثتني السيدة تسوكوي عن أقراص مُنوّمة، وأنا لا أفهم لمَ.

- كلّ الناس بإمكانهم أن يُخطئوا.

- أجل، ربّما.

وجد كوساناغي عنتاً في تصديق أنّ أمّاً بإمكانها أن تُخطئ في حيثيات انتحار ابنتها.

- مع هذا الاكتشاف، علاوة على الكشف الذي حدّثتنا عنه أوتسومي، يكون التّحقيق قد جعل يتقدّم، قال كيشيتاني.

رفع كوساناغي رأسه.

- وما الذي أخبرتكم به أوتسومي؟

- طلب منها البروفيسور غاليليو أن يُقام فحصٌ مُعمّق للمصفاة المثبّتة أسفل مغسل المطبخ، أجاب ماميا. وأن يتمّ ذلك بهذا الشيء الذي نسيت اسمه.

- سبرينغ 8، قال كوساناغي.

- بالضّبط. يُريد صديقنا الفيزيائيّ أن نضع طلباً بذلك وقد ذهبت أوتسومي لتقوم بالإجراءات الضّرورية في وكالة شرطة العاصمة.

سبرينغ 8 هو اسم المُسرّع الدورانيّ التزامُنيّ[1] الموجود بولاية الشرطة في هيوغو. فمنذ خريف سنة 2000، شرعت الشرطة العلمية تستعمله في تحليل الكميات الضّئيلة جدّاً. وقد لعب دوراً مهماً في قضية الكاري المسمَّم.

- يرى يوكاوا إذاً أن السّم كان قد وُضع في جهاز تصفية ماء الصّنبور.

- الأمر كذلك، من وجهة نظر أوتسومي.

- ومع ذلك فأنا لا أعتقد أنّه قد عرف كيف حصل ذلك... قال كوساناغي مواصلاً، ثمّ قطع كلامه مُنتفضاً.

- ما بك؟

- نسيت أنّني على موعد معه. لقد جعلني أفهم أنّه قد سبر اللّغز، فلربّما يكون الآن قد فهم...

هزّ ماميا رأسه.

- قالت أوتسومي الشيء نفسه تقريباً. «لقد حلّ البروفيسور المشكلة». لكنّه رفض أن يقول لها كيف. هو عملياً ألمعيٌّ بقدر ما هو غريب الأطوار.

---

(1) Synchrotron: نوع خاصّ من مُسرّعات الجُسيمات التي يُطبّق فيها الحقلُ المغناطيسيّ لتحريك الجسيمات بحركة دورانية، والحقلُ الكهربائيّ لتسريع هذه الجسيمات. ويتمّ ذلك بشكل مُتزامن مع حزمة الجسيمات المتنقّلة.

- وليست له النيّة في إخباري أنا أيضاً، بحسب ما قاله لي.
أبدى ماميا بسمة مُكرهة.
- لا بأس. إنّه يتطوّع للتّعاون معنا، إذاً... ثم إن كان قد دعاك فعلى الأرجح ليُقدّم لك نصائح مُفيدة. استمع إليه بانتباه.

كانت الساعة قد تجاوزت الثامنة بقليل عندما وصل كوساناغي إلى الجامعة. اتّصل هاتفياً برجل الفيزياء، لكن سدىً. أعاد تركيب رقم محموله فسمع في الأخير صوته بعد رنّات متعدّدة.
- معذرة، لم أسمع رنين الهاتف.
- أين أنت؟ في المختبر؟
- كلا، في قاعة الرياضة، أنت تعرف طبعاً موقعها.
- بديهي.
أنهى المكالمة والتحق بالقاعة. تقع البناية الرّمادية ذات السطح المقبّب على يسار المدخل الرئيس. عندما كان كوساناغي طالباً قضى فيها من الوقت أكثر ممّا قضاه في تلقّي الدروس. وفيها تعرّف على يوكاوا. كانا معاً وقتئذٍ نحيفين، لكنّ رجل الفيزياء وحده اليوم لا يزال كذلك.
تقاطع بالقرب من المدخل مع طالب يرتدي ملابس رياضية تحت إبطه مضرب بادمنتون، فحيّاه.
وجد صديقه داخل القاعة مُرتدياً بذلة صادّة للهواء. لم تكن الشبكة قد طُويت بعد لأنّ الجولة إنما انتهت لتوّها.
- كنت قد لاحظتُ أنّ الأساتذة الجامعيين يعيشون عمراً مديداً، والآن أعرف السبب. إنّهم يستعملون التّجهيزات الرياضية الجامعية وكأنّها ناديهم الرياضيّ الخاص!

لم تنجح النّبرة الساخرة لكوساناغي في جعل فم يوكاوا يفترّ ببسمة.

- أنت مُخطئ. إنّنا لا نستعمل هذه التجهيزات وكأنها نادينا الخاص، فأنا أُقدّم طلباً مُسبقاً بالحجز. أمّا مُلاحظتك عن طول عمرنا فخاطئة بدورها. لا مناص من وقت وجهد كي تصير أستاذاً جامعياً، وبعبارة أُخرى، إنهم لا يغدون أساتذةً جامعيين إلّا الذين يتمتّعون بصحّة تضمن لهم طول العمر. أنت تخلط بين الأسباب والنتائج.

سعل كوساناغي وجعل يتملّى بانتباه صديقه، مُشبّكاً ذراعيه.

- فيمَ كنت تُريد مُحادثتي؟

- تحلَّ ببعض الصّبر! أليست لك رغبة في اللّعب، ولو مرّة واحدة؟ سأل يوكاوا وهو يمدّ له مضرباً.

- ليس من أجل هذا أتيت.

- لا تقل لي إنّ أشغالك كثيرة! أردت منذ مدّة أن أقول لك هذا، لكنّني أرى أنّك قد زدت على الأقلّ تسعة سنتيمترات حول خصرك خلال هذه السنوات الأخيرة. تحقيقاتك تتطّلب حقّاً حركة، لكنّها غيرُ كافية وعليك القيام بالمزيد من التمارين حتى تستعيد لياقتك.

- ألا ترى أنّ في قولك قسوةً علي؟ عقّب كوساناغي وقد خلع سترته قبل أن يُمسك بالمضرب.

ذهب لأخذ مكانه من الجهة الأخرى للشبكة فاستعاد الإحساس الذي كان يشعر به منذ بضعٍ وعشرين سنة خلت.

لكنه وجد صعوبة في اللّعب بالمضرب فوعى مُتألّماً ما مسّ قدراته الجسدية من نقص. كان يوكاوا على صواب، إذْ في غضون

عشر دقائق ما عاد يشعر بساقيه. وبعد أن فشل في ضربة بدت مواتية، جلس مباشرة على الأرض.

- من المرجّح أنني شخت، لكنني أهزم الشباب في الصراع بالأذرع.

- الصراع بالأذرع يتطلّب العضلات التي تنقبض ببطء وتقلّ قوتها مع مرور الوقت، لكنها تستعيدها بسرعة مع إجراء تمارين، على العكس من العضلات التي تنقبض بسرعة والتي هي أصل المعاناة. ويُقال الشيء نفسه عن وظيفة القلب. لذلك أنصحك بأن تقوم بتمارين رياضية بانتظام.

كان يوكاوا يتحدّث بنبرة منشرحة، غير متقطّعة الأنفاس، ما جعل كوساناغي يشعر بالغيظ.

أتى رجل الفيزياء ليجلس بجانبه، مُستنداً بظهره إلى الجدار وأخرج مطرة ملأً بالسائل الموجود فيها مغلاقَها الذي يقوم مقام الكوب وقدّمه لرجل الشرطة. إنه مشروب خاصّ بالرياضيين مُنعشٌ للغاية.

- لدي الانطباع أنني قد عدتُ طالباً من جديد، حتى ولو كنت قد فقدت الكثير من تقنيتي.

- التّقنية شبيهة بالجسد، إن لم نُحافظ عليها فقدناها. أنا لم أتوقّف وأنت توقّفت، هذا كلّ ما في الأمر.

- هذا يكفي! لماذا تشعر أنّ من واجبك مُواساتي؟

أبدى كوساناغي بسمة وهو يرى صديقه كأنّه مُحيّر. أعاد له مغلاق المطرة واختفت بسمته.

- هل كان السّمّ في تجهيز المصفاة؟

- أجل، قال يوكاوا. لكن، وكما قلت لك في الهاتف فإنّني لم أستطع بعدُ التّدليل على ذلك. بيد أنّني مُتأكّد منه بصفة قطعية.

- ومن أجل هذا طلبت من أوتسومي تحليل جهاز المصفاة باستعمال سبرينغ 8؟

- لقد اقتنيت أربع مصافٍ مماثلة للمصفاة المعنية، فوضعت فيها زرنيخاً ونصبتها للماء مرّات مُتعدّدة وتحقّقت مما إذا كنت سأجد فيها أثراً له، مُستعملاً القياسَ بالطّيف عن طريق مشعل البلازما، مستعيناً بمقياس طيف الجامعة.

- القياس بالطّيف عن طريق ماذا؟

- لا حاجة لك في فهم ذلك. اكتفِ بمعرفة أنّها طريقة في التحليل قوية جدّاً مكّنتني من العثور على الزرنيخ في اثنتين من هذه المصافي، بينما لم تكن النتائج بادية الوضوح في الأخريين. لتجهيز المصفاة تبطينٌ داخليّ خاص تجد الجُسيمات الصغيرة بسببه صعوبة في الالتحام بالمصفاة. وبفضل كاورو أوتسومي التي طلبت منها الاستعلام عن هذا، أنا الآن أعرف أنّ تحليلكم أنتم لآلة تصفية آل ماشيبا قد تمّ بقياس طيف الامتصاص الذّريّ، وهي طريقة أقلّ دقّة من طريقتي. لهذا السبب طلبت منها القيام باللازم لإجراء تحليل بالسبرينغ 8.

- ما طلبت ذلك إلّا لأنّك مقتنع تماماً بأنّك على صواب، أليس الأمر كما أقول؟

- لا أدّعي ذلك، لكنّني لا أرى إمكانية أخرى.

- كيف؟ هل تحقّقَت هذه الإمكانية؟ فبحسب ما أخبرتني به أوتسومي كنتُ ظننت أنّك قد تخلّيت عن هذه الفكرة لأنّك تراها غير قابلة للتحقّق.

لم يُجب يوكاوا وضغط كفّيه على المنشفة التي كانت بين يديه.

- أفي هذا تكمن تلك الخدعة التي لا تُريد أن تُحدّثني عنها؟

- لا أُريد أن أُولّد لديكم فكرة مُسبقة كما سبق لي أن فسّرت لزميلتك.

- أن تكون لنا فكرة مُسبقة أم لا، فإنّ ذلك لا يُغيّر شيئاً في الخدعة، أليس كذلك؟

- بلى، بالطّبع. عقّب يوكاوا وهو ينظر إليه. إن كانت الخدعة التي أُفكّر فيها قد استُعملت حقّاً فمن المرجّح جدّاً أن تكون قد تركت أثراً، وقد طلبت من أوتسومي القيام بتحليل على السبرينغ 8 للتّدليل على ذلك. وحتّى لو لم يُمكّنا هذا التّحليل من العثور على أثر للزرنيخ فإنّ ذلك لا يدلّ على أنّ الخدعة لم تتمّ، وإنّما على أنّها خُدعة في غاية الإتقان.

- وبعد؟

- لنفترض أنّني فسّرت لكم هذا الآن؛ فإن كانت الخدعة قد تركت أثراً، فلا مشكل، لكن ما الذي سيحدث في الحالة العكسية؟ هل ستستطيعون إعادة ترتيب الطريقة التي تنظرون بها للأمور؟ ألن تستمرّوا في التفكير في ذلك؟

- أوه... هذا مُحتمل الوقوع، ما دام غياب الأثر لن يعني أنّ الخدعة لم تُستعمل.

- وأنا لا أريد أن تمرّ الأمور بهذه الشاكلة.

- لماذا؟

- أنا لا أُريد أن تتركّز شكوككم حول شخص بعينه ما دمنا نفتقر للدّليل. شخص واحد في هذه الدنيا هو الذي كان بمستطاعه استعمال هذه الخدعة.

تفحّص رجل الشرطة عيني صديقه خلف نظّارته.

- السيدة ماشيبا؟

أطرف يوكاوا بجفنيه ببطء، مُؤكّداً ذلك.

- أففف، صوّت كوساناغي. لا يهمّ، سأستمرّ في البحث وفق الطريقة التقليدية. وعلى أيّ حال، فقد عثرت لتوي على أمر بإمكانه أن يُفضي بنا إلى شيء.

- صحيح؟

- لقد عثرت على صديقة يوشيتاكا ماشيبا القديمة، وعلى شيء يُقيم علاقة بينها وبين هذا التّحقيق.

وحكى له أنّها قد انتحرت باستعمال الزرنيخ. حكى له ذلك لأنّه يعرف قدرة يوكاوا على كتم السّر.

- حصل ذلك منذ سنتين. أنت تقول... قال رجل الفيزياء بصوت خافت، شارد النظرة.

- أنت تُعطيني الانطباع بأنّك واثق من خدعتك، بيد أنني أنا أيضاً ليس لدي الانطباع بأنني أمضي في الاتجاه الخاطئ. أنا أعتقد أنّنا لسنا أمام قضية هي على هذا القدر من البساطة حتى تكون قضيةَ انتقام امرأة تعرّضت للخيانة. يبدو لي الأمر أكثر تعقيداً.

نظر يوكاوا في وجهه ثم تبسَّم.

- ما الذي يجعلك تتبسّم؟ أتعتقد أنني في الاتجاه الخطأ؟ سأل كوساناغي.

- كلا. أتبسّم فقط لأنني لو كنت علمت بهذا كلّه لما كنت طلبت منك المجيء.

حرّك يوكاوا رأسه وهو يرى صديقه يعقد ما بين حاجبيه غير فاهمٍ، وأضاف:

- ما أُريد قوله هو أنني مُتّفق معك تماماً. إنّ لهذه القضية جذوراً عميقة بشكل مذهل. إنّكم مُلزمون من وجهة نظري ليس فحسب بالتحقيق فيما وقع لحظة ارتكاب الجريمة وإنما فيما حصل قبل ذلك بكثير. إنّ ما حكيته لي لتوك عن الزرنيخ لهو في غاية الأهمية.

- أنا لا أفهم شيئاً ممّا تقول. ألستَ تشتبه في السيدة ماشيبا؟ لكن في هذه الحال، لماذا ترى أنّ الماضي مُهمّ؟

- لأنه كذلك. إنه في غاية الأهمية. ونهض يوكاوا مُمسكاً بالمَضربين وبحقيبته الرّياضية. أشعر بالبرد. هيا بنا.

غادرا قاعة الرياضة فتوقّف يوكاوا بالقرب من المدخل الرئيس للجامعة.

- سأعود إلى مختبري. أتريد شرب فنجان قهوة؟

- ألا تزال لديك أمور تُريد إخباري بها؟

- كلا، لقد أخبرتك بما كان لديّ.

- في هذه الحال أشكرك، لكنني لن أبقى. عليّ العودة إلى المفوضية لأنني لم أُنهِ عملي.

- حسناً، قال يوكاوا وهو يعود على عقبيه.

- يوكاوا! ناداه كوساناغي مُوقِفاً إياه. لقد سبق لها أن صنعت لأبيها معطفاً من الفسيفساء النّسيجية، مع تبطين على مستوى الوركين، مخافة انزلاقه على الثّلج وتعرّضه للإصابه في هذا الجزء من جسده.

- وبعد؟ سأل يوكاوا.

- هي ليست من النوع الذي يتصرّف من دون تفكير، بل تتأكّد بالأحرى بدقة مُتناهية ممّا إذا كان ما ستفعله أمراً جيّداً أم لا قبل

المرور إلى التنفيذ. إنّ امرأة من هذا النوع، من وجهة نظري، لن تُجازف بقتل زوجها فقط لأنه خانها.

- هل غريزة الشرطي فيك هي التي تتحدّث هنا؟

- أنا أُقاسمك انطباعاتي. وأنا أتصوّر أنّك كمثل أوتسومي ترى أنني أُكنّ مشاعر خاصة لأياني.

نكّس يوكاوا بصره قبل أن يُعيد توجيهه نحو صديقه.

- أنا لا يُزعجني أن تُكنّ لها مشاعر لأنني أعرف أنّك لست من الغباء حتى تدع ذلك يُؤثّر على عملك. وليس هذا هو كلّ ما في الأمر، قال وهو يرفع سبّابته، بل إنك بالتأكيد على صواب. إنها بعيدة عن أن تكون غبية.

- كنت أعتقد أنك تشتبه بها؟

ومن دون أن يُجيبه يوكاوا رفع كفّه بالوداع وابتعد.

23

تنفّس كوساناغي بعمق وكبسَ زرّ إنترفون مَشغل الفسيفساء النّسيجية، مُتسائلاً في سرّه، وهو ينظر إلى اليافطة التي كُتب عليها **آنز هاوس**، عن سبب هذا التوتر الذي يشعر به.

فتحت له أياني الباب دون أن تُجيبه في الإنترفون. كان وجهها شاحباً، في عينيها نظرة حانية شبيهة بالنظرة التي عادة ما تُلقيها الأمّ على ابنها.

- تحترم مواعيدك بدقة، قالت.

- أترين الأمر هكذا؟ أجاب كوساناغي وهو ينظر في ساعته.

كانت الساعة الثانيةَ تماماً، وهي الساعة التي أخبرها أنّه سيزورها فيها.

رجته بالدخول وهي تفتح له الباب على مصراعيها.

لم يعُد كوساناغي لزيارة المشغل منذ أن كانت هيرومي واكايااما قد استُدعيت إلى وكالة شرطة العاصمة. لم يكن حينها قد انتبه بدقة إلى المكان، لكن حصل له الانطباع أنّ أمراً ما فيه قد تغيّر. المائدة هي نفسها وكذلك الأثاث، لكنّ كلّ شيء كان يبدو باهتاً.

جلس على الكرسيّ الذي قدّمته له وانتبه إلى نصف الابتسامة التي صدرت عنها وهي تُقدّم له الشاي.

- المشغل فارغ، أليس كذلك؟ لقد انتبهتُ إلى أنّ أشياء كثيرة هنا كانت في ملكية هيرومي.

أبدى كوساناغي مُوافقته صامتاً.

هو على علم بأنّ هيرومي واكاياما كانت قد اتّخذت مُبادرة تقديم استقالتها، فتفهّم ذلك، بل رأى أنه كان بإمكان امرأة أُخرى أن تُقدم استقالتها بمجرّد اكتشاف علاقتها بزوج مُشغِّلَتها.

كانت أياني قد غادرت الفندق أمس لتستقرّ هنا مُؤقّتاً، ولم تكن تعتزم العودة إلى المنزل. وهذا أيضاً كان كوساناغي يتفهّمه.

وضعت فنجان شاي أمامه فشكرها.

- مررتُ هذا الصباح إلى المنزل، قالت أياني وهي تجلس قُبالته.

- تقصدين بيتك؟

حرّكت رأسها، واضعة كفّاً على فنجانها.

- أجل، لسقي النباتات. لقد ذبلت كلّها.

بدا كوساناغي مُحرَجاً.

- أنا آسف. لديّ المفتاح لكن لم يُسعفني الوقت للاهتمام بها.

سارعت أياني للنّفي بكفّها.

- ليس لك أن تعتذر، وما كان عليّ أبداً أن أطلب منك شيئاً مثل هذا. أنا جادّة فيما أقول. انس هذا الأمر.

- كانت النباتات قد غابت عن بالي، لكنّني لن أعود لنسيانها.

- لكن، لا، لا داعي لذلك، فأنا أعتزم أن أزور البيت من الآن فصاعداً كلّ يوم.

- هل أنت متأكّدة؟ أنا متأسّف إذ لم أكن ذا نفع لك. في هذه الحالة يجدر بي أن أُعيد لك المفتاح.

أمالت أياني رأسها، بادية الانزعاج، ونظرت في عينيه.

- أما عاد للشرطة شغل في البيت؟

- لا يُمكنني تأكيد ذلك.

- في هذه الحال، أُفضّل أن تحتفظ به. فهذا سيعفيني من الذهاب إليه إن كان لكم أمر تُنجزونه فيه.

- حسناً، سأعتني به، قال وهو يُربّت على صدره جهة اليسار، حيث كان يوجد المفتاح في الجيب الداخلي لسترته.

- ذلك الرّشاش، أليس أنتَ مَن...

حمل كوساناغي كفّاً إلى رأسه وهو يُمسك بالأخرى فنجان الشاي.

- لم تكن علبة المصبّرات التي تستعملينها بلا جدوى لكن الرشاش أكثر فعّالية... أما كان عليّ أن أفعل؟

نفت أياني برأسها باسمة.

- لم أكن أعلم بوجود رشّاش بهذا الحجم الكبير. إنه عمليّ حقاً حتى أنني أكاد أكون متأسّفة على عدم التفكير فيه من قبل. أنا أشكرك.

- أنت بهذا تُطمئنينني. لقد خفت أن تكوني مُتشبّثة بعلبة المصبّرات.

- البتة! كنتَ قد تخلّصت منها، أليس كذلك؟

- بلى... أما كان عليّ أن أفعل؟

- بالعكس، وأنا أشكرك.

ونكّست رأسها باسمة تعبيراً عن اعترافها بالجميل، وجعل الهاتف الموضوع على الرّف يرنّ، فنهضت لتُجيب مُعتذرة.

- نعم، هذا مَشغل **آنز هاوس**... طاب يومك سيدة أوطا... أهكذا؟... حسناً... آه، مفهوم...

ظلّت تعابير وجهها على حالها لكنّ كوساناغي لاحظ أن بسمتها أضحت الآن مُتشنّجة. أقفلت الخطّ، متمغّرة المحيّا.

- معذرة، قالت وهي تعود للجلوس.

- أتلقّيت أخباراً غير جيدة؟ سألها.

كانت نظرة أياني حزينة.

- إنها تلميذة تتعلّم الفسيفساء النسيجية. اتّصلت بي لتُخبرني أنها لن تستطيع المواصلة. هي ترتاد المشغل منذ ثلاث سنوات.

- حقّاً؟ النساء لا يكنّ في البيت حُرّات دائماً في القيام بما يحلو لهنّ، بحسب ما أتصوّر.

انفرجت ملامح مُخاطبته.

- هذه هي خامس مكالمة في نوعها منذ الأمس.

- أتعتقدين أنّ لهذا صلة بما حصل؟

- على الأرجح، وله صلة أكثر بانصراف هيرومي. فهي التي كانت تُقدّم الدروس منذ سنة، فأصبحت تلميذاتي هنّ تلميذاتها.

- تقصدين أنّ انصراف المعلّم يُؤدّي إلى انصراف المريدين؟

- لا أذهب حدّ القول بهذا، لكن لا بدّ أن التلميذات قد شعرنَ أنّ أمراً ما لم يعُد كما كان. النساء حسّاسات تجاه تغييرات من هذا النوع.

- اممم...

اختار كوساناغي أن يكون ردّ فعله مُبهماً لأنه لم يكن متأكّداً أنه قد فهم ما تتحدّث عنه. ألم تكن التلميذات المرتاداتُ مشغلَ

الفسيفساء النسيجية يأتين لتعلّم تقنية أياني ميتا؟ لا بدّ إذاً أن يكنّ سعيدات بعلمهنّ أنها هي مَن سيتولّى من جديد تقديم الدروس.

لو كانت كاورو أوتسومي حاضرة لفهمَت خيراً منّي، قال في سرّه.

- أخشى أن تمضيَ الحال في هذا الاتجاه، في سلسلة ردود أفعال يعقب بعضُها بعضاً. ربما كان أحسنُ شيء أقوم به الآن هو أن آخذ عطلة. أمسكَت ذقنها بكفّها ثم اعتدلت بغتة. معذرة، فأنت لا دخل لكَ في هذا.

نظرت إليه فاضطرّ إلى تنكيس بصره.

- أنا أتفهّم وقع هذه الوضعية عليك، لكن وجبَ أن تعرفي أننا لا ندّخر جُهداً لتجلية هذه القضية. عليك أن تستريحي بعض الوقت.

- أجل، بإمكاني القيام برحلة صغيرة.

- فكرة ممتازة!

- لقد مضى وقت طويل لم أُسافر فيه. فيما مضى كنت أُسافر حتى إلى الخارج وحدي.

- أنت درست في بريطانيا العظمى، أليس كذلك؟

- هل حدّثكَ أبواي في هذا؟ أجل، حصل ذلك منذ زمن طويل. ثم نكّست رأسها وأعادت رفعه على الفور. آه! كدتُ أنسى. إنني أُريد أن أطلب منك شيئاً، أتسمح لي؟

- ما هو؟ سأل كوساناغي وهو يُعيد وضع فنجان الشاي على المائدة بعد أن رشف منه.

- هذا الجدار. ألا تجده كئيباً؟

نظرت أياني إلى الجدار الجانبيّ العاري الذي تظهر فيه مساحة

مستطيلة أنصعُ من الباقي تدلّ على أنّ أمراً ما كان مُعلّقاً فيها إلى وقت قريب.

- كانت ثمة، من قبل، لوحة نسيجية سلّمتها هدية لهيرومي لأنها كانت صانعَتها. بقي الجدار فارغاً فقلت إنّ علي أن أُعلّق عليه شيئاً.

- مفهوم. وتعرفين ما ستُعلّقينه؟

- أجل. أتيت به اليوم من المنزل.

ونهضت لتأتي بكيس ورقي كان موضوعاً في زاوية من الغرفة، مُترعٍ بقطعة من نسيج.

- ما هذا؟

- اللوحة التي كانت مُعلّقة بغرفة النوم. ما عاد لها من دور هناك.

- صحيح، أجاب كوساناغي وهو ينتصب واقفاً. حسناً، لنعلّقها.

- أجل، قالت أياني وشرعت تستخرجها من الكيس، لكنها سرعان ما كفّت عن ذلك.

- أوه! عليك قبل ذلك أن تُخبرني ما الذي أتيت من أجله اليوم. ما سبب زيارتك؟

- سأُخبرك عندما ننتهي من تعليق اللوحة.

حرّكت أياني رأسها رافضة.

- لا مجال. أتيت من أجل عملك، فلنبدأ به.

وافق كوساناغي مُبدياً بسمة مُكدّرة وأخرج مفكّرة من جيبه. وكانت بسمته قد اختفت عندما وجّه من جديد بصره نحوها.

- لنبدأ إذاً، وأخشى ألّا تروق لك أسئلتي، لكنني آمل أن تفهمي أنها ضرورية في إطار التحقيق الذي نُجريه.

- بالطبع، أجابت.

- نحن الآن نعرف اسم المرأة الشابة التي كانت صديقة زوجك قبل أن تلتقيا. تُسمّى جونكو تسوكوي. أيعني لك هذا الاسم شيئاً؟

- تسوكوي...

- جونكو تسوكوي. يُكتب الاسم هكذا، أضاف وهو يُريها الاسم المكتوب في المفكرة.

- هذه أوّل مرة أسمع به، قالت وهي تنظر مُباشرة في عينيه.

- هل سبق لزوجك أن حدّثك يوماً عن رسّامة تُؤلّف كتباً مُصورة للأطفال؟ كلّ شيء له أهمية عندنا.

- رسّامة تؤلّف كتباً مصورة للأطفال؟ قالت مُردّدة وهي تعقد ما بين حاجبيها مُميلة رأسها جانباً.

- أجل، تلك كانت مهنتها. زوجكِ قد يكون ذَكَرَها عَرَضاً في إحدى مُحادثاته.

نكّست أياني بصرها ورشفت من شايها.

- آسفة، لكن ليست لي أيّ ذكرى عن أنّ زوجي سبق له أن تلفّظ باسم رسّامة مُؤلّفة لكتب مصورة للأطفال. أعتقد أنه كان بإمكاني أن أتذكّر لو كان سبق له أن ذكر اسمها أمامي. إنّ مجال الرسم وتأليف كتب الأطفال المصورة لا علاقة له البتة باهتماماته.

- أنت على حقّ. لا بأس ألّا تكوني على علم بهذا.

- هل... لهذه السيدة علاقة بما حصل؟ سألت.

- لا نعرف بعد. نحن في سبيلنا للتحقّق من ذلك.

- آه... مفهوم، قالت وهي ترفّ برموشها الطويلة.

- لدي سؤال آخر إن لم يكن في الأمر ما يُزعجك. قد لا تكونين الشخص المناسب للإجابة عنه، لكن الشّخصين الآخرين اللذين يُهمّهما ما عادا على قيد الحياة.

- ما عادا على قيد الحياة؟

- أجل، فجونكو تسوكوي قد توفيت، منذ سنتين خلتا.

- أوه! صوّتت جاحظة العينين.

- هو ذا سؤالي: كما يدلّ على ذلك ما لزمنا من وقت طويل للعثور على هذه المرأة الشابّة، فإنّ لنا الانطباع بأنّ زوجك لم يكن يتمنّى أن تُعرف علاقته بها. لماذا تصرّف على هذا النحو، من وجهة نظرك؟ وهل كان قد تصرّف بهذه الطريقة نفسها معكِ لدى لقائه بك؟

فكّرت أياني هنيهة وهي تضغط فنجانها بين كفّيها، قبل أن تُجيب ورأسها مائل جانباً:

- كلا، على الإطلاق. وفي جميع الأحوال، كان صديقه الحميم السيد إيكاي برفقته لمّا التقينا.

- صحيح.

- لكن، ربّما لو لم يكن السيد إيكاي حاضراً لكان زوجي قد حاول تفادي اكتشاف معارفنا للعلاقة التي تجمع بيننا.

- لماذا؟

- إن لم يكن أحد على علم بها فإنه لن يكون مُلزَماً بتفسير أيّ شيء لأيّ كان إن وقع الانفصال بيننا.

- تقصدين أنه كان يتوقّع احتمال الانفصال باستمرار؟

- كلا. أنا أعتقد بالأحرى أنه كان يضع في حسابه الانفصال في حال عجزت المرأةُ التي له بها علاقة عن الإنجاب. هو كان

يتصرّف وفق هذه القاعدة. إنّ الزواج المثالي، في تصوّره، هو الذي يتمّ عندما تكون الزوجة حاملاً.

- أتقصدين أنّ هدفه الأول من الزواج كان هو بناء عائلة؟ لكنّ زواجك أنت منه لم يكن على هذا النحو! أي أنّك لم تكوني حاملاً عندما تزوّجتما.

أبدت أياني بسمة مُثقلة دلالةً وهي تستمع إليه. رأى في عينيها بريقاً مُناوِراً لم يسبق له أن لمحه لديها.

- لسبب بسيط، هو أنني لم أقبل. كنت قد فرضت استعمالَ موانع الحمل إلى أن نتزوّج.

- الرؤية أوضح الآن. وأنت تعتقدين أنّه لم يتصرّف بهذه الشاكلة مع جونكو تسوكوي، أليس هذا ما تعتقدينه؟ سألها وهو يشعر في سرّه أن سؤاله مبالغ في جرأته.

- أجل، بالتأكيد. قد يكون قطع علاقته بها لأنّها لم تحمل.

- هو مَن قطع العلاقة؟

- زوجي كان هكذا، قالت وقد انشرح وجهها كما لو أنّ حديثها في هذا الموضوع يروق لها.

أعاد كوساناغي إغلاق مفكّرته.

- حسناً. شكراً لك.

- هذا كلّ شيء؟

- أجل، وأنا آسف على اضطراري لطرح هذه الأسئلة عليك.

- لا داعي للأسف. أنا أيضاً كنت قد عرفت رجالاً قبل لقائي بزوجي.

- هذا لا يُدهشني! قال جادّاً. أتريدين أن أُساعدكِ في تعليق اللوحة؟

- بكلّ ممنونية، أجابت.

أدخلت يدها في الكيس الورقيّ ثم أخرَجَتها على الفور كما لو كانت قد غيّرت رأيها.

- سأنتظر قليلاً، فقد انتبهت أنّني لم أُنظّف الجدار بعدُ. عليّ القيام بذلك بداية، وأعتقد أنني سأستطيع تعليقها وحدي.

- أنت متأكّدة؟ ستواتي اللوحة هذا المكان. إن احتجتِ العون لا تتردّدي في إخباري.

شكرته بحركةٍ من رأسها.

بعد أن غادر كوساناغي مشغل الفسيفساء النّسيجية استعاد في ذهنه الأسئلة التي طرحها عليها ثمّ تأكّد ممّا إذا كانت ردود أفعاله على إجاباتها مُناسبة.

«إنّني أعرف أنّكَ لست من الغباء حتى تدع مشاعرك تُؤثّر على عملك».

كانت كلمات يوكاوا هذه محفورة في دماغه.

24

أعلن صوت في المكبّر أنّ القطار سيصل إلى هيروشيما في غضون دقائق. نزعت كاورو من أذنيها سمّاعتي أيبادها ووضعته معهما في حقيبة يدها قبل أن تنتصب واقفة.

راجعت العنوان المكتوب في مُفكّرتها وهي تقف أمام باب القطار الذي يهمّ بولوج المحطّة. تقطن أمّ جونكو تسوكوي حيّ تاكايا في مدينة هيغاشي-هيروشيما. كانت المحطة الموالية الأقرب هي محطة نيشي-تاكايا. بدت السيدة تسوكوي لمّا اتّصلت بها هاتفياً مُتفاجئة قليلاً، على الأرجح لأنّ كوساناغي كان قد سبق له أن اتّصل بها ليطرح عليها أسئلة تخصّ انتحار ابنتها. وكان أمراً مفهوماً أن تتساءل عن السبب الذي يجعل وكالة شرطة العاصمة تهتمّ بهذه الحالة بعد مرور سنتين على وقوعها.

ابتاعت قنينة ماء من كشك في محطة هيروشيما قبل أن تصعد قطار خطّ سانين. كانت نيشي-تاكايا هي الموقف الثاني للقطار ويلزمها حوالي أربعين دقيقة للوصول إليها. أخرجت كاورو أيبادها من حقيبتها وشربت من الماء وهي تستمع إلى ماساهارو فوكوياما. قرأت على بطاقة القنينة أنّ الماء سائغ جدّاً فحاولت عبثاً تذكّر ما كان يوكاوا قد قاله عن الاستعمال المطبخي لهذا النوع من الماء.

الماء. . .

كان يوكاوا متأكّداً على ما يبدو من أنّ السّمّ قد دُسّ عن طريق آلة التصفية، لكنه رفض أن يشرح لها ولكوساناغي الطريقة التي تمّ بها ذلك، قائلاً إنه ما دام مُستحيلاً البرهنةُ على أنّ الخدعة لم تُستعمل، فإنه يخشى أن تقودهم فرضيته إلى اتهام خاطئ.

ما الذي عساها تكون هذه الخدعة التي يُفكّر فيها؟ حاولت تذكّر ما كان قاله بهذا الصّدد. «الاحتمال موجود نظرياً، لكنه مُستحيل من الناحية العملية!» كان قد صاح أوّل مرّة راودته فيها الفكرة. وعندما أخبرته بالمعلومات التي جُمّعت بحسب تعليماته، كان قد قال: «هذا أمر مستحيل على الإطلاق».

أوّل دلالة تنتج عن هذين التعليقين قد تكون هي أنّ الخُدعة التي يتصورها ضئيلةٌ في واقعيتها، بيد أنّه يعتبر مع ذلك احتماليةَ تحقّقها مُرتفعة.

كان قد رفَضَ إخبارها فيمَ تكمن، لكنّه وهبها بعض القرائن، أوّلها طلبُه القيام بالتحقّق بعمق من جهاز تصفية الماء للتأكّد ممّا إذا لم يكن فيه شيء يُثير الشّبهة. وكان قد دقّق بقوله إنّ استعمال سبرينغ 8 هو الوسيلة الأحسن للبحث عن آثار للسّم.

لم تكن الشرطة تتوفّر بعدُ على نتائج سبرينغ 8، لكن يوكاوا حصل على إجابات عن أسئلته الأخرى. لم يعثر تقنيو الشرطة القضائية على شيء غريب في جهاز التصفية. والمصفاة لم تُغيَّر منذ ما يقرب من سنة، وكمية الأوساخ التي تراكمت فيها تُناسب هذه المدّة، ولم يُغيّرها أحد بأيّ حال من الأحوال، كما أنّ رقم الجهاز نظاميٌّ أيضاً.

لم يكن يوكاوا قد أبدى أيّ تعليق عندما أخبرته بهذه المعلومات هاتفياً.

كان بإمكانه أن يُقدّم لي إشارة، قالت في سرّها مُفكّرة وهي تنتبه إلى أنّ من العبث انتظار ذلك منه.

وكان انشغالها أكبرَ بما نقله لها كوساناغي عن مُحادثته مع رجل الفيزياء. كان قد وجّهه ليس للاهتمام بالأحداث التي طرأت لحظة وقوع الجريمة وإنّما أن يقوم بأبحاث أكثر تقدّماً، صعُداً في الماضي. وكان التجاء جونكو تسوكوي إلى الزرنيخ كي تنتحر قد لفَتَ انتباهه على الخصوص.

هي لا تفهم لماذا؛ ألم يكن يوكاوا يعتبر أياني ماشيبا مُذنبة؟ في هذه الحالة، يكفي التّحقيق حول ما كان طرأ لحظة ارتكاب الجريمة. فحتّى لو كان الماضي ينطوي على أمر ما متأزّم، فإنّ رجل الفيزياء ليس من نوع الرجال الذين يهتمّون بذلك.

كان ألبوم ماساهارو فوكوياما قد انتهى فجعلت تُنصت الآن عبر سمّاعتيها لمُغنٍّ آخر لم تكن قد أفلحت بعدُ في تذكّر اسمه، عندما وصل القطار محطة نيشي-تاكايا.

يقع منزل آل تسوكوي، البنايةُ ذات الطابع الغربيّ والمتشكّلة من طابق واحد، في تلّة على بُعد خمس دقائق مشياً على الأقدام من المحطة، أمامهُ غابة تبدو شديدة الكثافة. بدت لها البناية أكبر من أن يحتلّها شخص واحد. كانت أمّ جونكو قد أخبرتها أنها أرملة وأن ابنها استقرّ بمركز هيروشيما بعد زواجه.

كبست المرأة الشابة زرّ الإنترفون وتعرّفت الصوت الذي سمعته في الهاتف. لم تَبدُ السيدة تسوكوي مُتفاجئة، ربّما لأنّها كانت قد أخبرتها بالساعة التي ستصل فيها.

امرأة نحيفة، في حوالي الستين من عمرها. بدت مُنشرحة عندما رأت كاورو بمفردها. فربّما كانت تنتظر زيارة مفتّشين كثيرين.

رغم مظهر المنزل الغربي، فإنّ داخله كان يابانياً صرفاً. أدخلتها السيدة تسوكوي غرفة واسعة مفروشة بالسّجاد، وُضعت في مركزها مائدة واطئة، بينما ينتصب مذبح بُوذيّ على طول أحد جدرانها.

- قد تكونين مُتعبة بعد هذه الرحلة الطويلة، قالت السيدة تسوكوي وهي تصبّ ماء مغلياً في إبريق شاي.

- كلا، البتة. اغفري لي إزعاجي لك. قد تكونين مُستغربةً طرْحَنا عليك بغتة هذا الكمّ من الأسئلة في موضوع ابنتك.

- أجل، هذا صحيح. لأنّني كنت أعتقد أنني قد طويت هذه الصّفحة بشكلٍ من الأشكال.

ملأت كأس الشاي ووضعتها أمام كاورو.

- قرأت في التقرير الذي كُتب عن انتحار ابنتك أنّ السبب الذي دفع بها للإقدام على ذلك لم يُعرف قطّ، وأريد أن أعرف ما إن كنتما قد تجاذبتما يوماً أطراف الحديث حول ما قد يكون دفعها لذلك.

أمالت السيدة تسوكوي رأسها جانباً وأبدت بسمة خفيفة.

- كلا، لا شيء يُفسّر انتحارها. والناس الذين كانوا على معرفة بها لم يفهموا أيضاً. عندما أُعيد التفكير في الموضوع يحدوني الاعتقاد أنّها قد انتحرت لشعورها بالوحدة.

- كانت تعيش في عزلة تامّة؟

- كانت تُحبّ الرسم فمضت إلى طوكيو لتصير مُؤلّفة كتب مصوّرة للأطفال، لكنها كانت هادئة جدّاً وكتومة للغاية. قد تكون وجدت صعوبة في التأقلم مع حياة طوكيو حيث لم يحدث تطوّر على

مشوارها كما كانت تُحبّ وكانت حياتها صعبة جداً. كانت في الرابعة والأربعين من عمرها وكانت قلقة على مستقبلها، بيد أنّه كان من المحتمل أن تتغيّر حياتها رأساً على عقب لو كانت وجدت شخصاً تُبادله الحديث.

لم تكن السيدة تسوكوي تعرف بوجود رجل في حياة ابنتها.

- علمتُ أنّها كانت قد زارتكِ قبل وفاتها بزمن قصير.

كاورو قرأت ذلك في تقرير الشرطة.

- تماماً، وكنت لاحظت أنّها ليست في صحّة جيدة، لكنني لم أُفكّر لحظة واحدة أنها كانت تُفكّر في الانتحار...

رفّت رموشها مرّات، من دون شكّ كي تقمع الدموع التي جعلت تُراود عينيها.

- تقصدين أنكما لم تكونا قد تحدّثتما في أيّ شيء غير معتاد؟

- نعم. وكنت سألتها إن كانت في حالة جيدة فأكّدت لي أنها بخير.

نكّست السيدة تسوكوي رأسها مُنهكة.

فكّرت كاورو في أمها مُحاولةً أن تتمثّل الطريقة التي ستتصرّف بها معها لو كان عليها أن تزورها لآخر مرّة بعد أن تكون قد قرّرت وضع حدّ لحياتها. بدا لها أنها ستكون في هذه الحالة غير قادرة على النّظر في وجهها، لكن أيضاً ستتصرّف كما لو أنّ كلّ شيء عادي، كما فعلت جونكو.

- أوه... شرعت السيدة تسوكوي تقول. كنت أودّ سُؤالك ما إن كان أمر ما في انتحار جونكو يطرح مشكلاً.

لا بدّ أن هذا السؤال يُبلبلها، لكن في هذه المرحلة من التحقيق، لم يكن بإمكان كاورو أن تُقدّم لها جواباً.

- نحن الآن نشتغل على قضية أخرى يُمكن أن تكون لها علاقة بابنتكم. ليس لنا حتى الآن دليل، وقد أتيت للقائكِ بغاية استكمال ما لنا من معلومات.

- مفهوم... قالت أمّ جونكو بنبرة لم تفهمها كاورو.

- لقد استعملت السّم في انتحارها.

رفعت السيدة تسوكوي حاجبيها مُندهشة، عندما سمعت ما قالته كاورو.

- السّم؟ كيف؟

- ألم تستعمل ابنتك السّم؟ ألا تتذكّرين النوع الذي استعملته؟

بدت الحيرة على وجهها ومكثت صامتة، فظنّت كاورو أنها قد تكون نسيته.

- إنه سمّ الزرنيخ، قالت مُدقّقة. ويوم كان زميلي كوساناغي قد اتَّصل بك هاتفياً كنتِ قلتِ له إنّها تناولت أقراصاً منومة، لكن الملفّ يُدقّق أنها انتحرت بالزرنيخ، أكنتِ تجهلين هذا؟

- حسناً... أوه... ذلك أنّه...

لم تفهم كاوور ما بدا عليها من تردّد واضح.

- وهذا، هذا، أوه... أيطرح لكم مشكلاً، قالت مُتمتمة. أُريد أن أقول، أوه... إذْ كنت قلت لكم إنّها انتحرت بالأقراص المنومة.

إنّها تتصرّف بطريقة تُثير الاستغراب، فكّرت المفتِّشة.

- هل كنتِ قلت له هذا بيد أنّك كنت على بينة من أنّ الأمر لم يكن كذلك؟

تحلّل وجه مُخاطبتها.

- ألتمس عذركم، قالت بصوت خفيض. لقد فات الأوان الآن

وما عاد مُمكناً تغيير أيّ شيء. كنت قلت له ذلك لأنني فكّرت أنّ الطريقة التي قَتلت بها نفسها ليست بهذه الدرجة من الأهمية.

- أما كنت تُريدين الحديث عن الزرنيخ؟

لم تُجب فتأكّدت كاورو من أنّ أمراً ما يُبلبلها.

- سيدة تسوكوي!

- معذرة، قالت وجثت أمام المرأة الشابة. ما كان عليّ فعل ذلك، لكنني في تلك اللحظة فشلت في...

تحيّرت كاورو.

- انهضي من فضلك. أنا لا أفهم ما تقولينه. ما قصدُك؟

نهضت أمّ جونكو ببطء، مُرتعشة الجفنين.

- أُخذ السّم من بيتي.

- ماذا؟ سألت كاورو مُتعجّبة، لكن التقرير يقول إنّ مصدره مجهول...

- لم أستطِعْ قول ذلك لرجال الشرطة عندما سألوني إن كانت لي فكرة عن مصدر السّم، أقصد الزرنيخ. لم أكن أُريد الاعتراف بأنها عثرت عليه في بيتي وأجبتهم أنني لا أعرف. وبما أنّ أحداً لم يعُد لسؤالي، لم أتحدّث عنه بعد ذلك... أطلب منك المغفرة.

- انتظري! أنت متأكّدة أن مصدر هذا السّم هو بيتك؟

- نعم، أنا متأكّدة تماماً. لمّا كان زوجي لا يزال على قيد الحياة، سلّمه له أحد معارفه للتخلّص من الجرذان، وكان يضعه في مخزن لحفظ الحاجيات.

- أنت متأكّدة أنّ ابنتك أخذته؟

حرّكت السيدة تسوكوي رأسها.

- ذهبتُ للتأكّد من ذلك عندما أخطرتني الشرطة أنّها انتحرت

بالزرنيخ، فوجدت أنّ الكيس الذي يحويه اختفى، فانتبهتُ وقتئذٍ أنها كانت قد أتت لتأخذه.

بلغ الاندهاش بكاورو مبلغه حتّى أنّها نسيت أن تُسجّل رؤوس أقلام. انتبهت لذلك فشرعت تكتب بسرعة في مفكّرتها.

- كانت قد عادت إلى البيت لتراني ولم أكُن قد فهمت أنها تُفكّر في الانتحار. لم أُفلح في إخبارهم أنها قد عثرت على السّم هنا، فكذبت عليهم... إن كان كذبي قد سبّب لكم مشاكل فإنّني لا أدري كيف ألتمس العذر منك، وأنا على استعداد للذهاب حيثما تأمرينني لتقديم اعتذاراتي، واصلت قائلة وهي تنحني مرّات أمام كاورو.

- أبإمكاني رؤية مخزن حفظ الحاجيات؟ سألت المفتّشة الشابة.

- المخزن؟ بالطّبع.

- شكراً، قالت وهي تنهض.

يوجد المخزن في زاوية من الحديقة، وهو مصنوع من المعدن، تبلغ مساحته نحو أربعة أمتار مربّعة، مملوء بمتلاشياتِ أثاثٍ وآلات منزلية وعلب كارتونية ويفوح داخلُه برائحة الغبار.

- أين كان الزرنيخ موضوعاً؟ سألت كاورو.

- هنا، أجابت أمّ جونكو وهي تُريها علبة مُصبّرات فارغة موضوعة على رفّ. على أيّ حال، أعتقد أنّ الكيس البلاستيكي الذي يحويه كان موضوعاً هنا.

- ألديك فكرة عن الكمّية التي أخذتها؟

- أخذت الكيس البلاستيكيّ. كان فيه ما قد يعادل هذا، قالت مُفسّرة وهي تُشكّل قدحاً بكفّيها المضمومتين.

- هذا كثير، لاحظت كاورو.

- أجل، كان فيه ما قد يملأ قدحاً.

- أي أكثر مما كانت في حاجة إليه. وبحسب ما أتذكّره، فإنّ زملائي لم يعثروا على هذه الكمية كلّها في بيتها.

أمالت السيدة تسوكوي رأسها جانباً.

- أنت على حقّ. لقد فكّرت في ذلك... قد تكون جونكو تخلّصت منه ربما.

أسرّت كاورو لنفسها أنّ ذلك مستحيل. إنّ شخصاً مُقبلاً على الانتحار لا يُفكّر في رمي السّم الزّائد عن حاجته.

- أتأتين باستمرار إلى هذا المخزن؟

- كلا، نادراً ما أحتاجه. لم أفتح بابه منذ زمن طويل.

- أتستطيعين إغلاقه بالمفتاح؟

- بالمفتاح؟ نعم، ممكن.

- في هذه الحال، أُريدك أن تقومي بذلك انطلاقاً من اليوم. من الممكن أن نعود للقيام بأبحاثٍ هنا.

جحظت عينا السيدة تسوكوي.

- في المخزن؟

- لن نقوم بذلك إلّا إن كان ضرورياً للغاية. أشكرك على تعاونك.

كانت كاورو قد تكلّمت بنبرة ميكانيكية، لكنها كانت تشعر كأنها ترتعش. لم يتمّ بعد تحديد مصدر السّم الذي استُعمل في قتل يوشيتاكا ماشيبا، وإن كان مُماثلاً للذي عثرت عليه جونكو في بيت أمها فإنّ ذلك سيكون له أثر بالغ على التحقيق.

هي الآن على الأقل يُمكنها أن تأمل في أن يكون قد بقي أثر

منه على رفّ المخزن، وستُحدّث ماميا في ذلك بمجرّد عودتها إلى طوكيو.

- كنتِ قد توصّلت برسالة من ابنتك بعد وفاتها، أليس كذلك؟ كانت قد بعثَت لك رسالة.

- أوه. . . صحيح.

- أيُمكنني قراءتها؟

بدت السيدة تسوكوي مُتفكّرة ثم حرَّكت رأسها مرة واحدة.

- إن كنتِ ترغبين في ذلك.

عادتا إلى المنزل وقادتها مُضيفتها إلى غرفة ابنتها المُؤثّثة على الطّريقة الغربية بسرير ومكتب.

- أحتفظ هنا بكلّ حاجياتها. عليّ عاجلاً أم آجلاً أن أرتّب أمور هذه الغرفة، فَسَّرَت وهي تفتح درج المكتب وأخرجت ظرفاً.

- هي ذي.

أمسكت بها كاورو شاكرة إياها.

كان مضمون الرّسالة يُطابق ما قاله لها كوساناغي عنها. لم تكن تتضمّن أيّ معلومة ملموسة عن دافعها إلى الانتحار، لكنها تجعل قارئها يفهم أنّ كاتبتها تعبَت من الحياة.

- لا أستطيع منع نفسي من التفكير في أنه كان بإمكاني فعلُ شيء. لو كنت أكثر حصافة لانتبهتُ أنّها تُعاني، قالت الأم بصوت مُرتعش.

همّت كاورو بإعادة الرسالة إلى الدُّرج، عاجزة عن العثور على كلمات تردّ بها، فرأت أنّ فيه رسائل أخرى.

- وهذه الرسائل، هي. . .؟

- الرسائل التي كانت تبعثها إليّ. أنا لا أستعمل البريد الإلكتروني فكانت تكتب لي من حين إلى آخر.

- أتسمحين لي بقراءتها؟

- تفضّلي. سآتيكِ بشاي، أضافت مُغادرة الغرفة.

جلست كاورو على مقعد قُبالة المكتب وشرعت في قراءتها. تُحدّث جونكو في هذه الرّسائل أمها عن الكتب المصورة التي تُؤلّفها وعن المشاريع التي تعتزم تنفيذها، من دون أن تتطرّق قطّ تقريباً لموضوع الأشخاص الذين لها اتّصال بهم.

وعندما كانت المرأة الشابة تهمّ بترك ما تقوم به مُفكّرة في أنها تُضيع وقتها، لفتت نظرها بطاقة بريدية عليها صورة حافلة حمراء عالية. قطعت نفَسَها وهي تقرأ بالمقلوب النّص المكتوب فيها: «أُرسلُ لك هذه البطاقة من لندن حيث تعرّفتُ على صديقة يابانية أصلها من هوكايدو تدرس ههنا. غداً ستأخذني في جولة حول معالم المدينة».

25

- أخبرتني السيدة تسوكوي أنّ ابنتها كانت قد عثرت على عملٍ عندما أنهَت دراستها، لكنها تخلّت عنه بعد ثلاث سنوات بغاية الذّهاب لدراسة الرّسم في باريس مدة سنتين. وتحمل البطاقة البريدية التي كانت قد أرسلتها إلى أمّها تاريخ هذه الفترة.

شعر كوساناغي بغيظ مُبهم وهو ينظر إلى شفتي كاورو أوتسومي المتحدّثة بنبرة فيها الكثير من الإثارة، ووجد نفسه مُرغَماً على قبول أنّه لا رغبةَ له في الاعتراف لها بقيمة ما اكتشفته.

كان ماميا يُنصت إليها جالساً على مقعده، دافعاً بكتفيه إلى الوراء وقد شبّك ذراعيه على صدره.

- أنت تعتقدين أنّ جونكو تسوكوي وأياني ماشيبا كانتا صديقتين. أهذا ما ترينه؟

- يبدو لي ذلك ممكناً جدّاً. إنّ تاريخ ختم البريد يتوافق مع الفترة التي كانت فيها السيدة ماشيبا تدرس في لندن. وهي تتحدّث عن طالبة يابانية أصلها من هوكايدو، لذلك فأنا لا أستطيع تصديق أنّها مُصادفة.

- لستُ متأكّداً ممّا تقولين، قال كوساناغي. أتدرين ما هو عدد

الطلبة اليابانيين الذين يدرسون في لندن؟ إنّهم بالآلاف وليس المئات!

رفع ماميا كفّاً يأمره أن يبقى هادئاً.

- لنفترض أنهما كانتا صديقتين، أفتعتقدين أنّ لذلك علاقة بتحقيقنا؟ سأل المرأةَ الشابة.

- إلى حدود هذه اللحظة، ليس هذا إلّا حدساً، لكن السيدة ماشيبا استطاعت الحصول على ما تبقّى من السّم الذي كانت جونكو تسوكوي قد انتحرت به.

- سأحدِّث تقنيينا في ذلك غداً. لا أدري إن كان بمقدورهم التحقّق من الأمر، لكن إن كان ما تفترضينه يا أوتسومي صحيحاً فإنّ السيدة ماشيبا قد تكون اقترنت بالزوج السابق لصديقتها.

- هذا صحيح.

- ألا ترين أنّ هذا مُستبعدُ الوقوع؟

- لا أراه كذلك البتّة.

- لماذا؟

- هناك أعداد هائلة من النساء اللائي يرتبطن بالأزواج السابقين لصديقاتهنّ. أنا أعرف منهنّ الكثيرات، وقد قالت لي بعضهنّ إنّ الاقتران بالزوج السابق لصديقة لا يكون بلا فائدة ما دام ما قد تكون حكَته لها هذه الصديقة عنه يسمح لها بأن تفهم أحسن مَن يكون.

- حتى لو كانت هذه الصديقة قد انتحرت؟ قال كوساناغي مُتدخّلاً، وأنّ هذا الزوج السابق قد يكون ربّما هو سبب انتحارها؟

- أنت تقول «قد يكون»، فنحن لسنا متأكّدين من ذلك.

- أنت تنسين أمراً في غاية الأهمية، هو أنّ أياني ماشيبا تعرّفت على زوجها في حفل استقبال، ألا تُزعجكِ هذه المصادفة؟

- أنا لا أرى مكمَنَ المشكل، ما داما كانا معاً أعزبين.

- ثمّ وقعا بعد ذلك في حبّ بعضهما مُصادفة؟ أرى أنّ من الصّعب تصديق هذه الحكاية.

- لست متأكّدة من أنّ كلمة «مُصادفة» قد استُعملت هنا استعمالاً رصيناً.

- كيف؟ سأل كوساناغي.

وتفرّس في وجهها.

- قد تكون السيدة ماشيبا تعمّدت ذلك. فما أدرانا! قد تكون وقعت في حبّه في أثناء علاقته بجونكو تسوكوي وقرَّرت التقرّب منه بعد انتحارها. ولقاؤهما في حفل استقبال خاصّ بالأشخاص الراغبين في الزواج قد لا يكون وليد المُصادفة.

- هذا لا يستقيم أبداً، قال زميلها. إنّها ليست من صنف النساء اللائي يتصرّفن بهذه الشّاكلة.

- حقّاً؟ وما الذي تعرفه عنها؟

وقف ماميا وأمرهما بالكفّ عن الشّجار.

- أعترف يا أوتسومي أنّ غريزتكِ وقّادة، لكنّكِ تتركين المجال لخيالك كي يشتطّ في التحليق. فلتنتظري إذاً أن يكون لنا المزيد من الأدلّة. أمّا أنتَ يا كوساناغي، فكُفّ عن مُعارضة ما تقوله بمُقاطعتها في أثناء حديثها. إنّ تبادلاً صريحاً للآراء يُؤدّي أحياناً إلى كشف الحقيقة. ألا يُشكّل حُسن استماعك للنّاس إحدى خصالك؟ إنّني أفتقد فيك هذه الخصلة اليوم.

- معذرة، قالت كاورو أوتسومي وهي تُنكّس برأسها.

وفعل كوساناغي مثلها صامتاً فعاد ماميا للجلوس.

- أفكارك يا أوتسومي مهمّة، لكنّك تفتقرين للأدلّة. وعلاوة على ذلك، فإنّ قبولنا أن تكون زوجة الضحية مُذنبة قد يُفسّر لنا كيف استطاعت الحصول على السّم، لكن باستثناء ذلك، فإنّنا لا نعرف شيئاً عن العلاقة القائمة بين الانتحار وجريمة القتل. أيذهب بكِ خيالك حدّ أن تري أنّ هذه المرأة قد تقرّبت من يوشيتاكا ماشيبا بهدف الانتقام لصديقتها؟

- لا، أنا لا أذهب حدّ ادّعاء ذلك... لا أعتقد بوجود أشخاص يتزوّجون بهدف الانتقام.

- في هذه الحال، نتوقّف اليوم عن وضع الافتراضات، وسيكون بإمكاننا أن نُعيد الكرّة عندما يُخبرنا التقنيون بما قد يعثرون عليه في مخزن السيدة تسوكوي.

كان مُنتصف اللّيل على وشك عندما عاد كوساناغي إلى بيته. حَدَته رغبة في الاستحمام لكنّه تمدّد على الفراش ما إن خلع سترته، وهو يشعر بتعب جسديّ، لكنّ ذهنه ظلّ مُتيقّظاً لسببٍ لا يعلمه.

هو لم ينسَ السّؤال الذي طرحته عليه زميلته: «ما الذي تعرفه عنها؟» لم يكن يعرف في الحقيقة أيّ شيء عن أياني ماشيبا، لكنّ الكلمات القليلة التي تبادلها معها وموقفها، كلّ ذلك أحدث لديه انطباعاً كأنه يعرفها.

لم يكن يعتقد أنها قادرة على الزواج بهذه البساطة من الرجل الذي كان على علاقة بصديقتها المنتحرة. وحتى لو لم يكن ليوشيتاكا أيّ دخل في هذا الانتحار، فإنها كانت بالتأكيد لِتَخَاف إيذاء مشاعر صديقتها المتوفّاة. أو على الأقل هو هكذا كان يستحضرها في ذهنه.

نهض وفسخ ربطة عنقه. وقع بصره على الكتابين المصوّرين اللذين كان قد ألقى بهما سابقاً على الطاولة؛ كتابا جينكو تسوكوي الصادران عن دار النشر كونوغي.

تمدّد على الفراش من جديد وجعل يتصفّح الكتاب المعنوَن **سقوط رجل الثّلج**. رجل الثّلج الذي يعيش في بلد الثّلوج ينطلق في رحلة نحو البلاد الساخنة، فينتبه على الفور أنه إن واصل رحلته نحو الجنوب سيذوب، فقرّر العودة إلى بلاد الثّلج. وخلال ذلك مرّ بالقرب من منزل، فلمح من النافذة سكّاناً، أسرةً مُتحلّقة حول موقد ففهم ما تُوفّره لهم الحرارة من عزاء، يقول النّص.

قفز كوساناغي من فراشه وهو يرى صورة الغرفة التي تعيش فيها الأسرة.

تعرّف اللّوحةَ النّسيجية المعلقة إلى الجدار.

نباتات النّورِية ذات الألوان الكثيرة تنتشر على عمق رماديّ كما يكون الأمر في رسم مُتعدّد الألوان.

هو لم ينسَ الإحساس الذي كان قد شَعَر به وهو يرى اللوحة أوّل مرّة، ولا يزال يتذكّر أيضاً المكان الذي رآها فيه.

كان يُزيّن جدار غرفة نوم آل ماشيبا.

إنّ هذه اللوحة هي التي كانت أياني تُريد تعليقها بمساعدة كوساناغي في وقت سابق من هذا اليوم. وكانت قد عدلت عن ذلك في آخر لحظة وقالت له إنّها تتخلّى عن الأمر الآن.

ألا تكون قد عدلت عن ذلك بسبب ذكره اسمَ جونكو تسوكوي أمامها؟ ألم تُرد تحاشي أن يرى كوساناغي اللوحة لعلمها بأنّ الرسامة قد نشرتها في أحد كتبها المصوّرة؟

أمسك كوساناغي برأسه بين كفّيه وقد جعل الدّم يخفق في صدغيه.

أيقظه صباح اليوم التالي رنين هاتفه. نظر في ساعته فرأى أنّ الوقت تجاوز الثامنة. كان قد نام في الأريكة، وقد وُضعت قنينة ويسكي وكأس فارغ نصفها على مائدة واطئة بالقرب منه.

تذكّر أنه كان قد شرب لأنّ النوم استعصى عليه، ولم ينسَ ما الذي كان حال بينه وبين النوم.

اعتدل بتثاقل ومدّ كفّه إلى محموله المستمرّ في الرنين على المائدة، فقرأ على الشاشة اسم أوتسومي.

- نعم، أنا كوساناغي.

- طاب صباحك. أنا أوتسومي. لدي جديد أُخبركَ به.

- ما هو؟

- لقد توصّلنا بنتائج التحليل الذي أُجري بسبرينغ 8، وقد رُصد وجودُ الزرنيخ في آلة التصفية.

26

يقع مكتب المحامي إيكاي على بُعد خمس دقائق من محطّة إبيسو، في الطّابق الثالث من عمارة تتشكّل من ستّة طوابق، وتقوم بشؤون الاستقبال فيه امرأة شابة في حوالي العشرين من عمرها ترتدي بذلة رمادية.

كان لكوساناغي موعد مع إيكاي لكنّه اضطرّ للبقاء في قاعة الانتظار المؤثّثة بطاولة صغيرة وكراس معدنية. ولمّا رأى مكاتب أخرى من النوع نفسه فهم أنّ لإيكاي عدّة مُساعدين. هو ذا السّبب إذاً في أنه كان قادراً على مُساعدة صديقه يوشيتاكا ماشيبا في إدارة شؤون الشركة.

أتى المحامي بعد حوالي خمس عشرة دقيقة ولم يعتذر على تأخّره، مُكتفياً بتحيته بحركة من رأسه، فلربّما كان يعتبر زيارة رجل الشرطة إزعاجاً له.

- هل عندك جديد؟ لم تُخبرني أياني بشيء، قال وهو يجلس.

- نعم ولا، أجاب كوساناغي. لقد اكتشفنا أموراً كثيرة، لكنني للأسف غير مُخوّل أن أقول لكَ أكثر من هذا.

أبدى إيكاي بسمة.

- مفهوم. لم تكن لي أيّ خلفية عندما طرحتُ هذا السؤال،

ولا وقت لي أُضيعه في الحدس. لقد استعادت شركة ماشيبا هدوءها، والشيء الوحيد الذي أرجوه هو أن تستطيعوا حلّ هذا المشكل بسرعة. ما الذي أتى بك اليوم؟ أتصوّر أنّك قد فهمت بأنني لا أعرف الشيء الكثير عن حياته، قال وهو ينظر علانية في ساعته، ما بدا كأنه أمرٌ للشرطي بالإسراع.

- أُريد أن أطرح عليك سؤالاً حول جانبٍ أنتَ على معرفة جيدة به. وعلى أيّ حال، سيكون ربما أدقّ أن نقول إنّك الوحيد القادر على الحديث في ذلك.

أمال إيكاي رأسه بادٍ على محياه تعبير مُحيَّر.

- جانبٌ أنا الوحيد القادر على الحديث فيه؟ أنا لا أرى ما هذا الجانب.

- لقاء يوشيتاكا ماشيبا بالمرأة التي ستصير زوجته. لقد كنتَ شاهداً عليه أليس كذلك؟ على أيّ حال، هذا ما كنت قلته لي.

- هذه الحكاية من جديد. . . قال إيكاي وقد بدت على محياه خيبة الأمل.

- هل بإمكانكَ أن تُحدّثني بدقّة عن الكيفية التي كان قد تمّ بها هذا اللقاء؟ مُبتدئاً بالطريقة التي كانا قد تعارفا بها.

عقد المحامي حاجبيه وارتسم الشّك على ملامحه.

- ألسؤالكَ علاقة بالتّحقيق؟

أبدى كوساناغي ابتسامة خفيفة ولم يُجبه، فلاحظ إيكاي ذلك وتنهّد.

- أنت لا تستطيع الإجابة، لكنّني لا أفهم. لقد حدث هذا منذ زمن طويل، وأنا لا أرى كيف يُمكن أن تكون له علاقة بالجريمة.

- نحن لا نعرف ما إن كانت ثمّة علاقة أم لا، ونحن بصدد دراسة كلّ الاحتمالات كما بإمكانك أن تتصور.

- أجد صعوبة في تصديق ما قلته لتوّك... لكن في نهاية المطاف، لنتجاوز هذا. ما الذي تُريدني أن أحكيه لك عن هذا اللّقاء؟

- سبق أن قلتَ لي إنّ حفل استقبالٍ نُظّم من أجل الأشخاص الذين يُريدون الزواج. وبحسب ما أعرفه، فإنّ في هذا الضّرب من السهرات عادة ما يكون كلّ شيء منظّماً قصد تسهيل اللقاء بين الأشخاص المنتمين إلى الجنسين. هل كانت الحال هكذا تلك الأمسية؟ هل كان قد طُلب مثلاً من المشاركين أن يعرّفوا بأنفسهم تباعاً؟

نفى إيكاي بكفّه.

- أبداً. كان حفل استقبال مع عشاء يخدم فيه كلّ شخص نفسه بنفسه. ولو كانت السهرة من النوع الذي وصفتَه لما كنتُ قبلت مرافقتَه.

هزّ كوساناغي رأسه، مُشكّكاً.

- السيدة ماشيبا كانت حاضرة، أليس كذلك؟ هل كانت بمفردها؟

- أجل، أعتقد. كانت تشرب عصيراً وهي تقف بالقرب من الكونتوار.

- مَن الذي بادر بمحادثة الآخر؟

- ماشيبا، أجاب المحامي على الفور.

- السيد ماشيبا؟

- نحن أيضاً كنّا نشرب كأساً أمام الكونتوار، وكانت تقف على بعد أمتار منّا فأبدى ماشيبا بغتة إطراء على غشاء محمولها.

كان كوساناغي يُسجّل رؤوس أقلام فتوقّف.

- على غشاء محمولها؟

- كانت تضعه على الكونتوار مُغشّى بنسيج مُزوّق، مع نافذة تسمح برؤية الشاشة. كان قال لها إنّه أنيق أو ربّما عمليّ، ما عدتُ أذكر. فكانت إجابته أنّها هي التي نسجته، وتبسّمت. بهذه الشاكلة شرعا في الحديث.

- وبهذه الطريقة تعارفا؟

- أجل، وكنت أنا في تلك اللحظة أبعد ما أكون عن تصوّر أنّ حديثهما سيقودهما إلى الزواج.

- هل كانت تلك المرّة الوحيدة التي رافقتَ فيها صديقك إلى هذا النّوع من الحفلات؟

- بالطبع، ما دامت لم تُنظّم تظاهرات أُخرى.

- وكان السيد ماشيبا دائماً يتصرّف بهذه الطريقة؟ يتوجّه بالحديث بسهولة لامرأة لم تكن له بها سابقُ معرفة؟

أمال إيكاي رأسه جانباً وميّز ملامحه.

- حسناً. . . أنا لا أقول إنّه كان خجولاً أمام النساء، لكنه لم يكن مُتحرّشاً عندما كنّا طلبة. وكان غالباً ما يقول إنّ المهمّ عند المرأة ليس ما نراه وإنما ما يُوجد داخلها. لا أعتقد أنّه كان يكذب. كان يعتقد بذلك.

- قد يكون خرق عادته في التصرّف إذاً هذا اليوم.

- صحيح. وعلى أيّ حال، كان قد فاجأني. فربما كان للأمر

صلة بما يُدعى الحبّ من النظرة الأولى. قد يكون شعر بشيء تجاهها، وربما بسبب ذلك أفضى هذا اللقاء إلى الزواج.

- حتى هذه اللحظة، لا شيء كان بدا لك شاذّاً عن العادة؟ حتى أقلّ تفصيل يُمكن أن تكون له فائدة عندنا.

فكّر إيكاي باستغراق قبل أن ينفي برأسه.

- ليست لدي ذكريات دقيقة، خلا أنهما كانا قد انخرطا في الحديث حتى أنني وجدتُني مُقصىً منه. لكن قُلْ لي بالأحرى لماذا تطرح علي هذا السؤال، سيد كوساناغي. ألا يُمكنك أن تُعطيني إشارة؟

تبسَّم الشرطيّ ووضع مفكّرته في جيبه.

- لو كنت قادراً لأخبرتُك. سأخبرك إذاً عندما يكون ذلك بمُستطاعي. أشكرك على ما وهبتني من وقتك. ونهض مُتوجّهاً نحو الباب لكنه توقّف. أرجوك ألّا تُحدّث أحداً عن حوارنا، وبالخصوص السيدة ماشيبا.

ألقى عليه إيكاي نظرة شكّاكة.

- الشرطة تشتبه بها؟

- كلا، أبداً. لكنني سأكون ممتنّاً لك إن لزمتَ الصّمت.

وسارع بالمغادرة تحاشياً لطرح أسئلة أُخرى.

عندما عاد إلى الشارع أطلق تنهيدة عميقة وهو يقف أمام العمارة.

فحسب إيكاي لم تكُن أياني هي التي بادرت بمُحادثة يوشيتاكا ماشيبا. لقد التقيا على ما يبدو مُصادفة في هذا الحفل.

هل الأمر كذلك حقّاً؟

كانت قد أجابته أنّها لا تعرف جونكو تسوكوي، عندما كان قد طرح عليها السؤال. إنّ هذا يُزعجه، وكان قد بدا له بالفعل مُستحيلاً.

لوحة نسيجية مُماثلة تماماً لتلك التي كانت أياني قد ابتدعتها تَمْثُل في الكتاب المصور الذي يحمل عنوان **سقوط رجل الثّلج**. إنها ليست نُسخة من عمل آخر لأنّ أياني ميتا، المبدعة في مجال الفسيفساء النّسيجية، لم تكن تستعمل إلّا ما تُبدعه هي، وبالنتيجة فإنّ جونكو تسوكوي قد تكون رسمته بعد إذْ رأته في مكان ما.

لكنّ ما قام به كوساناغي من أبحاث أبانَ له أنّ العمل الماثل في لوحة جونكو لم تكن أيُّ صورة منه مُثبتةً في أيّ دليل من دلائل معارض أياني ولا في أيّ كتاب يتضمّن أعمالها. لذلك فإنّ جونكو تسوكوي لم يكن بإمكانها أن ترى اللوحة إلّا في أثناء إقامة أياني لأحد معارضها. بيدَ أنّ تصوير الأعمال الإبداعية المعروضة محظور، والحال أنّ إعادة إبداعها بكلّ هذه التفاصيل مُستحيل بالتأكيد في غياب صورة لها.

ينتج عن هذا أنّ جونكو تسوكوي قد تكون رأت هذه اللوحة النّسيجية في سياق خاصّ وما كان ذلك ميسوراً إلّا إن كانت على علاقة بأياني.

لماذا كذبت السيدة ماشيبا؟ لماذا قالت له إنّها لا تعرف جونكو تسوكوي؟ أتكون قد فعلت ذلك ببساطة لأنها أرادت إخفاءَ أنّ زوجها المتوفّى كان زوجاً سابقاً لصديقتها؟

نظر كوساناغي في ساعته فرأى أنّ الوقت قد تجاوز الرابعة بعد الظهر بقليل. لا وقت يُضيّعه. له موعد مع يوكاوا في مختبره بعد

نصف ساعة، وهو يُفضّل إخلافَه لأن رجل الفيزياء لن يقول له على الأرجح أشياء يُحبّ سماعها، لكن من الأحسن سماعها من فم صديقه، لأنّ هذا من واجبه أيضاً بوصفه شرطيّاً، كما أنّ الرغبة تحدوه في الخلاص من تردّده الذي يجعله يترنّح.



27

وضع يوكاوا مصفاة ورقية في حامل المصافي وملأها بمسحوق القهوة مُستعمِلاً ملعقة بكفّ خبيرة.

- أرى أنّك اعتدتَ إبريق القهوة الكهربائيّ، لاحظت كاورو الواقفة خلفه.

- أنت على حقّ، لكنّني أعرف الآن نقائصه.

- وما هي؟

- يجب أن نُحدّد سلفاً عدد الفناجين التي سنشربها. لا مُشكلَ إن كنت أريد إعداد فنجانين أو ثلاثة، لكنّ لدي الانطباع دائماً بأنّ التّكلفة تكون مرتفعة إن أعددتُ فنجاناً واحداً. إن صنعت أكثر من ذلك، تبقى منه باقيةٌ، وأنا لا أُريد التخلّص منها، لكنّني إن احتفظتُ بها زمناً طويلاً كي أشربها يتغيّر مذاقها ويغدو رديئاً. إن الأمر مزعج.

- على أيّ حال، لن يكون الأمر كذلك الآن!

- لا قلق لديّ من هذا الموضوع. لقد توقّعت أربعة فناجين، واحداً لكِ وآخر لكوساناغي والثالث لي. تلك ثلاثة، وسأشرب الأخير على مهلي بعد انصرافكما.

كان يوكاوا على ما يبدو متأكّداً من أنّ حديثهم سيكون مُقتضباً، قالت كاورو في سرّها.

- زملائي ممتنّون لك، فلولا إلحاحُك ما كنّا طلبنا تحليل آلة التصفية بالسبرينغ 8.

- لم تكُن غايتي قطّ نيلَ امتنان زملائك. لقد قدّمت رأيي بوصفي رجل علم، هذا كلّ ما في الأمر.

جلس الفيزيائيّ أمام كاورو، وكانت رُقعة شطرنج مبسوطةً على المائدة التي يشتغل عليها. أمسك بفارسِ القطع البيضاء وجعل يُديره بين أصابعه.

- مكّن التّحليل إذاً من العثور على الزرنيخ؟

- النتائج مفصّلة جدّاً ومن المؤكّد أنّه نفسه الذي قتل يوشيتاكا ماشيبا.

نكّس يوكاوا بصره ووضع الفارس الأبيض.

- هل يُدقّق التقرير في أيّ جزء من الآلة عُثر على السّم؟

- قريباً من الصنبور على ما يبدو. في الآلة مصفاة لكن لم يوجد فيها سمّ. ويُدقّق التقرير أنّ المجرم دسّ الزرنيخ من دون شكّ قريباً من رابط آلة التصفية بالأنبوب.

- مفهوم.

- ومع ذلك فإنّ المشكل يكمن في كون الطريقة المستعمَلَة لم تُكتشف بعد، واصلت كاورو القول. كيف كان المجرم قد تصرّف؟ الآن وقد حصلنا على نتائج تحليل السبيرنغ 8 أتصور أنّك ستفسّر لنا هذا.

شمّر يوكاوا كُمّي وزرته البيضاء وشبّك ذراعيه.

- أيقول تقنيوكم إنّهم لا يعرفون هذه الطريقة؟

- من وجهة نظرهم، ليست هناك سوى طريقةٍ واحدة للقيام بذلك، وهي فصل الأنبوب عن الآلة ودسّ الزرنيخ وإعادة الرّبط، لكنّ هذا يترك بالضرورة أثراً.

- أيزعجكم عدم معرفتكم بالطريقة التي تصرّف بها القاتل؟

- بالطبع! فنحن، في غياب ذلك، لن نستطيع تحديد كيف ارتُكبت الجريمة حتى ولو كان لنا شخص نشتبه به.

- حتى لو تمّ التأكّد من وجود السّم؟

- إن كنّا نجهل الطريقة التي تصرّف بها القاتل سيربح المتّهم الدّعوى، وسيكفي مُحاميه القول إنّ السّم قد تمّ العثور عليه ربما بسبب عدوى نُقلت من القهوة.

- عدوى؟

- نعم، سيكفي محاميه أن يُؤكّد أنّ السّمّ الموجود في القهوة التي شربها الضحية قد قُرّب بشدّة، بسبب خطأ ارتكبناه نحن، من آلة التصفية، خصوصاً وأنّ الكمية التي عُثر عليها منه فيها ضئيلة جدّاً. . .

استند يوكاوا إلى مسند كرسيه وحرّك رأسه ببطء من أعلى إلى أسفل.

- أنت على صواب. إنّ هذا القول يستقيم. فإنْ لم يستطِعْ الاتّهامُ تفسير كيف دُسّ السّم في آلة التصفية، سيكون من شأن القاضي أن يَقبل أُطروحة الدّفاع.

- هذا هو السبب الذي يجعلنا مُضطرّين، وبأيّ ثمن، لفهم الطريقة التي دُسّ بها السّم. إنّنا نُعول عليك، كما يُعوّل عليك التقنيون أيضاً، وقد أحبّ أحدهم أن يُرافقني اليوم.

- ما كنت لأقبل بذلك، فأنا لا أريد أن أرى كلّ أنواع رجال الشرطة يغزون مكتبي.

- شككت في ذلك فلم أقبَل طلبه. سنكون هنا ثلاثتنا، أنا وأنت وكوساناغي.

- حسناً، لننتظر مجيئه. أنا لا أُحبّ أن أُكرّر الشيء نفسه مرّتين. وفضلاً عن ذلك فإنني أُريد أن أقوم بتثبُّت جديد، قال وهو يرفع سبّابته. كنت أُريد أن أطلب منكما معاً. . . كلا، رأيُكِ وحده يكفيني. ما هو باعث هذه الجريمة من وجهة نظركِ؟

- الباعث. . . فقدُ الحنان، أعتقد.

عكَسَ وجه الفيزيائيّ خيبة أمله.

- ماذا تقصدين؟ أنت لا ترين على أيّ حال أنّني سأقنع بتفسير هو بهذه الضبابية! أنا في حاجة إلى مزيد من التفاصيل كأن تقولي لي مثلاً من كان يُحبّ مَن ولماذا كان مُرتكب الجريمة قد قرّر المرور إلى الفعل.

- ليس لدي شيء ملموس.

- هذا لا يُزعجني، وكما قلت لكِ فإنّ رأيك يُهمّني.

- حسناً، قالت كاورو.

غلى الماء في الإبريق الكهربائيّ فنهض يوكاوا وذهب إلى المغسل وأمسك بفنجانين، فجعلت كاورو تتحدّث وهي تنظر إليه يقوم بذلك.

- أشتبه في السيدة ماشيبا بباعث أنّ زوجها خانها. وقد قرّرَت أن تقتله ليس عندما أخبرها أنّه يُريد الانفصال عنها بسبب عدم الإنجاب، وإنما لأنّ له امرأة أُخرى في حياته.

- أتكون قد اتّخذت هذا القرار خلال العشاء الذي أقاماه لآل إيكاي؟ سأل رجل الفيزياء وهو يملأ الفنجانين.

- أعتقد أنّها كانت قد وضعت اللمسات الأخيرة في ذلك المساء، لكن من الممكن أن تكون قد فكّرت فيه قبل ذلك. كانت قد انتبهت إلى العلاقة التي تجمع زوجها بهيرومي واكاياما، وكانت على علم أيضاً بأنّ مُساعِدتها حامل، وكان سماعُها زوجَها يُوحي لها بقراره قد شكّل القطرة التي أفاضت الكأس، من وجهة نظري.

حمل يوكاوا الفنجانين ووضع أحدهما أمام كاورو.

- وأين جونكو تسوكوي من كلّ هذا، من وجهة نظرك؟ ألا ترين لها علاقة بالموضوع؟ والحال أن كوساناغي يبحث في هذا الاتّجاه، أليس كذلك؟

كانت كاورو قد حكت له بمجرّد وصولها أنّ من المُرجّح أن تكون المرأتان قد سبق لهما أن التقتا.

- بالطبع. أنا لا أقول إنها لا علاقة لها بهذه القضية. أعتقد أنّ الزرنيخ المستعمَل في الحالتين معاً هو نفسه، وقد تكون السيدة ماشيبا التي كانت تعرفها قد حصلَت عليه.

حمل يوكاوا الفنجان إلى شفتيه وجعل ينظر إليها بطريقة غريبة.

- وبعد؟

- ماذا تقصد؟

- أيكون هذا هو رابطها الوحيد بجونكو تسوكوي؟ أليس لهذه الأخيرة علاقة بالباعث على الجريمة؟

- من الصّعب الآن أن. . .

تبسّم ورشف من قهوته.

- في ظلّ هذه الشروط، لن أُفسّر لكِ الخدعة.

- لمَ لا؟

- أنت لا تتبيّنين الطبيعة الحقيقية لهذه الجريمة، وسيكون خطِراً أن أُفسّر لك الخدعة.

- أتقصد أنّكَ قد فهمتها؟

- أكثر ممّا فهمتها أنت.

وفي اللحظة التي حدجته فيها بنظرة، طُرق الباب.

- لقد وصل في الوقت المناسب! علّه يكون هو قد فهم، قال يوكاوا وهو ينتصب واقفاً ليفتح له الباب.

28

ما إن دخل كوساناغي حتى سأله عمّا حصّله من حواره مع إيكاي. ورغم انزعاج المفتّش من ذلك، أجاب:

- كان يوشيتاكا ماشيبا هو مَن بادر. لقد تهاوت فرضية أن تكون هي التي قامت بالخطوة الأولى، قال مُفسّراً وهو ينظر إلى زميلته بطرف عينه.

- إنها ليست فرضية. كلّ ما في الأمر أنّني كنت أعتقد ذلك ممكناً.

- أهكذا! إنّ الأمور، على أيّ حال، لم تمرّ بهذه الشاكلة. ما الذي تعتزمين القيام به الآن؟ سأل وهو ينظر إلى كاورو أوتسومي.

ملأ يوكاوا الفنجان الثالث وقدّمه له فشكره.

- كيف تنظر أنت إلى المسألة؟ سأل الفيزيائي. إن كنت تُصدّق ما حكاه المحامي، فإن آل ماشيبا تعارفا خلال حفل الاستقبال، وإذاً فكونُ الصديقة السابقة للسيد ماشيبا كانت صديقةً للسيدة ماشيبا ليس سوى مُصادفةٍ. أيُناسبك هذا؟

رشف كوساناغي من القهوة قبل أن يُجيب، مُعيداً ترتيب أفكاره.

تبسّم يوكاوا قائلاً:

- يبدو لي أنّك لا تُصدّق ما قاله المحامي لك.

- لا أعتقد أنّه يكذب، أجاب كوساناغي. لكن لا دليل لي أيضاً على أنه قال الحقّ.

- ماذا تقصد؟

تنفّس كوساناغي قبل أن يواصل.

- قد يكونا تظاهرا بذلك.

- تظاهرا؟

- نعم، تظاهرا بأنّهما يلتقيان أوّل مرة، بيد أنهما كانا يعرفان بعضهما قبل ذلك، لكن بما أنهما لم يكونا يُريدان أن تُعلَم علاقتُهما ادّعَيا أنهما تعارفا في هذا الحفل. وكان إيكاي حاضراً لأنهما كانا في حاجة إلى شاهد على لقائهما. ألا ترى هذا ممكناً؟ إنه ليبدو لي أمراً غايةً في الإتقان أن يكون قد قرّر مُبادرتها بالحديث مُتّخذاً غشاء محمولها موضوعاً لذلك.

- بديع! قال يوكاوا مُتعجّباً، عيناه برّاقتان. أتّفق معك. ولنطلب من المرأة الوحيدة الحاضرة بيننا رأيها، أضاف وهو يلتفت نحو كاورو.

أبدت برأسها حركة موافقة.

- لا يبدو لي هذا مُستحيلاً، لكن لماذا قد يكونان فَعَلا ذلك؟

- نعم، هذا هو الأهمّ. لماذا كانا في حاجة إلى هذه المسرحية؟ سأل يوكاوا وهو ينظر جهة صديقه. هل لك فكرة عن ذلك؟

- من السّهل التخمين. لم يكُن باستطاعتهما التصريح بالحقيقة.

- الحقيقة؟

- حقيقة الطريقة التي كانا قد تعارفا بها حقّاً، والتي قد تكون

تمّت على الأرجح بواسطة جونكو تسوكوي. كانا يخافان أن تتكشّف هذه الحقيقة، لأنّ علينا ألّا ننسى أنّ تسوكوي كانت الصديقةَ السابقة ليوشيتاكا ماشيبا، فأرادا أن يُبدعا إطاراً آخر للقائهما، فاستغلّا حفل الاستقبال هذا.

فرقع يوكاوا أصابعه.

- يبدو لي هذا معقولاً، ولا حجّة لي كي أُعارضك، لكن متى قد يكونان تعارفا حقّاً؟ أو بالأحرى، منذ متى قامت بينهما علاقة حبّ؟ قبل انتحار جونكو تسوكوي أم بعده؟

تنفّست كاورو أوتسومي بعمق وانتصبت وسلّطت بصرها على يوكاوا.

- أتقصد أنّ جونكو تسوكوي قد انتحرت لأنّ السيد ماشيبا كان على علاقة بصديقتها؟

- يبدو لي هذا مُمكناً. قد يكون صديقها وصديقتها قد خاناها، ومن السّهل تصوّر ما كانت أحسَّت به من صدمة.

تعكّر مزاج كوساناغي لأنّ فرضية صديقه لا تبدو متكلّفةً في شيء، وقد راودت ذهنَه هو أيضاً هذه الفكرة ذاتها منذ أن تحدّث مع المحامي.

- في هذه الحال تكون دلالة حفل الاستقبال مفروغاً منها، قالت زميلته مُلاحظة. فحتّى لو اكتشف أحدٌ أنّ المرأتين كانتا صديقتين، ستتولّى شهادة السيد إكايي دور التأكيد على أنّ الأمر ليس إلّا مُصادفة وأنّ انتحار الآنسة تسوكوي لا علاقة له البتّة بهذه الحكاية.

- ممتاز. لقد غدا مُستوى استدلالكما أكثرَ عُلواً فأكثر، علّق يوكاوا وهو يهزّ رأسه.

- يُمكنك أن تتأكّد من ذلك لدى السيدة ماشيبا، اقترحت كاورو على زميلها.

- كيف أقوم بذلك؟

- سيكفي أن تُريها هذا الكتاب المصوّر الذي عثرت عليه، وأن تعرض عليها اللوحةَ النسيجية التي لا يوجد منها في الدنيا بأجمعها سوى نسخةٍ واحدة. فما كان لهذه الصورة أن تكون فيه لولا أن كانت تقوم بين المرأتين علاقة.

رفض كوساناغي بحركة من رأسه.

- سيكون بالإمكان أن تُجيب أنّها لا فكرةَ لها عن ذلك البتّة.

- لكن...

- لقد تستّرَت على ذلك حتى الآن، تماماً كما تستّرَت على أنّ هذه المرأة لم تكن الصديقة القديمة لزوجها فحسب وإنّما صديقتها هي أيضاً. وأنا لا أعتقد لحظة واحدة أنّها ستُغير موقفها إن واجهتُها بهذا الكتاب. لن يُفيد ذلك إلّا في إطلاعها على لُعبتنا.

- أتّفق مع كوساناغي، قال رجل الفيزياء وهو يقترب من رقعة الشطرنج ليُمسك بقطعة سوداء. لن يكون لكما الحقّ إلّا في ضربة واحدة لإسقاطها، أمّا إن فشلتما في ذلك فإنّ أخشى ما أخشاه أن تفوز هي بالجولة فوزاً كاملاً.

نظر كوساناغي إلى صديقه.

- أتعتقد أنّها هي مُرتكبة الجريمة؟

ومن دون أن يُجيب يوكاوا بشيء، نهض مُتحاشياً نظرته.

- لم يحِن بعد وقت الحديث في ذلك. ما العلاقة بين الماضي والجريمة؟ أو أيضاً: هل ثمّة علاقة بينهما، عدا السّم الذي هو نفسه في الحالتين؟

- من وجهة نظري، قد تكون وجدت خيانة زوجها أمراً لا يُغتفر بعد أن تزوجته وهي تعلم أنّ صديقتها قد انتحرت بسببه، قالت كاورو أوتسومي وقد بدا على ملامحها التّفكّر.

- مفهوم. يبدو لي افتراضك معقولاً، قال يوكاوا.

- أنا لا أعتقد أنّها كانت تُفكّر بهذه الطريقة، قال كوساناغي. هي كانت قد خانت صديقتها عندما خطفت زوجها منها، فكان بإمكانها إذاً أن تتفهّم خيانة مساعِدَتها لها بخطفها زوجَها.

- تقصد أنّها قد تكون فهمت بأنّها لم تنل إلّا ما تستحقّه، فما كان لها أن تتذمّر؟

- كلا، ليس هذا ما قصدته بالضّبط...

- لقد راودني سُؤال وأنا أستمع إليكما، قال يوكاوا الواقف أمام السّبورة السوداء وهو ينظر إليهما تباعاً. ما هو السّبب الذي جعل يوشيتاكا ماشيبا، من وجهة نظركما، يتخلّى عن جونكو تسوكوي من أجل أياني؟

- لأنه ملّها... بدأت كاورو بالقول قبل أن تصمت وتحمل كفّها إلى فمها. لا، أنا مُخطئة.

- أجل، أنت مُخطئة، قال كوساناغي. لقد أهملها على الأرجح لأنها لم تحمل. كان يوشيتاكا ماشيبا مستعدّاً للاقتران بها لو كانت قد حملت منه، لكنّ ذلك لم يحصل فقرّر أن يُجرّب مع غيرها. هذا أكيد من وجهة نظري.

- نعم. إنّ كلّ ما حكيته لي يجعلني أتّفق معك، لكن هل كانت أياني ماشيبا على بيّنة من ذلك وقتئذٍ؟ هل كانت على علم بأنّه قد اختارها فقط لأنّه يأمل في أن تُنجب له طفلاً؟

- أوه... صوّت كوساناغي مُتردّداً.

- لا أعتقد، أجابت كاورو أوتسومي بنبرة ثابتة. لا توجد امرأة تَسْعَد بأن تُختار زوجةً لهذا السّبب. وقد لا تكون انتبهت لذلك إلّا قُبيل الزواج لحظة تبادلهما هذا الوعد الشّهير الذي قبلت بموجبه أن يوضع حدّ لعلاقتهما إن لم تحمل منه بعد عام.

- أنا أيضاً أرى الأمور هكذا. لنُفكّر الآن في باعثها لقتله. لقد قلتِ يا كاورو قبل حين إنّ باعثها هو خيانةُ زوجها لها، لكن هل كان قد خانها حقّاً؟ زوجته لم تحمل منه بعد سنة من الزواج فأراد الارتباط بامرأة أُخرى. فهو، في نهاية المطاف، إنّما نفّذ الوعد الذي قطعاه على نفسيهما قبل الزواج، ألا ترين رأيي؟

- أتّفق معك بالتأكيد، لكنها ما كانت لتقبل بذلك من النّاحية النفسية.

كاد يوكاوا يتبسّم وهو يستمع إليها.

- لنُعِدْ صياغة المسألة بطريقة أُخرى. إن كانت أياني ماشيبا هي القاتلة فإنّ باعثها هو أنّها لم تكن تُريد الوفاء بالوعد الذي قطعته لزوجها. أهذا ما تُريدين قوله؟

- نعم.

- أليس لكَ ما تقوله في هذا؟ سأل يوكاوا وهو يلتفت جهة صديقه، قبل أن يُواصل: لنأخذ في الاعتبار الآن ما كانت تشعر به قبل زواجها. ما الحالةُ الذّهنية التي كانت عليها عندما قدّمت هذا الوعد؟ هل كانت مُتفائلة بشأن قدرتها على الحمل؟ أم أنّها كانت قد التزمت وهي تُفكّر في أنّ زوجها لن يعود للحديث عن هذا العقد المبرم بينهما حتى لو لم يحصُل الحمل؟

- الأمران معاً، على ما أعتقد، أجابت كاورو أوتسومي.

- ما تقولينه مهمّ. لكن، في هذه الحالة، دعيني أطرح عليك

هذا السؤال: إن لم تكُن قد استشارت طبيباً، أتكون قد أحجمت عن ذلك بسبب عدم حملها هذا العقد محمل الجدّ، مُفكّرة في أنّها ستظلّ زوجته حتى لو لم تحمل؟

- استشَارة طبيب؟ سألت المرأة الشابة وهي تعقد حاجبيها.

- بحسب ما أخبرتماني به أنتما الاثنين فإنّ السيدة ماشيبا لم تُبادر خلال السنة المنصرمة إلى العلاج من العقم. ألم يكُن من المنطقيّ أن تقوم بذلك بعد أشهر من الزواج؟

- هي لم تُفكّر في ذلك أبداً، بحسب ما صرّحت به مُساعِدتها، لأنّ هذه العلاجات تستغرق وقتاً طويلاً.

- خطأ. إنّ من أسرّ لهيرومي واكاياما بذلك هو السيد ماشيبا. فقد رأى أنّه يحسن به أن يُغير امرأة بأخرى على الفور بدل أن يقوم بأمر مُملّ كالبحث عن علاج للعقم. لكن ما وجهة نظرها هي؟ ألن تكون قد حدتها الرّغبة في أن تُحاول إنقاذ زواجها بكلّ الوسائل الممكنة؟

- كلامك صحيح، قال كوساناغي مُتمتماً.

- لماذا إذاً لم تستشر طبيباً في هذه الحالة؟ هنا مكمَن مفتاح هذا اللّغز، قال يوكاوا وهو يدفع نظّارتيه إلى الأعلى على أنفه بأطراف أصابعه. فكِّرا! ما السبب الذي قد يكون دفع هذه المرأة إلى عدم استشارة اختصاصيين في العقم، في حين أنها كانت تملك المال والوقت للقيام بذلك؟

استجاب كوزاناغي لأمر صديقه وحاول أن يضع نفسه مكان أياني، لكن سُدىً، لأنه لم يجد جواباً عن السؤال الذي طرحه الفيزيائيّ.

نهضت كاورو أوتسومي بغتة من مقعدها.

- ألا يكون إحجامُها عن الاستشارة ناتجاً عن علمها بأنّ. . . ذلك لن يُفيد في شيء؟

- لن يُفيد في شيء؟ كيف؟ سأل زميلها.

- كانت تعرف سلفاً أنّ العلاجات كلّها عاجزةٌ عن مُساعدتها. وشخص يُوجد في هذه الوضعية لا يذهب لاستشارة الطبيب.

- بالضّبط، قال رجل الفيزياء. هي كانت على علم بذلك فلم تستشِرْ طبيباً. هذا هو الجوابُ الأكثر عقلانية. عمرها تجاوز الثّلاثين، وقد سبق لها بالتأكيد أن استشارت طبيب نساء، وقد يكون أخبرها أنّها لن تحمل أبداً. وفي هذه الحال، لن تُفيد زيارة الطبيب في شيء، عدا أن تُجازف بأن يكتشف زوجها صنيعها.

- انتظر! أتكون قد قدّمت وعدها بالانفصال في حال عدم الحمل وهي على علم بعقمها؟ سأل كوساناغي.

- تماماً، مع الأمل الوحيد بأن يجعلها زوجها في حِلّ من هذا الوعد. لكنّه بدلاً من القيام بذلك، نفّذه، فقرّرت قتله. أمّا الآن، فهذا هو السؤال الذي أطرحه عليكما معاً: في أيّ لحظة تصوّرت قتلَ زوجها؟

- حسناً. . . عندما اكتشفت العلاقة القائمة بين يوشيتاكا ماشيبا. . . شرع كوساناجي يقول.

- كلا، قالت كاورو أوتسومي مُقاطِعَة. إذا كانت قد فكّرت في قتله إن طالبها بالالتزام بوعدها، فقد تكون فكّرت في قتله لحظة الالتزام بالوعد.

- هذا هو الجواب الذي كنتُ أنتظره، قال يوكاوا صارم الملامح. كانت السيدة ماشيبا قد توقّعت منذ أكثر من عام بأنها قد

تلتجئ للتخلّص من زوجها، ومن الممكن، تبعاً لذلك، أن تكون قد شرعت منذئذٍ في الاستعداد لقتله.

- الاستعداد لقتله؟ سأل كوساناغي وهو يتفرّس زميله.

التفت يوكاوا نحو كاورو.

- لقد عرضتِ عليّ قبل قليل وجهة نظر تقنييكم. فبحسبها ليس هناك إلّا طريقة واحدة لدسّ السّم في جهاز التصفية، وهي فكّ الأنبوب ووضع السّم داخله وإعادة تركيبه، أليس الأمر هكذا؟ إنّ تقنييكم لم يُخطئوا، لأنّ مُرتكب الجريمة تصرّف بهذه الطريقة منذ سنة.

- مستحيل... صاح كوساناغي وهو يقف مذهولاً.

- ما يعني ألّا أحد استعمل منذئذٍ صنبور الماء المُصفّى، لاحظت كاورو أوتسومي.

- تماماً. لم تستعمله السّيدة ماشيبا ولو مرّة واحدة طيلة هذا العام.

- كيف يكون ذلك ممكناً؟ إنّ الآثار على مصفاة الجهاز تُظهر أنّه قد استُعمل.

- الأوساخ التي عُثر عليها في المصفاة لا تعود إلى السّنة الماضية وإنّما إلى التي قبلها، صرّح يوكاوا وهو يفتح درج مكتبه ويُخرج وثيقة من صفحة واحدة. ألم أكن قد طلبت منكما تسليمي رقم المصفاة؟ لقد اتّصلت بالمُصنّع لأسأله عن المرحلة التي بدأ فيها تداولُها، فكان جوابه: منذ سنتين. ودقّق أنّه لا مجال لأن تكون مصفاة من هذه السلسلة قد رُكّبت منذ سنة. لقد قام مُرتكب الجريمة على الأرجح بإعادة تركيب هذه المصفاة بعد أن كان عامل قد

عوّضَها بأخرى. ولو كانت المصفاة جديدة بعد وقوع الجريمة لغدت مثارَ شكٍّ. وبهذه المناسبة دُسّ السّم.

- لكنّ هذا مستحيل، قال كوساناغي بصوت أجشّ. مستحيل تماماً. كيف يُمكننا تصوّر أن يكون السّم قد دُسّ منذ سنة خلت وألّا يكون أحد قد استعمل صنبور الماء المُصفّى! فحتّى لو لم تستعمله هي قد يكون شخص آخر فتحه. لا أحد يُقدِم على أمرٍ بهذه الخطورة.

- الطريقة خطيرة بالضرورة، لكنها نجحت، واصل يوكاوا القول ثابتاً على رأيه. لم تخرج السيدة ماشيبا أبداً من بيتها خلال السنة الماضية، عندما يكون زوجها حاضراً في البيت، حريصةً على ألّا يقترب أحد من الصنبور. كانت تطبخ بمفردها حتى عندما يكون في بيتها ضيوف، وتحرص على أن تكون دائماً قناني ماءٍ في الثلاجة. وقد تصرّفت بهذه الطريقة حماية لخُدعتها.

حرّك كوساناغي رأسه بالنّفي مرّات مُتعدّدة.

- أنت تهذي! هذا مُستحيل. لا أحد يقدر على فعل شيء مثل هذا.

- بلى. ذلك ممكن، قالت كاورو أوتسومي. لقد قمت بتحقيق، بأمر من السيد يوكاوا، حول تفاصيل حياتهما اليومية منذ أن تزوّجا. وقد سألت أيضاً هيرومي واكاياما في الموضوع، رغم أنني لم أكُن أفهم معنى الأسئلة التي كان عليّ طرحها عليها، لأنني إنّما كنت أنفّذ أمر السيد يوكاوا، لكن كلّ شيء واضح عندي الآن. كنتَ تُريد التأكّد ممّا إذا كانت الفرصة قد واتت شخصاً آخر غير السيدة ماشيبا للاقتراب من جهاز التصفية، ألم تكُن تلك غايتك؟

- هي كذلك بالضّبط. وما عادت لديَ شكوك عندما عرفت

كيف كان السيد ماشيبا يقضي أيام عُطلته. ألم تكُن زوجته تقضي بياض يومها جالسة على أريكة قاعة الاستقبال وهي تنسج لوحاتها؟ وقد أضحت الأمور كلّها أوضح فأوضح عندما زرتُ بيتهم. فمن المكان الذي تشتغل فيه على أعمالها كان بإمكانها التأكّد من أنه لم يلج المطبخ.

- أنت تكذب وتتوهّم، قال كوساناغي بصوتٍ كأنّه الأنين.

- منطقياً، كلّ طريقة أُخرى هي مستحيلة. وطريقتها هذه تعكس عناداً مُذهلاً وقوةَ إرادةٍ خطيرة.

- أنت تكذب، قال كوساناغي من جديد، بصوتٍ ضعيف.

وتذكّر ما كان قاله له إيكاي، لا يدري متى، حول إخلاص أياني: «كانت زوجة ممتازة، أوقفت كلّ أنشطتها الخارجية لتُكرّس نفسها لبيتها. ولمّا يكون ماشيبا في البيت تكون هي أيضاً حاضرة، جالسة دائماً على أريكة غرفة الاستقبال، في يدها عمل من الفسيفساء النّسيجية، مُستعدّة لتلبية كلّ رغباته».

تذكّر أيضاً ما كان أبوا أياني قد أسرّا له به. لم تكن ابنتهما طبّاخة ماهرة وقد تابعت دروساً في الطبخ كي تُنمّي معارفها فيه.

بالإمكان تأويل هذين التفصيلين بأنهما تَحَوّطان غايتهما الحيلولة دون أن يلِجَ المطبخَ أيٌّ كان.

- وعندما كانت قد قرّرت قتل زوجها، لم تكن إذاً في حاجة إلى شيء مُحدّد تقوم به، لاحظت كاورو أوتسومي.

- نعم، لا شيء البتّة غيرَ أن تنصرف من بيتها إلى بيت أهلها تاركةً إياه وحيداً. كلا، ليس هذا صحيحاً كلّ الصحّة؛ كان لها شيء وحيد تفعله وهو أن تُفرغ بعضاً من قناني الماء التي كانت قد اشترتها سلفاً. وأتصوّر أنّها لم تكن قد تركت سوى واحدةٍ أو اثنتين. وما

استمرّ زوجها في الشّرب من مائهما لا يحصل له شيء. وقد يكون أعدّ قهوة في المرّة الأولى من هذا الماء، لكن في المرّة الثانية، عندما كان وحيداً، استعمل صنبور الماء المُصفّى. لم يكن بقي إلّا قنينة ماء واحدة ففضّل الاحتفاظ بها، ففعل السّمُّ فعله بعد أن انتظر ساعته سنةً. قطع يوكاوا كلامه ليرتشف من قهوته. وزوجته التي كان بإمكانها قتله في أيّ لحظة، لم تكفّ خلال هذه الفترة عن الحرص على ألّا يتمّ ذلك مُصادفة. إنّ غالبية الناس الذين يقتلون شخصاً يُكابدون عنتاً كبيراً للقيام بذلك، ويبذلون جهوداً خارقة للعادة، لكنّ العكس هو ما حصل في هذه الحالة، لأنّها بذلت خلال سنة كاملة مجهوداً جبّاراً لكيلا تقتله. إنّها حالة فريدة، لا سابق لها تاريخياً ولا جُغرافياً. جريمة ممكنة منطقياً مستحيلة عملياً. وهذا هو السبب الذي كان قد جعلني أُشير إلى الأعداد المتخيّلة.

خطت كاورو خطوات نحو كوساناغي.

- علينا استدعاؤها على عجل.

ألقى كوساناغي نظرة على تعبير الفوز الماثل في محيا زميلته ثمّ نظر جهة يوكاوا.

- هل لدينا أدلة تُثبت أنها قد تصرّفت بهذه الطريقة؟

- أزاح الفيزيائيّ نظّارته ووضعها على الطاولة.

- كلّا. وكيف تُريد أن تكون لنا أدلّة على هذا؟

ألقت عليه كاورو أوتسومي نظرة مندهشة.

- حقّاً؟

- الأمرُ منطقيّ عندما نُفكّر فيه. لو كانت فعلت شيئاً لكان بقي منه أثر. لكنّه لم يكن لها شيء تفعله. عدم القيام بأيّ شيء كان هو طريقة ارتكاب هذه الجريمة. من العبث إذاً البحث عن آثار لفعلها.

العنصر الماديّ الوحيد الذي في حوزتنا هو الزرنيخ، لكنّ أوتسومي فسّرت لي لتوّها لماذا لا يُمكنه أن يكون دليلاً كافياً. كما أنّ الرقم التسلسليّ للمصفاة ليس إلّا دليلاً غيرَ مباشر. بعبارة أُخرى، إنّ إثبات أنها قد استعملت هذه الخدعة أمر مُستحيل.

- لكن... تمتمت كاورو أوتسومي.

- هو ذا السبب الذي جعلني أقول لكما إننا أمام جريمة كاملة.

29

أومأ ماميا بعينه، وهو يعود من الخارج، لكاورو المنهمكة في ترتيب بعض الوثائق في قاعة الاجتماعات، فنهضت واتّجهت نحوه.

- لقد تحدّثت عن القضية مع الرؤساء، قال ماميا عابساً وهو يجلس.

- هل صدر أمر بإلقاء القبض؟

نفى ماميا برأسه.

- الأمر مُستحيل في الوضع الراهن. العناصر التي في حوزتنا غيرُ كافية. استنتاجات أستاذنا غاليليو مرموقة كالعادة، لكنها تفتقد إلى الأدلّة، ولا يُمكننا بدء المتابعة.

- هذا ما كنت أتوقّعه، قالت المرأة الشابة وهي تُطرق برأسها.

كان كلّ شيء يمشي وفق ما تنبّأ به يوكاوا.

- الرؤساء حائرون. هم لم يسبق لهم أن رأوا جريمة ينصب فيها القاتل فخّه سنة قبل استعماله ويحرص خلال ذلك كلّ الحرص على ألّا يُبتلع السّم، ولست متأكّداً حتى ممّا إذا كانوا قد صدّقوني. أنا أتفهّم ردّ فعلهم حقاً. أعترف أنّ هذه هي الإمكانية الوحيدة، لكن من الصّعب تصديقها لفرط ما تبدو غير مُحتمَلَة الحدوث.

- أنا نفسي لم أُصدّقها عندما كان السيد يوكاوا قد فسّرها.

- يذهب الناس للبحث عن أمور لا سابق لها، كمثل هذه السيدة ماشيبا وكمثل فيزيائيّنا الذي سبر الجهاز الذي ركّبته. أنا أتساءل ما الذي يوجد في رؤوسهم. ثمّ قطع كلامه وعقد ما بين حاجبيه. من المستحيل القول ما إذا كانت فرضية الفيزيائيّ صحيحة، وما دامت الحال هكذا لن يكون بإمكاننا القيام بشيء في حقّ أياني ماشيبا.

- وما علاقة جونكو تسوكوي بكلّ هذا؟ ألم يزُر تقنيون من الشرطة العلمية بيت أمّها؟

- أرسلوا علبة المصبرات التي احتُفظ بالزرنيخ فيها كي تُحلّل بالسبرينغ 8. لكن حتى لو سلّمنا بالعثور على أثر للسّم فيها وأن يكون هو السّم نفسه المستعمَل في هذه الجريمة فإنّ ذلك لن يُشكّل دليلاً قاطعاً. ولن يكون بإمكاننا حتى أن نكون متأكّدين من إمكانية اعتباره دليلاً غير مُباشر. فما دام يوشيتاكا ماشيبا كان على علاقة بجونكو تسوكوي، قد يكون وجد السّبيل إلى السّم.

تنهّدت كاورو بعمق.

- لكن ما الذي بإمكانه إذاً أن يكون دليلاً قاطعاً؟ أخبرني وسآتيك به مهما كلّف الثمن! أم أنك تعتقد كما قال السيد يوكاوا أننا أمام جريمة كاملة؟

قطّب ماميا وجهه.

- لا داعي للتهويل! يكمن مشكلنا الحقيقي في أننا لم نعرف كيف نُثبت أنّ الجريمة قد ارتُكبت بهذه الطريقة، أليس الأمر كذلك؟ الشيء الوحيد الآن الذي يُشبه دليلاً هو آلة التصفية ما دام فيها أثر للسّم، لذلك يُقدّر رؤسائي أنّ الأهمّ هو تقوية قيمة هذا الدليل.

عضّت كاورو شفتيها. حصل لديها الانطباع أنّ رأي رئيسها يمشي في اتجاه التسليم بالهزيمة.

- لا تتكدّري هكذا! أنا لا أعتبر نفسي منهزماً، وليس من السّهل ارتكابُ جريمة كاملة.

وافقت على ما قال بحركة من رأسها وغادرت الحجرة. لم تكن تُشاطر ماميا وجهة نظره.

هي لم تكُن تجهل أنّ من الصعب ارتكابَ جريمة كاملة، لكنّ الجريمة التي ارتكبتها أياني ماشيبا هي من التّعقيد بحيث يعجز عن ارتكاب مثلِها شخصٌ عادي، فخشيت من أن تكون فعلاً جريمة كاملة.

لمّا عادت إلى قاعة الاجتماعات أخرجت محمولها لترى إن كانت قد توصّلت برسائل نصّية. كانت تأمل أن تجد واحدة من كوساناغي يُخبرها بتطوّرٍ قد يكون حصل في القضية، لكن الرسالة الوحيدة التي وجدتها كانت من أمّها.

30

كانت هيرومي واكاياما قد احتلّت مكانها سلفاً في المقهى الذي تواعدا على اللقاء فيه. وعندما رآها كوساناغي غذّ خطوه.

- معذرة على التأخّر.

- لا داعي للاعتذار، فإنّما وصلت لتوّي.

- أنا خجل من إزعاجك مرّة أُخرى. سأعمل على أن يكون لقاؤنا وجيزاً.

- لا تحمل همّ ذلك، خذ وقتك. أنا لا أشتغل الآن ولست مستعجلة، فسّرت مع إبداء بسمة خافتة.

كان شكلها يبدو أفضل من المرّة الأخيرة التي التقاها فيها، فحصل لكوساناغي الانطباعُ بأنّها قد تعافت من الصدمة التي كانت أصابتها.

أقبلت النادلة إلى مائدتهما فطلب قهوة قبل أن يسأل هيرومي واكاياما إن كانت تُريد أن تشرب اليوم أيضاً كوب حليب ساخن.

- لا، أُريد شاياً بالليمون.

شرع كوساناغي يضحك بعد ذهاب النادلة.

- أُعذريني، لقد تذكّرت أنّكِ كنت قد شربت حليباً ساخناً ذلك اليوم.

- صحيح، قالت وهي تهزّ رأسها، بيد أنّه ليس لي ميل خاصّ للحليب الساخن. وأنا الآن لا أُريده.

- هكذا! هل لديك سبب خاصّ لعدم شُربه؟

أمالت رأسها جانباً.

- هل من الضروريّ الإجابةُ عن هذا السؤال؟

- بالطبع لا! أجاب مُرفِقاً إجابته بحركة نفي من كفّه. أنت قلت لي إنّك لست مستعجلة، لكنّ هذا لا يعني أن أخوض في خصوصياتك. لقد أردتُ لقاءك اليوم لأطرح عليك أسئلة تخصّ مطبخ آل ماشيبا. هل تعرفين أنه مُزوّد بآلة لتصفية الماء؟

- نعم.

- هل سبق لك أن استعملت هذا الماء المصفّى؟

- لا، أجابت بلا تردّد.

- يا له من جواب سريع! كنت أنتظر أن تجدي نفسك مُضطرّة لبعض التفكير.

- ذلك أنني... جعلت تقول، لم أكُن ألج المطبخ إلّا نادراً، ولم يسبق لي أن ساعدتُ أياني في إعداد أيّ شيء. فأنا لم تكن لي إذاً أيّ فرصة لاستعماله. ويبدو لي أنني سبق لي أن قلت لزميلكم إنني لم أكُن أدخل المطبخ إلّا لإعداد شاي أو قهوة عندما تطلب منّي ذلك أياني. ولا يحصل ذلك إلّا حالما تكون هي بالمطبخ مُنهمكة في إعداد شيء ما يستلزم كلّ انتباهها.

- لم يسبق لك أن ذهبت بمفردك إلى المطبخ؟

بدت المرأة الشابة مُتردّدة.

- لست متأكدة من فهم غايتك من طرح هذا السؤال.

- لا أهمية لذلك. هل تستطيعين تذكّر ما إن كان قد سبق لك أن كنت وحيدة في المطبخ؟

فكَّرَت عاقدة ما بين حاجبيها قبل أن تنظر إليه.

- لا أعتقد. كان لدي الانطباع بأنّ أياني لم تكن تُريد أن أذهب إليه وحدي.

- هل حظَّرت عليكِ ذلك صراحة؟

- لا، لم تُصارحني علانية، لكنني أحسستُ أنها لا تُحبّ ذلك. ألا يُقال بأنّ المطبخ هو المكان الخاص بربّة البيت؟

- مفهوم.

أتت النادلة بطلبيهما فوضعت هيرومي واكاياما اللّيمون في شايها ورشفت باستمتاع ظاهر. كانت تبدو في حال صحية جيدة.

أمّا كوساناغي فكان مُنهكاً. إنّ ما صرّحت له به لتوّها يتساوق مع فرضية يوكاوا.

ارتشف من قهوته ونهض.

- أشكركِ على تعاونك.

نظرت إليه بعينين جاحظتين.

- هذا كلّ شيء؟

- أجل، لكن بإمكانكِ أنت أن تبقي، من فضلك.

ومدّ كفّه في اتجاه الفاتورة الموضوعة على المائدة وتوجّه نحو شباك الأداء.

وفي أثناء بحثه عن سيارة أُجرة، أخطره هاتفه أنّه قد توصّل برسالة. نظر في الشاشة فرأى أنها من يوكاوا.

«أُريد مُحادثتك في شأن خُدعتنا». فاتّصلَ به.

- أُريد التثبّت من أمرٍ في أسرع وقت، فهل يُمكننا أن نلتقي في مكان ما؟

- في هذه الحال سآتي إلى المختبر. ما الذي تُريد التثبّت منه؟ كنت أعتقد أنّك متأكّد من فرضيتك.

- أنا كذلك بالطبع، ولأجل ذلك أُريد التثبّت منها. أسرع! قال يوكاوا قبل أن يُقفل الخطّ.

وصل كوساناغي إلى الكلية بعد حوالي ثلاثين دقيقة.

- لقد أمعنتُ التّفكير في القضية كلّها مُفترضاً أنّ الخدعة التي فكّرتُ فيها قد استعملت، فشغلني أمر. وقد استدعيتك لأنّني أعتقد أنّ هذا عنصرٌ يُمكنه مُساعدتك، قال الفيزيائيّ مُفسّراً وهو ينظر إليه.

- قد تكون لهذا الأمر أهمية فعلية.

- أجل. أُريد أن أعرف ما كان قد حدث عندما عادت السيدة ماشيبا إلى بيتها بعد جريمة القتل. ألم تكن أنتَ في بيتها وقتئذٍ؟

- بلى. كنّا أنا وأوتسومي قد أتينا بها من المطار.

- ما الشيء الأوّل الذي كانت قد أقدَمَت عليه؟

- حسناً، كانت في البداية رغبت في رُؤية زوجها...

حرّك يوكاوا رأسه بغضب.

- من المفروض أن تكون قد ذهبت إلى المطبخ وفتحت الماء، هل أنا مُخطئ؟

انتفض كوساناغي، وهو يستعيد المشهد بوضوح.

- أنت مُحقّ. كانت قد صبّت الماء، كما تقول.

- لأيّ غرض؟ أتصوّر أنّها قد أفرغت الكثير منه، واصل يوكاوا القول، عيناه برّاقتان.

- كانت قد سقت الورود مُفسِّرة أنّها لا تستحمل رُؤيتها تذوي.

كانت قد ملأت دلواً وصعدت إلى الطابق العلويّ لريّ ورود أصص الشرفة.

- ها نحن نصل إلى الصّميم! قال الفيزيائيّ مُتعجّباً وهو يوجّه سبّابته في اتجاه صديقه. فبتلك الطريقة أنهت خُدعتها.

- أنهت خُدعتها؟

- لقد وضعت نفسي مكانها. كانت انصرفت من بيتها وهي تعلم أنّ السّم مدسوس في جهاز تصفية الماء. شرب منه الشّخص المستهدف فمات، لكن بالها لم يكن مُرتاحاً، فقد يكون بقي شيء من السّم في آلة التصفية.

اعتدل كوساناغي قائلاً:

- أنت على صواب.

- لو لم تكن قد قامت بذلك لبقيت عُرضة للخطر. فربّما قد يشرب شخص آخر من الماء المُصفّى فتموت ضحية أخرى، ويغدو بإمكان الشرطة أن تكتشف الخدعة على الفور. كان عليها أن تجعل الأدلة تختفي في أسرع وقت ممكن.

- من أجل هذا كانت قد سقت الورود...

- ملأت الدلو بماء الصنبور المُصفّى، فسمح لها ذلك أن تسكب منه الكثير كي تجعل السّم كله يختفي. ولولا السبرينغ 8 لما كنّا عثرنا له على أثر. فبذريعة سقي الورود أخفت الدليل على جريمتها وأنتم تنظرون.

- أنا أفهم الآن لمَ كانت تُصرّ على سقيها...

- لو كان هذا الماء بين يديك لكان لك دليل، قال يوكاوا. إنّ جزيئات الزرنيخ القليلة التي عُثر عليها في جهاز التصفية لا تكفي للتدليل على الخُدعة. ولو كان بإمكانكم أن تُبينوا بأنّ ماءً يحتوي

على ما يكفي من السّم لقتل شخص قد خرج من آلة التصفية يوم وقوع الجريمة، لشكَّل ذلك الدليلَ على ما أدّعيه.

- كان هذا الماء، كما قلت لك قد استُعمل لريّ النباتات.

- في هذه الحال وجب تحليل تُراب الأصص. من المفروض أن يُعثَر فيه على الزرنيخ باستعمال السبرينغ 8. ربما لن يكون من السهل إثباتُ أنّ مصدره هو الماء الذي سقت به النباتات وقتئذٍ، لكنه سيُشكّل مع ذلك دليلاً.

أثارت كلمات يوكاوا أمراً ما لدى كوساناغي لم يستطع تبيّن كنهه، أو ربّما قد يكون نسيه.

هذه الذكرى الشبيهة بقطعة صغيرة جانحةٍ في ذهنه، طفت بغتة على صفحة وعيه فتنهّد وتفرّس وجه صديقه.

- ما بالك؟ سأله يوكاوا. أيعلَقُ شيء ما بوجهي؟

- كلا، قال كوساناغي مُحرّكاً رأسه. لدي خدمة أطلبها منك. لا، ليس الأمر كما قلتُ. إنّ مُحقّق الشعبة الأولى للتحقيقات الإجرامية لوكالة شرطة العاصمة الذي أُمثّله يودّ تقديم مُلتمس إلى أستاذ جامعة تايتو الذي هو أنت.

غدا وجه يوكاوا صارماً ودفع بنظّارته إلى الأعلى على أنفه بأطراف أصابعه.

- أنا أستمع إليك.

31

وقفت كاورو أمام الباب حيث لا تزال اليافطة **آنز هاوس** مُعلّقة، بيد أنّ كوساناغي كان قد أخبرها أن مَشغَل الفسيفساء النسيجية قد أُغلق بصفة نهائية.

هزّ زميلها رأسه فقرعت الجرس. لم يُجب أحد، ولمّا همّت بقرعه من جديد سأل أحد من الجهة الأخرى للباب: «مَن بالباب؟» فتعرّفت صوت أياني.

- كاورو أوتسومي، من وكالة شرطة العاصمة، قالت وهي تتحدّث بصوت خافت ما استطاعت حتى لا يسمعها الجيران.

ساد صمت.

- آه، الآنسة أوتسومي! أيّ خدمة أُقدّمها لك؟

- أُريد أن أطرح عليك بعض الأسئلة. ألن أُزعجك؟

صمت جديد. تصوّرت كاورو أياني مُستغرقةً في أفكارها من الجهة الأخرى للباب.

- لحظة، سأفتح لك.

تبادل الشرطيان نظرة. أصدر لها إشارة جديدة من رأسه.

سُمع صوت القفل وانفتح الباب. بدت أياني مُتفاجئة قليلاً

عندما رأت كوساناغي. لا بدّ أنها كانت تعتقد بوجود أوتسومي بمفردها.

حياها الشرطي بحركة من رأسه.

- معذرة على إزعاجك.

- السيد كوساناغي برفقتكِ! قالت أياني مع بسمة. ادخُلا رجاءً.

- أوه... نودّ أن نطلب منك مُرافقتنا إلى مفوضية ميغورو.

اختفت بسمة أياني.

- إلى مفوضية ميغورو؟

- نعم. نُريد الحديث معكِ هناك. الأمر صعب قليلاً.

نظرت أياني إليه بانتباه، وفعلت كاورو مثلها فرأت حزناً وأسفاً في عينيه، بل وحتى تعاطفاً. وقد تكون أياني أيضاً لمحت فيه ما قد يكون تَجشّمَه من جهد كي يجد من نفسه القدرة على المجيء إلى هنا.

- حقّاً؟ أجابت وهي تُلقي عليه نظرة ملؤها اللّطف. حسناً، سآتي معكما. أحتاج بعض الوقت للاستعداد، ادخُلا، ستكونان مُرتاحين أكثر بالداخل. لن أستطيع التركيز وأنا أعرف أنّكما تنتظرانني في الممرّ.

- شكراً. هذا لطف منك، أجاب كوساناغي.

فتحت أياني الباب على مصراعيه.

كانت الشقة مُرتّبة بعناية وما يوجد فيها من أثاث ومن أشياء هو أقلُّ ممّا رآه سابقاً، لكنّ الطاولة الكبيرة المُخصّصة للخياطة كانت لا تزال وسط الغرفة.

- أنتِ لم تُعلّقي بعدُ هذه اللوحة النّسيجية، لاحظ كوساناغي وهو ينظر إلى الجدار.

- لم يُسعفني الوقت.

- هكذا! ستُناسب هذا الحائط بموقعها الرائع. تبدو وكأنها خارجة من ألبوم للحكايات!

نظرت أياني إليه من دون أن تكفّ عن التبسّم، ولم تُحوّل بصرها عنه.

- شكراً لك.

أدار الشرطي عينيه تجاه الشرفة.

- هل أحضرتِ الورود؟

تابعت كاورو نظرته فلمحت ألوان الورود النّضرة من الجهة الأخرى للزجاج.

- لم أُحضرها كلّها! وقد التجأت إلى حمّال للقيام بذلك.

- مفهوم. وتستمرّين في ريّها، أليس كذلك؟

لاحظ كوساناغي وجود الرشّاش الكبير الموضوع أمام الباب-النافذة.

- نعم، فرشّاشك يُسعفني كثيراً. أنا ممتنّة لك أن اشتريتَه.

- أنا سعيد أن يكون مُفيداً لك، قال وهو يُدير بصره نحوها من جديد. تصرّفي من فضلك كما لو كنّا نحن غير موجودَين.

شكرته وتوجّهت نحو الغرفة الثانية، لكنّها انثنت نحوهما قبل أن تفتح الباب.

- هل عثرتُم على شيء؟

- ماذا تقصدين؟ سأل كوساناغي.

- شيء له علاقة بالجريمة. . . حدثٌ جديد أو دليل؟ سيكون من شأن ذلك أن يُفسّر سبب استدعائي للمفوضية.

تقاطع نظر الشرطيّ مع نظر زميلته قبل أن يعود جهة أياني.

- أنتِ على حقّ.

- يهمّني كثيراً أن أعرف ما هو. ألن تُخبراني به؟ أم عليّ انتظار أن نكون في مقرّ الشرطة؟

كانت تتحدّث مُنشرحة كما لو كان الموضوع مُسلّياً.

نكّس كوساناغي بصره وصمت لحظات قبل أن يعود للحديث.

- نحن نعرف الآن المكان الذي كان السّم قد دُسّ فيه. وإن تحدّثنا عن المشكل من وجهة نظر علمية، قُلنا إنّنا قد توصّلنا إلى خلاصة مفادها أنّ دسّه لم يكن ممكناً إلّا في آلة تصفية الماء.

لم تُلاحظ كاورو التي لم تكن تُغادرها ببصرها أيّ تغيّر على ملامحها. كانت أياني مُسترسلة في سبر ملامح كوساناغي بنظرة مُشرقة.

- أهكذا! في آلة تصفية الماء! قالت مُتعجّبة دون أن يعكس صوتها أدنى انزعاج.

- كان المشكل كامناً في معرفة الطريقة التي دُسّ بها السّم في الآلة. وإن أخذنا السّياق بعين الاعتبار يتحصّل أنه لم تكن ثمّة إلّا طريقةٌ واحدة لدسّه وشخصٌ واحد قادر على ذلك، واصل القول من دون أن يُغادر أياني ببصره. إنّ هذا هو ما يجعلنا نطلب منكِ أن تُرافقينا.

لوّنت وجنتيها الآن حُمرةٌ خفيفة، لكنّها واصلت تبسّمها.

- وهل لكم دليل على أنّ السّم دُسّ في آلة تصفية الماء؟

- مكّننا تحليل دقيق من العثور عليه، لكنّ هذا لا يُعدّ دليلاً في

ذاته. ذلك أنّه لا بدّ أن يكون المجرم قد دسّه فيها سنة قبل وقوع الجريمة، ويجب إثبات أنّ هذا السّم كان لا يزال فعّالاً يوم وقوع الجريمة، بمعنىً آخر، ألّا أحد كان قد استعمل الماء المُصفّى طيلة هذه الفترة، تفادياً لجريان السّم معه.

أطرفت الرّموش الطويلة لأياني مرّات متعدّدة، ولاحظت كاورو أنّه كان للكلمات «سنة قبل وقوع الجريمة» أثرٌ عليها.

- وقد استطعتم إثباتَ ذلك؟

- لا يبدو أنّ هذا قد فاجأك، قال كوساناغي. أقصد علمكِ أنّ المجرم دسّ السّم منذ سنة. أنا، من جهتي، عندما قيل لي ذلك أوّل مرّة لم أُصدّق أذنيّ.

- إنّ كلّ ما تقوله لي يُفاجئني إلى درجة أنّني عاجزة عن إبداء أيّ انفعال.

- حقّاً؟

نظر إلى زميلته وأشار عليها بشيء من عينيه، فأخرجَت من حقيبتها كيساً بلاستيكياً.

وليس إلّا في هذه اللّحظة أذوت بسمة أياني. كانت قد رأت ما فيه.

- أنت تعرفين ما هذا، أليس كذلك؟ إنّها علبة المصبّرات التي كنتِ تسقين بها نباتاتك، بعد أن أحدثتِ ثقوباً في قعرها.

- كنت أعتقد أنّك قد ألقيتَ بها...

- كلا، احتفظتُ بها. وأكثر من ذلك، لم أغسلها. ثمّ طفت على محياه بسمة، لكنّه سُرعان ما عاد إلى صرامته. أتتذكّرين يوكاوا؟ إنّه صديقي الفيزيائي الذي أخذ على عاتقه تحليل هذه العلبة

في الجامعة التي يُدرّس فيها، فمكّنه ذلك من العثور على الزرنيخ. حلّلنا بعد ذلك تركيب الماء فحدّدنا أنّه الماء الذي عبر آلة تصفيتكم. أنا أتذكّر جيداً المرّة الأخيرة التي استعملتِ فيها هذه العلبة. كنت قد استعملتِها لسقي ورود شرفة الطابق العلويّ. وكنتِ قد توقّفت عن ذلك عندما وصلَت هيرومي واكاياما. بعد ذلك لم تستعملي العلبة قطّ بسبب الرّشاش الذي كنتُ أنا قد اشتريته، فلم أستعملها وبقيَت في درج من مكتبي.

فتحت أياني عينيها على سعتهما.

- لماذا وضعتها في درجك؟

وبدل أن يُجيبها كوساناغي واصل حديثه بصوت مَشوب بانفعال مُتحكّم فيه.

- كلّ هذا يجعلنا نفترض أنّ الزرنيخ دُسّ في آلة تصفية الماء، وأنه كان قد خرج من هذه الآلة يومَ وقوع الجريمة ما يكفي من الماء كي يقتل الضحية. وإن دفعنا بأنّ الشخص الذي استطاع أن يقوم بهذا كان قادراً أيضاً على الحرص على ألّا يستعمل أحدٌ صنبور الماء المُصفّى طيلة سنة، مكّننا ذلك من اختزال الأشخاص إلى واحد.

نكّست كاورو ذقنها موجّهة اهتمامها كلّه نحو أياني. زمّت الجميلة المشتبه بها شفتيها مُنكّسة بصرها. ظلّ أثر بسمة على محياها لكنّ مظهرها المُبتهج بدأ يتغمّم كمثل شمس تغرب.

- سنُواصل هذا الحوار في المفوّضية، قال كوساناغي في الأخير.

رفعت أياني رأسها. تنهّدت بعمق ونظرت في عيني الشرطي مُباشرة.

- حسناً. هل تسمحان لي بدقائق؟

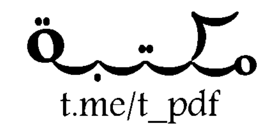
- بالطبع، لكِ ما تشائين من الوقت.

- عليّ أيضاً أن أسقي الورود. ذلك ما كنت أقوم به عندما وصلتما.

- أوه... هيا افعلي.

- شكراً، قالت أياني.

فتحت البابَ-النّافذةَ وحملت الرّشاش وراحت تنثر الماء على النّباتات.



32

في ذلك اليوم أيضاً كنتُ قد سقيتها، فكّرت أياني وهي تتذكّر ما كان قد حصل منذ سنة خلت، يوم أن كان أخبرها بالحقيقة القاسية. كانت قد استمعت إليه من دون أن يحيد بصرها عن زهرات الثّالوث في أصص الشّرفة؛ تلك الزهور التي تنتمي إلى صنف ورد البنفسج والتي كانت صديقتُها جونكو تسوكوي تُحبّها حتّى أنّها لقّبت نفسها باسمها.

تعرّفت أياني على تسوكوي في مكتبة بلندن كانت تبحث فيها عمّا تُعزّز به عملها المقبل في الفسيفساء النسيجية. كانت تستعدّ للإمساك بكتاب موضوع على إحدى الطاولات عندما امتدّت له كفّ أخرى، كفُّ امرأة شابة، يابانية بدت لها أسنّ منها ببضع سنوات.

قام بينهما تعاطف مُتبادل على الفور فقرّرتا أن تلتقيا في اليابان. التزمتا بوعدهما، وكانت أياني قد استقرّت في طوكيو قبل وقت قليل من عودة جونكو إليها.

كانتا معاً تشتغلان ولم تكونا تلتقيان باستمرار، لكنّ جونكو غدت صديقة عزيزة جدّاً على أياني، وكانت متأكّدة من أنّ صديقتها تُبادلها الحبّ نفسه رغم أنّ جونكو كانت من طبيعة أكثر ميلاً للعزلة منها.

كانت جونكو قد قالت لها في يوم إنّها تُريد أن تُعرّفها على شخص. كان مشوارها في ابتداع الشخصيات المتخيلة قد انطلق، وكان مَن أرادت تقديمه لها هو الرئيس المدير العام لشركة تُوزّع الرّسوم المتحرّكة في الإنترنت.

- لقد حدّثني عن المُنتجات الفريدة فأخبرته أنّ لي صديقة تشتغل بالفسيفساء النسيجية فسألني على الفور ما إن كان بإمكاني تقديمك له. فهل تقبلين لقاءه؟ كانت قد سألتها جونكو في الهاتف بنبرة لا حماسة فيها.

لم يكُن لأياني أيّ سبب كي ترفض.

بهذه الطريقة تعرّفت على يوشيتاكا ماشيبا، الرجل ذي النّظرة الواثقة والمظهر الجذّاب، القادر على التعبير بوضوح كامل عن أفكاره. وكان يتمتّع أيضاً بموهبةِ جَعلِ مَن يُحيطون به قادرين على الثّرثرة. وبعد بضع دقائق في رفقته حصل لديها الانطباع بأنّها تملك بشكلٍ رائع فنّ مُحادثة النّاس.

- يا له من رجل جذّاب! قالت لصديقتها ما إن انصرف، غير قادرة على كتم شعورها.

وافقت جونكو على ما قالت وهي تُبدي بسمة واسعة.

كانت أياني قد خمّنت على الفور ما تُكنّه جونكو ليوشيتاكا من مشاعر.

وقد وصل الأمر بأياني أن تحسّرت على عدم سُؤالها عمّا إن كانت تقوم بينهما علاقة. كان بإمكان هذا السؤال الصّغير أن يكفي، لكنّها لم تطرحه وجونكو لم تكن قد أسرّت لها بشيء في الموضوع.

لم يُقدَّر لفكرة استعمال الفسيفساء النّسيجية في مُنتجات

يوشيتاكا أن تتحقّق. كان قد اتّصل بها هاتفياً كي يُخبرها ويعتذر لها على ما أضاعه من وقتها، ووعدها بأن يدعوها للعشاء كي يُقدّم لها اعتذاراً رسمياً.

كانت قد اعتبرت ما قاله لها كياسةً منه، لكنّه اتّصل بها بعد ذلك بقليل، ولم يوحِ لها شيء في نبرة صوته بأنّه قد حدّث جونكو في الأمر، فاستنتجت أياني من ذلك أنّ صديقتها ويوشيتاكا لا تقوم بينهما علاقة.

ذهبت للموعد الذي ضربه لها وهي تشعر ببعض الإثارة وكانت اللحظات التي قضتها معه في ذلك المساء رائعة بقدرٍ لا يُقارن مع كلّ اللحظات التي عرفتها حتى تلك اللحظة.

وسرعان ما تكثّفت المشاعر التي تُكنّها له، وتباعدت بالموازاة مع ذلك لقاءاتُها مع جونكو. ولدى علمها بأنّ صديقتها كانت تُبدي أيضاً حساسية تجاه جاذبية يوشيتاكا حصل أن بدأت تشعر ببعض العنت في الحديث مع جونكو.

ولمّا التقت الصديقتان بعد ذلك بأشهر، صُدمت أياني بمظهر جونكو. كانت قد هزلت جدّاً وكست وجهها لطخات حمراء. سألتها إن كانت تُعاني من مشاكل صحّية، لكنّ جونكو كانت قد طمأنتها بأنّها لا تُعاني من شيء.

تبادلتا معلومات عن عمليهما وبدت جونكو كأنّها تستعيد مزاجها الرّائق. لكن لمّا كانت أياني تهمّ بإخبارها بعلاقتها بيوشيتاكا، بدا الشحوب بغتة على جونكو.

ما الذي يحصل لكِ؟ كانت قد سألتها. لا شيء، أجابتها جونكو وقد انتصبت واقفة مُفسّرة أنّها قد تذكّرت لتوّها أمراً مُستعجلاً عليها قضاؤه.

تابعت جونكو بنظرتها وهي تبتعد في سيارة الأجرة من دون أن تفهم شيئاً، ولم ترها بعد ذلك قطّ.

بعد خمسة أيام من لقائهما توصّلت بعلبة تحتوي كيساً صغيراً فيه مسحوق أبيض. «الزرنيخ (سمّ)»، كان مكتوباً على الكيس بقلم لبديّ، وكان اسم المُرسِل هو جونكو.

تبلبلت وهي تُحاول عبثاً الاتّصال بها، فتوجّهت إلى بيتها قلقة. رأت الشرطة مُنهمكة في عملها داخل شقّة صديقتها، فعلمت من أحد المتسكّعين الذين يُعاينون المشهد أنّ قاطنة الشقة قد انتحرت لتوها مُبتلعة السّم.

كانت صدمتُها قوية حتى أنّها لم تعرف كيف عادت بعد ذلك إلى بيتها. فجأة وجدت نفسها في شقّتها، هذا كلّ ما تعرفه، فنظرت بعين مُختلفة لِما كانت جونكو قد أرسلته لها.

وقد أجهدت نفسها كي تصل إلى الرسالة التي وجّهتها لها جونكو بهذا السّم الذي بعثته لها. عبرت فكرةٌ ذهنها. آخر مرّة رأتها فيها، بدا لها أنّ جونكو كانت قد نظرت إلى هاتف أياني المحمول. أخرجته أياني من حقيبتها. إنّه مُزيّن بالشريط نفسه الذي يُزين هاتف يوشيتاكا، لأنّهما كانا قد اشترياهما معاً.

هل تكون جونكو قد انتحرت لأنها انتبهت للعلاقة التي تجمع أياني بيوشيتاكا؟ اجتاحتها هذه الفكرة الكئيبة. بيد أنه لم يكن لجونكو أيّ سبب كي تضع حدّاً لحياتها فقط لأنّ مشاعرها تجاه يوشيتاكا لم تُقابَل بالمثل. يبدو أنها هي أيضاً مُرتبطة به بعلاقة غرامية.

لم تتّصل أياني بالشرطة، ولم تحضر أيضاً جنازة جونكو. لقد خشيت أن تكون المسؤولة عن موتها ولم تكن تُريد للحقيقة أن تُعلم.

وللسبب نفسه خانتها شجاعتها فلم تسأل يوشيتاكا في موضوع جونكو. كانت تخشى أن يقطع علاقته بها إن حدّثته في ذلك.

وبعد هذا بزمن اقترح عليها يوشيتاكا اقتراحاً غريباً: إنه يُريد أن يُشاركا معاً في حفل استقبال مُنظّم لفائدة أشخاص يبحثون عن شريك بغاية الزواج، وأن يدّعيا أنهما تعارفا على بعضهما فيه، وكان هدفه هو: «تحاشي الإجابة عن أسئلة مُزعجة، يطرحها الناس عندما تُقدّم لهم صديقتك، من قبيل أين تعارفتما إلخ... إلخ. وقولنا إنّنا تعارفنا في حفل استقبال من هذا النّوع يُجنّبنا هذا كلّه».

كان يكفيهما، في هذه الحال، أن يتّفقا على ذلك معاً دونما حاجة إلى حضور تلك الأمسية، كانت قد فكّرت، لكنّ يوشيتاكا كان قد وصل به الأمر أن أعدّ لحضور شاهد على لقائهما، هو إيكاي. وإن كان هذا الانتباه للتفاصيل هو من صميم طبيعته حقّاً، فإنّ أياني كانت قد شكّت في أنّ هدف صنيعه هذا هو أن يُقصي كلّ علاقة له بجونكو. بَيد أنّها لم تقل له شيئاً من ذلك وذهبت إلى حفل الاستقبال كما كان يشتهي ومثّلا مسرحية «الحبّ من أوّل نظرة» وفقاً للسيناريو الذي كان قد أخبرَها به.

واصلا لقاءاتهما، وبعد ستّة أشهر من حفل الاستقبال طلبها يوشيتاكا للزواج.

أبهجها طلبه رغم الشّكوك التي كانت تتأكّلها بخصوص جونكو. لماذا انتحرت؟ ما هي طبيعة العلاقة التي كانت تجمعها بيوشيتاكا؟

كانت ترغب أن تعرف الحقيقة وأن تستمرّ في تجاهلها، في الأوان نفسه. تلك كانت حالتها الذهنية عند اقتراب زواجها.

بيد أنّه في هذه الفترة أخبرها بشيء قوّى بلبالها، في حين أنه هو لم يكُن يرى فيما قاله ما يُثير الاستغراب.

«بعد سنة من الزواج سنفترق إن عجزنا عن الإنجاب». كان قد قال لها بنبرة هادئة.

كانت أياني قد كذّبت سمعها لأنها لم تكُن تنتظر أن يتصوّر الطلاق قبل حتى أن يتزوّجا.

ظنّت في البداية أنه يمزح، لكنّها كانت مُخطئة.

- أنا أُفكّر في هذا منذ زمن طويل، وسنة تكفي. غالبية الأزواج الذين لا يستعملون موانع الحمل يحصل لديهم الحمل في هذه الفترة الزمنية. وعندما لا يحصل، فإنّ ذلك يعني أنّ أحدهما يُعاني من مشكل. من جانبي، لقد تأكّدت من نفسي ولستُ من العقيمين.

اجتاحتها القشعريرة وهي تستمع إليه.

- هل كنت قلت الشيء نفسه لجونكو؟ سألته وهي تنظر مُباشرة في عينيه.

- ماذا؟ كان قد سأل متعجّباً، ساهِم النّظرة، وقد تبلبل تماماً.

- أجِبْني بصراحة. ألم تكُن صديقها؟

عقد يوشيتاكا حاجبيه من دون أن يُخفي امتعاضه. لكنّه واجهها.

- أجل، كان قال مُعترفاً. كنت أعتقد أنّكِ ستكتشفين ذلك بسرعة، وكنت أنتظر أن تتحدّثا عنّي فيما بينكما.

- كنتَ على علاقة بي وبها في الآن نفسه؟

- كلا. كنت أنوي فراقها عندما التقينا أنت وأنا. هذه هي الحقيقة.

- أيّ سبب كنت قدّمتَ لها عندما فسّرتَ لها أنك تُريد إنهاء العلاقة؟ كانت أياني قد سألت وهي تتفرّس في الرّجل الذي سيغدو زوجها؛ أنّه لا يُمكنكَ الاقتران بامرأة لا تستطيع الإنجاب؟

كان قد هزّ كتفيه.

- ليس بهذه الكلمات نفسها، لكنّ ما قلتُه كان يعني ذلك. كنت قلت لها إنّ زمنها ولّى.

- زمنها ولّى؟

- كانت في الرابعة والثلاثين، ولم نكن نَحُول بشيء بيننا وبين الحمل، لكنّ ذلك لم يحصل، ولم يكن بإمكاني الاستمرار مدّة أطول.

- ولهذا السبب اخترتني أنا؟

- هل أخطأت؟ إنّ إقامة علاقة مع امرأة لا يُمكنها أن تُنجب ليس له معنىً، ومبدئي ألّا أُضيع وقتي.

- لماذا لم تُخبرني قبل الآن بعلاقتكما؟

- لم أكُن أرى ضرورة لذلك. كنت أعلم أنّ هذا سيحصل من تلقاء نفسه طال الزّمن أم قصر، وأنني سأفسّر لك كيف مرّت الأمور عندما يحين الوقت. أنا لم أخُنْكِ ولم أكذب عليك ولستُ أسرد عليك كلاماً بلا معنى.

فكانت أدارت له ظهرها وراحت تنظر إلى الورود في الشّرفة، إلى زهور الثّالوث، تلك الورود التي كانت جونكو تُحبّها. كانت قد تذكّرت صديقتها، فسالت الدّموع من عينيها وهي تُفكّر فيما قاسته.

لا بدّ أن تكون الحسرة قد عصفت بجونكو بعد أن قال لها يوشيتاكا إنّه سيُغادرها. وكانت لا تزال في حالة هشاشة عندما التقت بأياني فخمّنت عندما شاهدت شريط محمولها أنّ صديقتها تُقيم علاقة

معه، وكانت صدمَتُها من القوة حتى أنّها قرّرت أن تموت، لكنها حرصت على بعث رسالة لأياني. الزرنيخ. وهي لم تُرسله لها لأنّها تُؤاخذها على سلبها زوجَهَا منها وإنّما على سبيل التحذير.

كي تُحذّرها من أنّ مصيرها سيكون كمصيرها عاجلاً أم آجلاً.

كانت جونكو هي المرأة الوحيدة التي تتجرّأ أياني على أن تقول لها كلّ شيء، فكانت قد حكت لها أنّها عقيم بسبب تشوّه وراثيّ، فأرادت جونكو برسالتها أن تُحذّرها من أنّ يوشيتاكا لن يلبث أن يُهملها.

- أتستمعين إلى ما أقول؟ كان قد سألها يوشيتاكا.

التفتت نحوه.

- أجل، بالطّبع. كيف يُمكنني ألّا أستمع إليك؟

- ومع ذلك فأنتِ لا تُبدين أيّ ردّ فعل على الفور.

- أنا شاردة بعض الشّرود، هذا كلّ ما في الأمر.

- شاردة؟ ليس الشّرود من عاداتك!

- أنا مُتفاجئة للغاية.

- أهكذا؟ لكن يبدو لي مع ذلك أنّكِ على علم بما أُريد القيام به في حياتي، أليس كذلك؟

وشرح لها أنّ الزواج عنده لا يغدو له معنىً إلّا بإنشاء أسرة.

- اسمعي يا أياني، ما الذي لا يُعجبكِ فيما أقول؟ ألم تنالي كلّ ما ابتغيت؟ وإن أخطأتُ فلا تتردّدي في إخباري بما يعوزك، وسأقوم بأقصى ما أستطيع. وبدل أن تشغلي بالك بالماضي فكّري في المستقبل! ألكِ أنتِ رأي آخر؟

لم يكُن قد انتبه إلى حجم الجرح الذي أحدَثَه فيها. أياني لا تُنكر أنّها قد استطاعت تحقيق أحلامها بدعمٍ منه، لكن كيف كان

بإمكانها أن تُفكّر في المستقبل وهي تعلم أنّه سينفصل عنها بعد سنة؟

- هناك شيء واحد أُريد أن أكون متأكّدة منه، فهل بإمكاني طرحُ السؤال؟ قد تعتبره غبياً، لكن هل تُحبّني؟

كانت تُريد أن تفهم ما إن كان قد اختارها لأنه يُريدها بطناً لجنينه أم بسبب الحبّ الذي يُكنّه لها.

بدا عليه الانزعاج.

- بالطبع أُحبّك. كوني على يقين من ذلك. أنا أُحبّك الآن كما أحببتكِ من قبل.

وكانت أياني قد أخذت قرارها في تلك اللحظة. ستتزوّجه ليس لأنّها تُريد أن تعيش معه وإنّما لتحسم بين الحب والكراهية اللذين تشعر بهما تجاهه.

أرادت أن تقترن به حتى يكون باستطاعتها باستمرار أن تُقرّر ما إن كان يستحقّ الحياة، فحكمت عليه لحظتها حُكماً مُؤجّلَ التّنفيذ.

لم يكن من السّهل دسّ السّم داخل جهاز التصفية وسيكون عليها من الآن فصاعداً الحرصُ على ألّا يلج أحد المطبخ، لكنّها كانت في الآن نفسه مُبتهجة بقدرتها على احتوائه.

عندما يكون في المنزل، لا تبرح أريكة غرفة الجلوس، ولم تكُن تمشي لدورة المياه أو الحمّام إلّا عندما تكون متأكّدة من أنّه لن يقترب من المطبخ.

وكان هو يُعاملها بلطف. لم يكن لها شيء تشكوه منه بوصفها زوجة. وكلّما استمرّ في إبداء عواطفه نحوها، كانت تنوي الاستمرارَ في الحرص على ألّا يستعمل أحد صنبور الماء المُصفّى. لم يكن بمستطاعها أن تغفر له الطريقة التي تَعامَل بها مع جونكو، لكن إن لم يفعل الشيء نفسه معها كانت مستعدّة أن تعيش على هذا النحو حتى

النهاية. وكانت الحياة الزوجية تعني لأياني إنقاذَ زوجها كلّ يوم وهو يقف على حافة سطح هيكل البناية.

بيد أنّها لم تكن تنتظر أن يتخلّى يوشيتاكا عن رغبته في الإنجاب، وعندما علمت بالعلاقة التي تجمع بينه وبين هيرومي واكاياما، كانت قد قالت إنّ الساعة التي من المفروض أن تَزِفَ قد اقتربت.

كان يوشيتاكا قد أخبَرَها بقراره مساء يوم استدعائهما لآل ماشيبا للعشاء، بصوت مُجرّد من الحماس.

- أتصوّر أنّني لا أُخبركِ بجديد، لكنّكِ تعلمين أنّ زمنكِ أوشك على الانقضاء وأُريدكِ أن تستعدّي لمغادرة هذا البيت.

كانت أياني قد تبسّمت.

- أُريد فقط أن أطلب منك أمراً قبل الانصراف، كانت قد أجابت.

- ما هو؟

- أُريد أن أتركك هنا وحيداً يومين أو ثلاثة، وآمل أن تقدر على تدبّر أمورك من دوني، كانت قالت له وهي تنظر في عينيه مُباشرة.

وكان قد ضحك من المفاجأة.

- هذا لا يُزعجني البتّة، فأنا أعرف كيف أعيش وحيداً.

- صحيح، كانت قد قالت بخفوت وهي تهزّ رأسها.

كانت في تلك اللحظة قد كفّت عن إنقاذه.

33

توجد حانة تقديم الأنبذة في الطابق التّحت أرضيّ. ينفتح الباب على الكونتوار، ولا يوجد في القاعة إلّا موائد ثلاث. كان كوساناغي ويوكاوا جالسَين إلى إحداها بعضهما بجانب بعض.

- معذرة على التأخّر، قالت كاورو قبل أن تأخذ مكانها إلى جانب زميلها.

- هل وصلت النّتيجة؟ سألها.

حركت رأسها بالإيجاب.

- إنه خبر جيّد؛ لقد أظهر التّحليل أنّه السّم نفسه.

لقد مكّن التّحليل بالسبرينغ 8 الذي أُجري على علبة المصبّرات التي عُثر عليها في مخزن أمّ جونكو من العثور على الزرنيخ نفسه الذي كان قد قتل يوشيتاكا ماشيبا. وهذا يتماشى مع اعترافات أياني ماشيبا التي كانت قد صرّحت بأنّها دسّت في آلة التصفية السّم الذي كانت قد أرسلته لها جونكو.

- يبدو لي أنّ هذه القضية قد حُلّت، قال يوكاوا.

- بالضّبط. حسناً، الآن وقد أتت أوتسومي فلنحتفل! قال كوساناغي.

نادى النّادل وطلب قنينة شامبانيا.

- اسمع، لقد أنقذتنا هذه المرّة، فشكراً لك. أنا من سيُؤدّي هذا المساء، فاشرب بقدرِ ما تشاء.

استمع إليه يوكاوا عاقداً ما بين حاجبيه.

- ألا تعتقد أنّ عليك أن تقول «مرّة أخرى» بدل «هذه المرّة»؟ ثمّ إنّ لديّ انطباع بأنني لم أُنقذك أنت وإنّما زميلتك.

- وما الذي يُغيِّره ذلك من الأمر؟ آه، هي ذي الشامبانيا! لنشرب!

حملا كؤوسهم ثلاثتهم.

- إنني مندهش مع ذلك من أن تكونَ قد احتفظت بهذا الشيء، قال يوكاوا.

- الشيء؟

- علبة المصبرات التي كانت السيدة ماشيبا تستعملها لريّ نباتاتها. ألم تكُن قد احتفظتَ بها؟

- آه، أنت تتحدّث عن العلبة، أجاب كوساناغي وقد تمغّر وجهه ونكّس بصره.

- أنا أعلم أنّك كنت قد فعلت ذلك من أجل أياني، لكنني أجهل أنك كنت قد اشتريت لها رشّاشاً. لكن لماذا لم تكُن قد ألقيتَ بهذه العلبة؟ لقد أخبرتني زميلتك بأنّك كنت قد احتفظت بها في درج مكتبك.

- رشق كوساناغي كاورو بنظرة، فحوّلت بصرها.

- أوه... لنقل إنّها غريزتي.

- غريزتك؟ غريزتك بوصفك شرطيّاً، تُريد أن تقول؟

- تماماً. فما دام التحقيق لم يصل إلى نهايته فإنني لا أُلقي بشيء قد يصلح دليلاً. إنها قاعدة من قواعدي المُطلقة.

- قاعدة مطلقة، أوه! وهزّ يوكاوا كتفيه وحمل الكأس إلى شفتيه. كنت أعتقد أنك لم تُلقِ بها لأنّك تعتبرها ذكرى.

- بمعنى؟

- لا شيء.

- هل يُمكنني أن أطرح عليك سؤالاً؟ سألت كاورو يوكاوا.

- بالطبع.

- كيف انتبهتَ إلى الخدعة؟ لن يكون في ملكي إلّا أن أُصدّق إن قلت إن الفكرة راودتك بغتة، لكن. . .

- أوه! صوّت يوكاوا. إنّ الأفكار لا تُراودني بغتة. إنها تولد بعد الملاحظة النّابهة والتفكير المتأنّي. كانت حالة جهاز التصفية هي أوّل شيء لفت انتباهي. أنا أتذكّر ذلك لأنني كنت قد رأيت جهاز التّصفية بعينيّ وكان مُغشّىً بغبار كثيف ممّا بدا معه مفروغاً منه أنّ أحداً لم يمسَسْه منذ مدّة.

- أعرف، وهو ما كان جعلنا عاجزين عن فهم الطريقة التي دُسّ بها السّم فيه.

- لكنّني من جهتي كنت تساءلت عن السبب الذي يجعله في تلك الحالة. فحسب ما كنتما أخبرتماني به، فإنّ السيدة ماشيبا كانت شديدة العناية بشؤون بيتها. فأنتِ على أيّ حال كنتِ قد اشتبهت بها فقط لأنّها لم تكن قد رتّبت كؤوس الشامبانيا في مكانها من الدولاب، أليس كذلك؟ وكنت قلت لنفسي إنّ امرأة بهذا الحرص

على نظافة بيتها لا يمكنها في العادة أن تترك ما تحت المغسل في هذه الحالة.

- آه. . .

- دفعني ذلك إلى التفكير، فتساءلت: أتكون قد تعمّدت عدم تنظيفه وتَرْك الغبار يعلوه؟ إن كان الأمر كذلك فما هدفُها؟ وانطلاقاً من تلك اللحظة راودتني الفكرة.

هزّت كاورو رأسها قليلاً وهي تنظر إليه.

- إنه لأمر يُثير الإعجاب.

- ليس إلى درجة أن نتّخذه مدار حديثنا! إنني أرى أنّ النّساء خطيرات. فأن تكون قد ابتدَعَت أمراً بهذه اللّاعقلانية، وبهذا القدر من التّناقضات. . .

- بمناسبة الحديث عن المواقف المتناقضة، علمت أنّ هيرومي واكاياما قد قرّرت الاحتفاظ بالصّبي.

نظر يوكاوا جهتها على ملامحه تساؤل.

- لا أرى تناقضاً في قرارها. ألا ترغب النساء كلّهن في أن يصرن أمهات؟

- أياني ماشيبا هي التي نصحتها بالاحتفاظ به.

تجمّد وجه الفيزيائيّ وهو يستمع إليها، ثمّ جعل يُحرّك رأسه ببطء من جهة إلى أُخرى.

- أنتِ على صواب. . . هذا مُتناقض.

- لكن بصيغة المؤنّث.

- مفهوم. لديّ الانطباع بأنّ سَبرَنا لهذا اللّغز يكاد يكون مُعجزة. أتعتقد أنّ. . . بدأ يقول مُوجّهاً الحديث لكوساناغي، دون أن يُنهي جملته.

أدارت كاورو بصرها تجاه جارها فوجدته نائماً وقد مال رأسه إلى الأمام.

- لقد حطّمنا هذه الجريمة الكاملة تماماً كما حطّمنا قلبه. لا غرابة أن يكون مُنهَكاً، فلندعه يستريح، قال يوكاوا قبل أن يرفع كأسه.





كيغو هيغاشينو

جلسة قهوة

في منزلٍ بأحد أحياء طوكيو الراقية، يخبر يوشيتاكا ماشيبا زوجتَهُ أياني، بكل برودة، أنه سيهجُرُها لأنها لم تُنْجِب له طفلاً. لقد التقى امرأةً شابة ويريد أن يكملَ حياته معها. بعد غد ذلك اليوم، يُعثر عليه ميّتاً، ممدَّداً في غرفة الجلوس وبجانبه فنجان قهوة، قبل بضع ساعاتٍ من موعده مع حبيبته، التي ليست سوى هيرومي، تلميذة أياني المفضَّلة.

إنها حكاية زوجَين، وامرأتَين، وخيانةٍ، وكرامة مُهَانة، وجلسة قهوة... تأخذُنا إلى قلب حياة اليابانيين الحميمة، وتطلعُنا على عادات وتقاليد ذلك المجتمع الساحر، حيث الهدوء والانضباط حاضران في صلب الحياة اليومية.

على امتداد هذا اللغز المحيِّر، حيث نتأرجحُ بين اتهام الأرملة المُهانة وتبرئتها، يخوضُ الإغواءُ والاستنتاجُ صراعاً مشوِّقاً وتتلاعب بنا الأحداث إلى أن نكتشف، مذهولين، أن الانتقامَ في اليابان شرابٌ يُقدّم ساخناً!

***

كيغو هيغاشينو، من مواليد أوساكا عام 1958. يتمتّع بشعبية عارمة في اليابان حيث يتربّع على عرش الكتابة التّشويقية، وهو في هذا اللون الأدبي أكثر كاتب ياباني مقروءٍ في العالم. رواية **جلسة قهوة** هي ثاني عمل له يُترجم إلى اللّغة العربية.

ISBN 978-9953-68-977-7





المركز الثقافي العربي

الدار البيضاء: ص. ب. 4006 (سيدنا)
بيروت: ص. ب. 113/5158
markaz.casablanca@gmail.com
cca_casa_bey@yahoo.com